

دراسات في الأدب والعلوم والفلسفة

أبو تَسَامُرٍ

شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله

تأليف

عبد فرزق

دكتور في الفلسفة

عضو الهيئة العليا للدراسات والبحوث في دمشق
عضو جمعية البحوث والدراسات في بيروت



الناشر

دار لبنان للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

أَبُو تَسَامُرٍ

شَاعِرُ الْخُلَيْفَةِ مُحَمَّدِ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ

دراسة تحليلية

تأليف
عُصَمَاءُ فَرْوَح

مضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
مضو المجمع العلمي العربي بدمشق
مضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

الناشر
دار لبنان للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطه يديل < nktba.net

جميع الحقوق محفوظة

بيروت ١٩٧٨ م - ١٣٩٨ هـ



أولى البرية حقاً أن تُراعِيَهُ عِنْدَ الشُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أُيْسِرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْفُهِمُ فِي الْمَوْطَنِ الْخَشِينَ

فهرست الكتاب

- الادب : أو الانتاج الوجداني الجيد ٩-٢٠
- أبو تمام في دمشق - ٢١
- جاسم - في جاسم - مولده - في حمص للمرة الاولى - الرحيل الى مصر - أبو تمام في المسجد - الرجوع الى الشام فالعراق - في خراسان - في العراق وبلاد الروم - وفاته - صفاته وأخلاقه - آله ٢١-٣٦
- بيئة أبي تمام ٣٨
- ١ - بيئته الخاصة ٣٨
- احتكاكه الاول بالشعراء - مصر بعيدة عن فساد بغداد - ممن استقى أبو تمام علمه - أثر مذهبه فيه - مقامه عند الممدوحين - حياته الخاصة - العنصر الشخصي - ٣٨-٤٦
- ٢ - العناصر المساعدة ٤٦
- الثقافة اليونانية - الزندقة والشعبية - الاحداث والفتوح : العلويون - بابل الحرمي - فتح عمورية - مازيار - حرق الافشين ٤٦-٥٢
- الخصائص الادبية في شعره ٥٣
- ١ - خصائصه المعنوية ٥٣
- شغفه بالاغراب - قوي الفكر غواص على المعاني - تفاوت شعره - التشبيه والاستعارة - كثرة اختراعه - اعتداده بشعره - مطالعه وتخلصه وخواتيمه - مصادر معانيه - العروبة والاسلام في شعره ٥٣-٧٦

٢ - خصائصه اللفظية

٧٧

الصناعة في شعره - الجناس والطباق - شعره وأسلوبه -
مذهب أبي تمام - عمود الشعر والمذهب الشامي - تاريخ
المذهب الشامي - موجز خصائص المذهب الشامي - نظمه
- التصريح والتوشيح - التوشيح

٩٧ - ٧٧

٩٨

المتعصبون له والمتعصبون عليه

المتحاملون عليه - أنصاره وخصومه المتأخرون - دفاع

١٠٢ - ٩٨

أبي الفرخ - مهاجاته للشعراء

١٠٣

آثاره وأثره

ديوان الحماسة - سائر مجاميعه الشعرية - مقلدو أبي تمام -

١١١ - ١٠٣

ديوانه والشروح عليه

١١٢

فنون أبي تمام وأغراضه

المديح - ممدوحو أبي تمام - الفخر - الرثاء - رثاء آل

حميد الطوسي - العتاب - الوعيد والهجاء - الوصف -

وصف القلم - الغزل والنسيب - نموذج من غزله -

١٤٤ - ١١٢

الحكمة - الزهد

١٤٥

مختارات من شعره

١٤٥

مديح عبد الله بن طاهر

١٥٣

رثاء محمد بن حميد الطوسي

١٥٧

مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري

١٦٦

مديح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي

١٧٣

فتح عمورية

الفهرست الابدعي لأعلام الاشخاص

الأدب

أو الإنتاج الوجداني الجيد

ما الإنتاج الوجداني الجيد ؟

على هذا السؤال يدور علم النقد : وعلم النقد نفسه يقوم على علم البلاغة ؛ والغاية من علم البلاغة أن نبيّن الخصائص الفنيّة في الإنتاج الوجداني من النثر والشعر . وتبيّنُ هذه الخصائص هو الذي يمكّننا من الوقوف على حسنات القطعة الأدبية وسيئاتها . وبهذه الحسنات والسيئات المجموعة من القطع الأدبية المفروضة نستطيع أن نميّز بين شئيين :

— بين القطع التي تستحق أن تُضاف إلى مجموع النتاج الوجداني المروى عن العرب منذ أقدم الأزمنة التي اتصلت بها الرواية ،
— وبين القطع التي لا تبلغ في الجودة ، بحسب المقاييس التي في أيدينا ، إلى أن تدخل في تراثنا الأدبي .

ثم إذا نحن رجّعنا البصر في خصائص القطع الأدبية التي حكمنا بأنها من الإنتاج الوجداني الجيد وجعلناها جزءاً من تراثنا الأدبي استطعنا أن نفضل بعض هذه القطع على بعض .

والواقع أنه ليس في النتاج الأدبي قطع جيّادٌ وقطع رديئة . إن التراث الأدبي يتألّف من قطع جيّاد فقط ؛ وليست القطع الرديئة من الأدب أصلاً . ولكن متى تُعدّ القطعة جيّدة ؟ وما أقلّ عددٍ من الخصائص نطلبه حتى نعدّ القطعة المفروضة أدباً ؟

نحن في زمن تكثر التأليف فيه في كل مكان وفي كل فن من فنون المعرفة الإنسانية . والإنتاج الأدبي ، في كل مكان ، أكثر فيضاً من سائر فنون المعرفة (من مثل الرياضيات والفلك والكيمياء والموسيقى وعلم الآثار) . والسبب في ذلك واضح : هو أن العلوم الرياضية والطبيعية وما يجري مجراها علوم موضوعية ذوات قواعد ثابتة مربوطة ببراهينها . فليس من الممكنة في كل إنسان أن يهجم على التأليف فيها . إن المؤلف في هذه العلوم يعرف من تلقاء نفسه أين يقع الخطأ في ما ألف أو جمع . أما في العلوم الإنسانية (في الأدب والاجتماع والفن الوصفي) فالمدار على الأحكام النسبية بالإضافة إلى المكان والزمان وإلى ثقافة المؤلف والقارئ . وهذه الأحكام تختلف عادة بين زمان وزمان ، وبين مكان ومكان . ثم بين شخص وشخص في المكان الواحد والزمان الواحد . إن المؤلف يستطيع أن يجادل بالألفاظ المركبة والحجج الشخصية عن إنتاجه الرديء في ما يسميه هو أدباً أكثر مما يستطيع أن يدافع عن عمله الرديء في العلوم الرياضية والطبيعية .

* * *

والمألوف في التعريفات أنها مقبولة على أنها « كل » غير خاضع للتجزئة . نحن لا نستطيع أن نقول في الهندسة مثلاً : « إن هذا المربع مستطيل قليلاً » ، ذلك لأن الشكل الرباعي الأضلاع إذا لم يستوف شرط التريع كاملاً فإنه لا يسمّى مربعاً أصلاً . وكذلك نحن لا نسمّي الشكل الهندسي دائرة (أو محيطاً للدائرة على الأصح) إلا إذا كان خطاً دائراً متصلاً تبعد جميع النقاط فيه عن نقطة داخلية واحدة مفروضة بعداً واحداً . فإذا اضطرب هذا الخط أو انثغر في نقطة واحدة بطل أن يكون محيطاً للدائرة وعاد خطاً منحنيّاً فقط .

على أننا في العلوم الإنسانية لا نفعل ذلك عادة . إننا نقبل ، فيما بيننا ، أمثال هذه الجمل : فلان أديب من الطبقة الثانية ؛ فلان سياسي قدير ولكنه قليل الإخلاص ؛ فلان رسّام ولكنه لا يحسن مزج ألوانه ! لقد كان علينا ألا نقبل أديباً من الدرجة الثانية ، وألاً نعرف بسياسي قليل الإخلاص ، وألاً

نَقِيرَ لِرَسَامٍ لَا يَحْسَنُ مَزْجَ الْأَلْوَانِ . وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْبَشَرَ عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ مِنَ الْفَهْمِ وَمِنَ الْإِخْتِبَارِ وَمِنَ التَّنْقِيفِ ، فَانْهَمَ يَقِيسُونَ الْجُودَةَ فِي الْفُنُونِ الْإِنْسَانِيَةِ بِالْإِسْتِعْدَادِ النَّسْبِيِّ الَّذِي فِي نَفْسِهِمْ ثُمَّ يَقْبَلُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَحَاوَلَاتِ الْإِنْسَانِيَةِ مَا يَزِيدُ فِي مَسْتَوَى الْجُودَةِ عَمَّا يَسْتَطِيعُونَ هُمْ أَنْ يَصِلَهُ إِلَى مِثْلِهِ . فَالْتَسْمِيَّاتُ الَّتِي يَخْلَعُهَا هَؤُلَاءِ عَلَى الْمَحَاوَلِينَ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَةِ (مِنْ أَمْثَالِ : أَدِيبٍ أَوْ شَاعِرٍ ، خَطَّاطٍ أَوْ رَسَامٍ ، مُؤَرِّخٍ أَوْ عَالِمِ اجْتِمَاعِي ، سِيَاسِيٍّ أَوْ اقْتِصَادِيٍّ) إِنَّمَا هِيَ تَسْمِيَّاتٌ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ هُمْ وَإِلَى مَا يَحْسَنُونَ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ وَمَا لَا يَحْسَنُونَ ، وَلَيْسَتْ هِيَ تَسْمِيَّاتٌ ذَاتِيَّةٌ فِي تِلْكَ الْفُنُونِ نَفْسَهَا .

أَمَّا الْأَحْكَامُ الْمَهْنَدِسِيَّةُ فَانْهِيَ مَقْيِسَةٌ بِقَوَاعِدَ بَدِهيَّةٍ أَوْ قَابِلَةٌ لِلْبُرْهَانِ فِي الْأَشْكَالِ الْمَهْنَدِسِيَّةِ نَفْسَهَا . هَذِهِ الْقَوَاعِدُ جُمِعَتْ فِي أَيَّامِ أَقْلِيدِسَ ، مِنْذَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ قَرْنًا ، وَلَا تَزَالُ إِلَى الْيَوْمِ لَمْ تَبْدَلْ وَلَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِ أَحَدٍ أَنْ يَبْدُلَهَا (فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَهْنَدِسِيَّةِ الْإِقْلِيدِسِيَّةِ) . أَمَّا الَّذِي تَبْدَلُ مِنْهَا فَعَلَا (كَجَوَازِ التَّقَاةِ الْمُتَوَازِيَيْنِ فِي اللَّانْهَائِيَّةِ) فَقَدْ بَطُلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَهْنَدِسَةِ أَقْلِيدِسَ ثُمَّ أَصْبَحَ تَابِعًا لِفَنِّ قَائِمٍ بِذَاتِهِ (هُوَ النَّظَرِيَّةُ النَّسْبِيَّةُ) .

* * *

سَيَقُولُ آخَرُونَ مِنَ النَّاسِ : « أَنْتَ ، يَا فُلَانُ ، تَرِيدُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الشَّعْرِ عَلَى أَنَّهُ ذُو قَوَاعِدٍ كَقَوَاعِدِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ ! » يَجِبُ أَوَّلًا أَنْ نَصْحَحَ لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ جَمْلَتَهُمُ الَّتِي سَاقُوا فِيهَا اعْتِرَاضَهُمْ ؛ إِنَّ الَّذِي أُرِيدُهُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِلشَّعْرِ فِي نِطَاقِهِ هُوَ قَوَاعِدُ كَقَوَاعِدِ الْمَهْنَدِسَةِ فِي نِطَاقِ الْمَهْنَدِسَةِ ، وَكَقَوَاعِدِ الْكِيمِيَاءِ فِي نِطَاقِ الْكِيمِيَاءِ ، وَكَقَوَاعِدِ النَّسِيجِ فِي نِطَاقِ صِنَاعَةِ النَّسِيجِ .

إِنَّ الْإِجَادَةَ الْمَقْدَّرَةَ بِأَصُولٍ ثَابِتَةٍ مِنَ الْعِلْمِ هِيَ السَّبِيلُ لِلْحَكْمِ عَلَى الْإِنْتِاجِ الْوُجْدَانِيِّ : هَذِهِ الْإِجَادَةُ فِي نِظْمِ الشَّعْرِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْ صَاحِبِ ذَلِكَ الْإِنْتِاجِ شَاعِرًا ؛ فَإِذَا لَمْ تَتَوَفَّرْ لَهُ الْإِجَادَةُ الصَّحِيحَةُ الْمَقْدَّرَةُ بِأَصُولِ الْعِلْمِيَّةِ فَهُوَ بَعْدُ نَازِمٌ فَقَطْ .

نرجع الى حديث النقد الأدبي .

ان القطعة المفروضة في الإنتاج الوجداني تكون من التراث الأدبي :

١ - إذا كانت أنماطها ملائمة لمعانيها المقصودة ، سهلة المخارج من أجزاء النظم ، عذبة الوقع في الأذن . مألوفة عند جمهور المثقفين .

٢ - إذا كانت تراكييبها صحيحة منطبقة على القواعد المقولة في اللغة المروية من حياة الأمة في النطاق الوجداني والمدى الاجتماعي .

٣ - إذا كانت تعالج غرضاً من الأغراض الملازمة لحياة الأمة ، ثم كان ذلك الغرض . في زمن إنتاج القطعة الأدبية المفروضة . ملائماً أيضاً لعاطفة صاحب تلك القطعة ومداخلها جانب من جوانب تفكيره . في هذه الحال يصبح صاحب تلك القطعة . في قطعته تلك . ممثلاً لعبقريته قومه ومصوراً لحياتهم في إطار أدبي يؤثر في النفس الإنسانية خاصة وعامة .

٤ - إذا كان فيها صناعة فنية من الاجواء إلى أوجه البلاغة المختلفة حتى يضمني ذلك عليها عنصراً من الخيال يحسم حقيقتها في الأذهان ويصل بالأثر المطلوب من إنتاجها إلى أفهام الكثيرة المطلقة من قوم صاحبها - على صور حقيقية أو متخيّلة - وذلك على الرغم من اختلاف درجات الاستعداد الشخصي في أولئك القوم ومن اختلاف درجات التنقيف التي هم عليها . ان الصور البلاغية في القطعة الوجدانية هي التي تدخل تلك القطعة في إطار التراث الأدبي .

٥ - إذا كان فيها نفاذ بصيرة . وكانت الآراء التي فيها توافق الواقع وتساير الاختبار الإنساني في تطوره الخاص (في قوم صاحبها) أو في تطوره العام (في معظم الأقوام)

٦ - أن يكون فيها شعور يسمو على شعور سائر الناس في ناحية واحدة من النواحي . على الأقل . حينئذ تستطيع عين صاحبها أن تكتشف في الموضوع المادي الذي تصفه . كما يستطيع فكر صاحبها أن يلمح في الموضوع المجرد الذي يعالجه ، ما لا يستطيع غيره أن يكتشفه أو أن يلمحه بنفسه . بهذا ينفرد صاحب القطعة الوجدانية عن كثيرين من أنداده ويصبح خليفاً باسم أديب .

٧ - أن يكون فيها وعيٌ للصناعة الآلية فلا يفارق صاحبها الأصول التي يسير عليها أهل تلك الصناعة . وكذلك يجب أن يكون فيها استواء في العمل الفني فلا يكون فيها تفاوتٌ أو اختلاف في مراتب الجودة ، أو أن يكون فيها اضطراب يخرج بها عن حد الجودة .

٨ - أن يكون صاحبها ملماً بالفنون المتصلة بفنه المخصوص . ان الشاعر مثلاً « ليس مزخرفٌ جميلٌ بالكلمات » ، ولكنه صاحب صناعة يتناول أغراضها من طريق الحياة ؛ فعلى الشاعر أن يكون ملماً بجوانب الأغراض التي يتناولها في شعره . ليس من الضرورة أن يكون الشاعر عالماً بالفلك والتاريخ ، ولكن عليه إذا تناول غرضاً من الفلك أو التاريخ ، أو إذا هو مسّ ذلك الغرض مسّاً ، أن يكون ملماً بذلك الغرض على الأقلّ فلا يأتي به على غير وجهه فيفسد الصورة الشعرية التي يريد أن يحملها إلى أذهان الناس أو يُعَمِّقها على أفهامهم .

٩ - أن يكون فيها رسالة يشعر الأديب أنه يؤدّيها على وجه من الوجوه المحمودة ، ذلك لأن لكلّ عمل - في نطاق عالم الإنسان وفي نطاق عالم الطبيعة الجامدة أيضاً - غاية تجعل الإنسان يدرك في نفسه على الأقلّ أنه قد أصبح بعد عمله هذا أفضل مما كان من قبل . والمقاييس التي تُقوّم هذه الرسالة مأخوذة من حياة المجموع الصغير الذي يعيش فيه الأديب ثم من حياة المجموع الكبير الذي يعيش فيه قوم ذلك الأديب .

١٠ - أن يكون فيها أسلوب خاص هو الأسلوب الذي يتميّز به صاحبها في تاريخ التراث الأدبي . إذا كان ناظم الشعر يطبع ما ينظمه على أساليب غيره ثم لا يخرج بعد ذلك بأسلوب خاص به تُعرف به أشعاره عند تطبيق أصول النقد ، فليس خليقاً أن يقال له شاعر ، لأنه يكون عندئذ صورةً لشاعر آخر هو أحق منه بهذا الاسم .

وهنا يعترض النفر الآخرون من الناس مرّة ثانية فيقولون :
ولكن ، ما مقام العنصر الإنساني والطابع الشخصي في الأدب ؟

وأنا هنا أيضاً أحب أن أصحح الجملة التي سبق فيها الاعتراض الثاني ؛
انهم يَقتضون أن يقولوا : ما قيمةُ الاختبار الفردي في الأدب ؟ إن هذا
الاختبار الفردي لا قيمةَ له أبداً ما لم يندرج في جانب من جوانبه على الأقل في
القاعدة الثالثة من القواعد العشر السابقة .

حينما نقول : « غابة » ، فاننا نعني شجراً كثيراً من نوع واحد نابتاً نباتاً
طبيعياً أو نباتاً صناعياً قديماً . فاذا رأينا رجلاً قد زرع في حديقة بيته شجرة أو
عشر شجرات أو أقل من ذلك أو أكثر ، فاننا لا نسمي تلك الشجرات
« غابة » !

الرجل الذي نظم قصيدة واحدة لا نسميه شاعراً . والمقطوعة الطويلة التي
يرد فيها بيت جيد أو بيتان جيدان لا نسميها قصيدة . حتى الجُمْلُ التي تأتي
عفواً على أحد أوزان الشعر ، فاننا لا نسميها أبياتاً .

وكذلك حينما تخطر لرجل صورة غامضة ثم يعبر عنها تعبيراً غامضاً (إذ
لا يمكن أن يكون التعبير عن الصورة الغامضة إلا تعبيراً غامضاً) أو تعبيراً
بدعي هو أنه يفهمه . ولكن لا يفهمه أحد سواه ، حتى أولئك الذين رزقوا
حظاً من الفهم والعلم ، فاننا لا نستطيع أن نعد هذا التعبير من الأدب بحجة أن
صاحبه قد توهم أنه بتعبيره الغامض عن الصورة الغامضة في ذهنه ينتج أدباً .

ان هذا الكلام يقودنا إلى سؤال واضح :

ما موقف النقد العربي من قسم من الإنتاج الوجداني الحديث الذي يسميه
أصحابه شعراً ؟

يجب أن أبداً جوابي هنا بملاحظتين :

(أ) في الشعر العربي منذ الجاهلية قوم ادّعوا الشعر ولم يقرّ لهم أحد بذلك
(كما أن نفرّاً من الناس ، منذ أيام اليونان الإغريق ، قد ادّعوا أنهم كانوا
علماء في الكيمياء ، وأنهم كانوا قادرين على أن يحولوا المعادن الخسيسة
كالرصاص والنحاس إلى معادن شريفة كالفضة والذهب ، ولكننا نحن لم نُقرّ
لهم بذلك . فلا دعواهم المعرفة بصناعة الكيمياء ولا ورود ذكرهم في كتب

العلم والتاريخ كان مبرراً لأن يجعل منهم علماء كيماويين . فهولاء الذين يطبعون الكلام على شكل الشعر لن يُسمَّوا شعراء كما لم يُسمَّ أولئك الذين ادَّعوا علم الكيمياء كيمايين !

(ب) في عالم الطبيعة أمثلةٌ أو نماذجٌ للموجودات : وأعيان الموجودات تتكرر في عالم الطبيعة على تلك الأمثلة لا يفارق كل نوع مثاله المخصوص به في العادة. غير أنه قد يطروء طارئ على نوع من الموجودات فيُخرجُ (ذلك الطارئ) من أحد أصول ذلك النوع فرعاً أسمى من أصله . من هذا الجنس العباقرة . وفي أحوال كثيرة يطروء الطارئ فيُخرجُ فرعٌ أدنى في سلّم التطور الطبيعي من أصله فيكون في العالم أولئك المشوهون . وسواء أكان التشويه ظاهراً أو غير ظاهر — وهو مظهر لقاعدة طبيعية ليس للإنسان يد فيها — فإن آثاره تكون دائماً ظاهرة . هذه الآثار الجديدة والغريبة على كلّ حال تَمَسُّلُ أمام عيون الناس ؛ وكلّما كان الإنسان أقرب في التشويه الباطن في نفسه إلى تلك الصورة الشوهاء ، اتَّسَقَتْ تلك الصورة الشوهاء مع نفسه . وإلا فكيف نفسّر عمل الرجل الذي يمر بصورة من ريشة روفائيل أو بتمثال من إزميل ميكالانجيلو فلا يُلقَى إلى أحدهما بالاً ثم هو يدفع ألوفاً ومئات الألوف ثمن قطعة من النسيج عليها خطوط ولطخات من ألوان متنافرة ليعلقها في مكان من بيته قريب من عينيه . لا ريب في أن التناج المشوّه في الفن والصناعة وفي النثر والشعر نتيجة لتشويه في نفس صاحبه (وأحب من القارئ أن يحمل كلمة التشويه في هذا الفصل من الكتاب على الدلالة على اختلاف أحد الفروع عن الصورة المخصوصة بأصله لا على المعنى الذي يحمل تجريحاً) .

لما قال مسلم بن الوليد في وصف الخمر :

سَلَّتْ فَمِلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولاً .

قال له زميله وصديقه أبو نواس : « والله ، لو وقفت عارياً في الأسواق ترْجُمُ الناس بالحجارة لكان ذلك أحسن لك من هذا ! »
وكلّ الناس تمر بهم غفلات من التشويه ، كما اتفق لمسلم بن الوليد .

وقد وقع في مثل ذلك أيضاً أحمدُ شوقي لما قال في ملوك مصر من الفراعنة :
وتاجٍ من فرائده ابن سبتي ، ومن خرزاته خوفو ومينا !
ولم يفطن إلى أن لفظة « خرزاته » قبيحة ، على الرغم من أنها وردت في
الشعر الجاهلي في قول القائل « خرزاتُ مُلْك » .
غير أن هذا التشويه اليسير العارض يُوجبُ النقد على اللفظة والبيت ولا
يوجب الحكم على الشاعر .

ولكننا أحياناً نجد مثل هذا التشويه في بعض الإنتاج الجوداني وكُنداً ومُتَكأ
لا يكاد صاحبه يتخلص منه (من التشويه) . فحينئذ ننتقل من النقد على
اللفظة والبيت إلى الحكم على الشاعر . ومن الإنصاف أن نقول إن أصحاب هذا
الجنس من القول يحبون أن يعبروا عن آرائهم وعن الصور التي في أذهانهم
رمزاً . إلا أن الرمز نفسه ، وهو الاستعارة البعيدة المتطرفة . يحسن في الجملة
بعد الجملة أو في البيت بعد البيت ، ثم في القطعة بعد القطعة أو في القصيدة بعد
القصيدة . وأما أن تكون القصيدة مرصوفة بالمرامز (أو الاستعارات البعيدة
المتطرفة) فأمر خارج عن سنة العرب وعن منهاج العقل جملة . وأحب أن
أذكر هنا أن كلمة « مشوه » ليست اختراعاً لي . ولكنهم في اللغة الألمانية
بطلقون على طريقة الرسم التي تخالف السنة المألوفة في الرسم (التي لا تحاول
النقل عن الطبيعة ولا تحسين الطبيعة ، بل تكتفي بأن يلقي الراسم على النسيج
الصورة كما تراءى له في خياله المعوج) اسم « الفن المشوه » Entartete
Kunst ، ويذكرون (أو كانوا يذكرون في أيام الحكم النازي) أن هذه
الطريقة من صنع اليهود حتى يشوه اليهود أذواق الشعوب في الفن كما شوهوها
في السياسة والاقتصاد .

كنت مرة في المكتبة فوقفت أمام قسم الدواوين ثم تناولت منها بضعة دواوين
تسمي حديثة وقلبت صفحات بعضها تقليباً يسيراً ، من غير أن أقصد التقصي
والتفتيش ، وأكتفي من كل ما قرأت بالكلام التالي (ولا أحسبه أكثر الأقوال
تطرفاً واعوجاجاً) :

نبأ عن شعة أمرعت
في الثنايا نبأ نضر
نبأ عن ميسة الأرض في
سوفها والله يفتكر .

»

لا ضرورة إلى ذكر صاحب هذا الكلام لأن المقصود هنا « ما قيل » لا
« من قال » . قد أُعْمِلُ أنا فكري ، أو تعمل أنت فكرك ، في استجلاء
المعنى الذي قصده صاحب هذا الكلام ثم نصل إلى ما قصد أو إلى قريب مما
قصد . ولكن من احترام العقل أن نوفره لمهام غير هذا الكد في ما لا طائل
تحت ولا جدوى منه ولا فائدة فيه ولا معول عليه ولا نفع معه ثم لا سبيل إليه .

» * *

ونخص الآن أبا تمام بكلمة : ما دامت هذه الملاحظات ستكون مقدّمة في
دراسة حياته ولشعره .

أبو تمام شاعر على المذهب الشامي مغرم بالتصنيع (تكلف أوجه البلاغة)
وقل أن أخلى بيتاً (تركه بلا وجه من أوجه البلاغة) ، ثم هو كان يغوص على
المعنى البعيد ويسوقه أحياناً في اللفظ العسير ثم يُثقله بالتكلف اللفظي . غير أن أبا
تمام كان جاداً في ما يفعل . وهو لم يفارق في ذلك مألوف العرب . وكثيراً ما
كنت أنا أستغرب اللفظة في شعره فأرجع إلى القاموس فأرى أنه قد استعمل
تلك اللفظة في المعنى الذي هو لها في وضعها اللغوي في أيامه أو قبل أيامه . ومع
ذلك فإن النقد قد حملوا عليه من أجل هذا التطرف القليل بحملات كثيرة
وتحاملوا عليه ثم حملوا عليه من اللوم فوق ما يحتمله ذنبه في ذلك . وبعد فإن
لأبي تمام كثيراً ما لوفاً أحسن فيه إلى جانب ذلك القليل المتطرف الذي أساء فيه .
من أجل هذا لا نرى المسلك إلى ديوان أبي تمام أيضاً سهلاً ، ولا النظر فيه
هيناً . اننا نحتاج في تفهّم شعر أبي تمام عادة إلى دورة عقلية لا تستقر على معنى

من معاني أبي تمام الخاصة قبل أن تستعرض ما تستوعبه من اللغة والاجتماع والفلسفة والأدب . ثم لا يفي ذلك بما تريد فترجع أدراجك لتستأنف النظر في الاستنباط والتخريج ؛ فإذا أنت فعلت ذلك كله كنت أمام شعر أبي تمام حبيب بن أوس كما قال ابن الرومي في وحيد المغنية :

فهي العيش ما يزال متى استع رضى يملئ غرائباً ويزيد !
ويلاحظ القارئ أنني قد تبسّطت في شرح الأبيات ، سواء منها تلك التي هي من باب الاستشهاد في أثناء الدراسة وتلك التي جمعت في المختارات . وذلك ، فيما رأيت ، لسببين :

السبب الأول : ان هذا الكتاب سيقع بين أيدي كثيرة ، كما هي الحال في شأن كل كتاب . فإذا كان الأدباء والمعتنون باللغة والأدب سيجدون فيه عدداً من الشروح هم في غنى عنها ، فإن هذه الشروح ستكون مفيدة جداً للناشئين في الأدب وللاذين هم على عتبة الدراسة فيه .

السبب الثاني : ان شعر أبي تمام في ذاته يحتاج إلى عدد من الشروح : الكلمات التي تحتاج إلى الشروح في شعر أبي تمام كثيرة ، والتراكيب والمدارك وأوجه البلاغة والاشارات التاريخية كلّ هذه تحتاج في ديوان أبي تمام إلى شروح ونحتاج أحياناً إلى تبسّط في الشرح .

ومع أن الأبيات المستشهد بها في ثنايا الدراسة ، مع اعتبار المكرر منها أو التي ليست لأبي تمام أيضاً ، لا تنقص عن ثلاثمائة بيت ، فإني قد ألحقت بهذه الدراسة خمس قصائد تامة تقرب أبياتها من مائتين وخمسين بيتاً .

ولقد حرصت على أن تكون هذه القصائد المختارة تامة لأنها في الدرجة الأولى قصائد لأبي تمام مشهورة جداً ، إن لم تكن أشهر قصائد أبي تمام كلها . ثم ان أبا تمام يتصرف في أثناء القصيدة تصرفاً مختلفاً ، فلا يستطيع الدارس أن يستجلي خصائصه تامة في القصيدة إلا إذا كانت تلك القصيدة أمامه تامة . لقد كان من الضروري ، على هذا الأساس ، أن يكون أمامنا ديوان أبي تمام كاملاً (كما يحسن أن نفعل ذلك في دراسة كل شاعر آخر) ، ولكن لا بد في كلّ

دراسة من الاختيار والتخيّر ، ثم ان القارىء يستطيع . إذا أراد ذلك أو إذا احتاج إليه ، أن يرجع بنفسه إلى الديوان فيبلغ ما شاء من أمنيته .

وبعد ، ان شعر أبي تمام في الحقيقة مُتعة للعقول المثقنة بمعانيه وبصناعاته اللغوية . وأنا لا أنكر الطريق الوعر الذي يُجهِدُ القراءُ فيه أنفسهم إذا أرادوا أن ينتزّوها في هذا الفردوس الغريب . ثم أن ما نراه اليوم من هذا الأدب الخفيف الذي يُدفع إلى الأسواق في الأغلفة الملوّنة يقتضي أن يُوازن بدراسات لشعراء من نمط أبي تمام . لقد قيل منذ زمن بعيد : أن السكر مادة حلوة لذيدة في الفم وفيها أيضاً شيء من الغذاء ، ولكنه لا يكفي لحفظ الحياة .

ان الأدب الإنشائي الآماع قد يفيد في استجلاب الناس قبل وقت النوم الطبيعي عند نهر من الذين اضطربت طبيعة النوم فيهم ، وقد يدغدغ خيال الذين يحبّون أن يحيّوا على مائدة خيالهم وعلى الانفعال في أعصابهم أو بتحديث أنفسهم بالأمانات التي لا يستطيعون أن يحققوها في حياتهم العادية ، ولكنه لا يصلح للذين استوت فيهم الطبيعة الإنسانية وملكوا أعصابهم في يقظتهم ونامهم وروّضوا خيالهم على الاحتكاك بحقائق الحياة . ان الذين يريدون أن يدخّنوا لفاقة من الأدب حتى يُغرقوا همومهم الكبيرة عندهم هم ، والتي لا قيمة لها في حقيقتها هي . لن يصبروا على قراءة هذا الكتاب لأنهم لا يستطيعون الصبر على شعر أبي تمام وعلى الشعر الذي هو من تجرّ شعر أبي تمام . يكفي هؤلاء — إذا كانوا يصرون على موقفهم من الأدب ومما هو الأدب — أن يكتفي أحدهم ببضعة أبيات من الأبيات المشهورة لعمر بن أبي ربيعة أو لأبي نواس وألا يجاوزوا هذه الأبيات إلى غيرها أيضاً . يجب نحن أن نذكر أن الكفاح هو قانون الحياة ، وأن « الأجر على قدر المشقة » أساس صحيح لمواجهة الحياة . ان الذي يعرف خمسمائة كلمة من لغة قومه لا يستطيع أن يدرك من حقيقة أدبهم وجماله ما يدركه الذي يعرف عشرين ألفاً . والذي لا يعرف إلا لغة واحدة لا يستطيع أن يدرك الحقيقة والجمال في عقليات الأقوام المختلفين كالذي يعرف لغتين أو ثلاث لغات .

ان العقل لا يعرف المذاهب الاشتراكية المألوفة عند الذين لا يعرفون حقيقة الاشتراكية . نحن نستطيع أن نوزّع على المحرومين ، وعلى غير المحرومين أيضاً ، خبزاً ولباساً وأراضي وبطاقات لحضور الحفلات التمثيلية ولركوب الطائرة ، ولكننا لا نستطيع — مع الأسف — أن نوزّع تذوقاً أدبياً وإدراكاً عقلياً وثقافة فنية على الناس ، ولا نحن مستطيعون أن ننقل ما نملكه أحياناً من هذه إلى أولادنا كما ينقل الأغنياء أموالهم وأملأهم وأمجدهم الدنيوية إلى وراثتهم . لا سبيل لك إلى فهم الهندسة إلا إذا درست الهندسة كما يجب أن تُدرس الهندسة ، وكذلك لا تستطيع فهم الشعر إلا إذا درست الشعر كما ينبغي أن يُدرس الشعر . ان الطبيب قد يضع لك الدواء في غلاف من السكر : إن عمل السكر في غلاف الدواء أن يقنك بأخذ الدواء ؛ وأما الذي يشفيك فهو الدواء نفسه . أما إذا كنت تستطيع أن تأخذ الدواء المرّ بلا غلاف من السكر فاعلم عندئذ أنك لست مريضاً ، لأن المريض هو الذي لا يمكن أن يبرأ من مرضه .

أريد أن أقف هنا عن ضرب الأمثلة وأن أتقدم معك إلى دراسة أبي تمام على الأسلوب المألوف في الدراسات الأدبية التي ترمي إلى كشف جانب من الحياة الإنسانية أو تثبيت حقيقة من الحقائق الفكرية . وأنا على مثل اليقين أن في الفائدة الحقيقية متعة حقيقية أيضاً .

أبوتكمام

جاسم

كان على يمين الطريق الأعظم الذي كان يمتدّ بين دمشق وطبرية بلدة صغيرة تدعى جاسم . هذه البلدة كانت تبعد عن دمشق ثمانية فراسخ ، كما ذكر ياقوت^١ ، . وهي من كور حوران في كورة الجولان أو الجيدور ، والجولان والجيدور كورة واحدة . وزاد المقدسيّ في التفصيل فقال^٢ : « وتأخذ من دمشق إلى الكسوة بريدين ، ثم إلى جاسم مرحلة ، ثم إلى فيق مثلها ، ثم إلى طبرية بريداً »^٣ .

ويبدو أن جاسم هذه هي التي كانت تقع على الدرجة الأربعين من خطوط الطول وعلى نحو الدرجة ٣٦ والدقيقة ٤٠ من خطوط العرض . على أن هذه تبعد عن دمشق مسافة تختلف عمّا قدره ياقوت كثيراً^٤ . ثم اننا لا ندري ما قصد الأصفهاني بقوله^٥ عن أبي تمام : « إن مولده ومنشأه بناحية منبج بقرية

(١) ياقوت ٢ : ٨

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ليدن ١٨٧٧) ، ص ١٩٠ .

(٣) هذه مسافات تعرف بالتقريب (راجع تاج العروس ٢ : ٢٧٢ ، ٢٩٨) .

(٤) انظر موقع جاسم على الخارطة في :

Al - Muqaddasi, Blanches VIIa et VII b (pp. 160 - 161) .

تقع جاسم على نحو ٣٢ كيلومتراً من فيق ، وعلى نحو ٧٥ كيلومتراً جنوب دمشق ، وعلى نحو ٣٥ كيلومتراً شمال أذرعات .

(٥) الاغانى ١٥ : ٩٦ (بولاق)

يقال لها جاسم » . أَلعلّ هنالك غير منبج التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة حلب ؛ أم أن هنالك غير جاسم التي تقع في حوران ، إلى الجنوب الشرقي من دمشق ؟ أو لعلّ الأصفهانى وهيم فأراد أن يجعل مولد أبي تمام قريباً من مولد تلميذه البحتري ، والبحتري كان مولده في منبج^١ .

وكان أهل أبي تمام ينزلون بجاسم وبعيجاء ؛ وعيجاء أيضاً من قرى حوران^٢ .

في جاسم

كان رأس الأسرة التي خرج منها أبو تمام رجلاً نصرانياً اسمه تدوس العطّار^٣ . ولهذا الاسم قراءات مختلفة : تدوس ، تدرس ، ندوس الخ ؛ لعلّ أقربها إلى الصواب تدّوس (ناذوس) المجزوءة من ثيودوسيوس اليونانية في الأغلب^٤ . وهكذا يبدو أن تدوس هذا كان من الجالية الرومية (اليونانية ، البيزنطية) التي كانت في الشام (سورية) قبل الفتح الإسلامي ؛ أو أنه جاء إلى الشام بعد ذلك .

وينكر نجيب محمد البهيتي^٥ أن يكون أبو تمام يوناني الأصل ثم يرى أنه عربي صريح . أما نصرانية أبي تمام فلا يستغربها البهيتي في أول الأمر ، لأن أبا تمام — فيما يرى البهيتي — نشأ في طيء ، وطيء عنده « هذه القبيلة الوثنية النصرانية اليهودية المسلمة ذات الاتصال الوثيق بالفرس والروم في الجاهلية

(١) ياقوت ٣ : ٧٥٠ .

(٢) ياقوت ، تحت عيجاء ، (طبعة مصر ١٩٥٦ : ٢٤٥)

(٣) أخبار أبي تمام ٢٤٦ ؛ وفيات ١ : ٣٣٤ .

(٤) كما قرأها مرغوليوس (Enc Isl I ١09) ؛ أو ثيودوس ، كما قرأها رتر (Enc Isl. new

ed. I 153) ثم راجع GAL I 83 — ونحن اليوم نقول « قسطة » مجزوءة من قسطنطين ،

وثيو مجزوءة من ثيودوسيوس . وفي القاموس (٢ : ٢٢١) : سدوس (بضم السين

وفتحها) رجل طائي .

(٥) أبو تمام الطائي ، الصفحة (و)

والإسلام^١، بعدئذ يصرّ البهيتي على نسبة أبي تمام إلى طيء دماً وولادة، ويرى أن نصرانية أبيه لا تتعارض مع طائيته. وهو يعتذر عن ذلك بقوله^٢ : « فقد رأينا من قبل كيف كانت النصرانية في طيء وكيف بقيت فيهم بعد الاسلام ». وأخيراً، بعد أن يجادل البهيتي في عشر صفحات كبيرة عن نصرانية أبي تمام وطائيته يعود فينكر أن يكون أبو تمام أو والده نصرانيين ويقول^٣ : « ودعك من نصرانية أبيه ، فما كانت الا من افتراء خصوم أبي تمام » .

ان البهيتي ، في ذلك كله . قد بذل جهداً مُضَيَّعاً : لقد أراد أن يغمس قبيلة بأسرها في النصرانية وفي الحضارة اليونانية ، قبل الاسلام وبعده . ليزيد شخصاً واحداً في العرب . وبعد فإنه نقض بعد صفحات ما كان قد غزله . ثم إنه لم يفعل أكثر مما كان الاب لويس شيخو اليسوعي قد حاول فعله قبل نصف قرن من الزمن^٤ .

مولده

ولد أبو تمام حبيب بن ثدوس العطار في الثلث الاخير من القرن الثاني للهجرة . وقد روى الانباري عن تمام ابن الشاعر^٥ ان ذلك كان سنة ١٨٨ هـ ؛ وعدّ ابن خلكان^٦ غير عام ١٨٨ اعوام ١٧٢ ، ١٩٠ : ١٩٢ هـ .

اما ابن عساكر فاعتمد^٧ السنة ١٨٨ وشك في السنة ١٩٠ ؛ والتاريخ الاول احسن انتظاماً في ترجمة ابي تمام ، وأكثر اتساقاً مع حوادث حياته .

(١) أبو تمام الطائي ٢٨ .

(٢) مثله ٢٩ .

(٣) مثله ٦٢ .

(٤) شعراء النصرانية بعد الاسلام ٢٥٦-٢٥٩ .

(٥) نزهة الالباء ٢١٤ ، ٣٢٥ .

(٦) وفيات ١ : ١٥٢ ؛ مطبعة الوطن ١ : ٢١٧ .

(٧) تهذيب التاريخ الكبير ٤ : ١٨ ، ٢٦ . راجع في مولد ابي تمام ايضاً اخبار ابي تمام

٢٧٢ ؛ هبة الأيام ٩ ؛ ياقوت ٢ : ٨ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٤ ؛ الخ .

في دمشق

ثم بدا لثدوس العطار - لسبب من الاسباب - ان يترك جاسم وينتقل الى دمشق . فلما نزلها افتتح حانوت خمر - صنعة كانت محصورة في غير المسلمين وغير العرب - وارسل ابنه حبيباً يشتغل عند حائك (وفي رواية قزاز - بائع قز وهو الحرير) .

نشأ حبيب وشب في دمشق؛ ورأى فيها قوماً يحسنون عليه . فلما بلغ سنّاً تقرب من سن الرشد ، وبدأت مواهبه بالظهور اعتنق الاسلام واصبح شديد الحماسة في الدفاع عنه ، واشد حماسة في مهاجمة اعدائه . ويكفي ان تلقي نظرة واحدة على قصائده في مدح الخلفاء لتعلم ان اسلامه كان وطيداً متيناً ، وانه لم يعتنق الاسلام حباً في اجتذاب الدنيا اليه^١ . ويلوح لنا أنه اسلم وحده وبقي اهله على دينهم ، كما يلاحظ في قوله^٢ :

نأيت ، فلا مالاً حويتُ ، ولم أقيمُ فأمتعَ ، اذ فُجِّعَت بالمال والاهل^٣ .
بَخِلْتُ على عِرْضِي بما فيه صَوْنُه رجاءَ اجتناءِ الجود من شجر البخل .
عَصِيَتْ شَبَاباً حَزَمِي لطاعة جيرة دعني الى ان افتح القفل بالقفل^٤ .
ويلفت من نظرنا ورود كتاب عليه بنعني أحد اهله ، وكان ذلك الكتاب

(١) امراء الشعر ١٤٤ .

(٢) ديوان خ ٤٢١ .

(٣) كان من الاحزم أن أبقى مع أهلي ، ولكنني فارقتهم (سافرت الى مصر) وأنا اطعم بنيل الغنى من أيد بخيلة .

(٤) عصيت شبا (حد) حزمي (أي : تخليت عن إرادتي في متابعة السفر) لطاعة جيرة (تنفيذاً لرغبة أهلي) الى أن أفتح القفل (أتغلب على الصعاب وأنال الغنى) بالقفل (بالرجوع الى بلدي) . - ورد التعبير « أفتح القفل بالقفل » بضم القافين في شرح الخياط (ديوان خ ٤٢١) ، وشرح شاهين عطية (بيروت ١٨٨٩ ، ص ٣٧٧) وعند الهبيتي (أبوتمام الطائي ٨٩) ، ولم أجد لذلك وجهاً فاخترت أن أجعل القفل الاولى بالضم بمعنى الاداة من الحديد يغلق بها الباب (كناية عن الصعاب وانسداد باب الرزق) وأن أجعل الثانية بالفتح من قفل قفلا وقفولا بمعنى رجع .

موشحاً بالسواد^١. ثم ان ابا تمام غير اسم والده فجعله « اوساً »^٢ ، فما يدرينا اذا كان قد غير اسمه هو ايضاً ؟

في حمص للمرة الأولى

وكان لا بد لأبي تمام من التخرج في فنه ، فذهب الى حمص حيث بدأ حياته الشعرية في مدح اسرة عتبة بن ابي عبدالكريم الطائي ، وكان عبدالكريم شاعراً ففضى ابوتمام أيام تخرجه في جانبه . وكان في حمص ايضاً شاعر أبعد شهرة من عبدالكريم الطائي هو عبدالسلام بن رغبان المعروف بديك الجن الحمصي^٣ ، فأخذ عنه وتأثر به الى حد بعيد .

احتذى ابوتمام شعر ديك الجن فاكسب منه الصنعة اللفظية وسار بها شوطاً بعيداً حتى نسبت اليه ، وحتى قال النقاد : ان ديك الجن يتبع مذهب ابي تمام^٤ ، بدلاً من قولهم : ان ابا تمام يقتفي مذهب ديك الجن .

ولعل أبا تمام اكتسب من ديك الجن شيئاً آخر هو مذهبه العلوي ، لأن عبدالسلام كان يتشيع تشيعاً حسناً ، ولكنه لم يتأثر بشعوبيته^٥ ؛ وأخذ عنه ايضاً الإجادة في الرثاء^٦ .

وفي حمص ايضاً انتسب أبو تمام — في الأغلب — إلى طيء بالولاء ، فقبل « ابو تمام الطائي » ، فان غير العربي إذا أسلم — كما هو معروف في التاريخ — انتسب بالولاء إلى قبيلة عربية ، أو بيت عربي ، أو أسرة عربية . ولقد كان ابو تمام مقيماً في حمص مكرماً لدى الطائيين بني عبدالكريم يأخذ من جودهم ومن أدبهم فكان من أجل ذلك خائفاً أن يُنيط بهم ولاءه ، ويؤثرهم على من

(١) ديوان ١٤٣ ، ديوان س ١ : ٣٩٣ .

(٢) اخبار أبي تمام ٢٤٦ .

(٣) غ ١٢ : ١٤٢-١٤٩ (بولاق) ؛ طبعة دارالكتب ١٤ : ٥١-٦٨

(٤) مثله ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٦ .

(٥) مثله ، راجع ١٢ : ١٤٢ ، سطر ٣ .

(٦) العمدة ٢ : ١١٩ .

سواهم . أما رأي الأب شيخو^١ في رد نسبه إلى طيء فلا تقوم عليه حجة واحدة . إننا نقول ابو تمام الطائي كما نقول مسلم بن الوليد الأنصاري وابو نواس الحكمي وبنار بن برد العُقيلي وكلهم غير عرب . أضف إلى ذلك قول ابن خلكان^٢ : « وقد لُفقت له نسبة إلى طيء » . فأبو تمام إذن كان طائياً بالولاء لا طائياً بالنسب . ولعل افتخاره بطيء إنما هو بأمه الطائية^٣ من جهة أمها أيضاً^٤ . ثم ليس الإتيان بدليل على طائية أمه بأهونَ من الإتيان بدليل على طائيته هو .

* * *

لم يقتصر وجود أبي تمام في حمص على التعلم والتخرج فقط ، بل ترك أصدقاء هنالك كان يحن اليهم ؛ فله في آخر مدحة في سليمان بن نصر^٥ :
فبحقي لما خَصَصْتَ أبا الطيب مني بطيّب من سلام .
وثنائي ، من قبل هذا ومن بعد ، وشكري غضّ لعبد السلام .
فأما عبد السلام فهو ديك الجن ، وأما ابو الطيب فابن عم ديك الجن^٦ .

الرحيل الى مصر

هجر ابو تمام حمص إلى مصر ، في سنة ٢٠٨ أو ٢٠٩ للهجرة (٨٢٣ م) في الأغلب « طلباً للمال » ، نرى ذلك ظاهراً بيّناً في جميع قصائده الأولى ، وخصوصاً ما كان منها في الفخر أو الوصف . لقد كان من الحق أن يذهب إلى بغداد لا إلى مصر ؛ سوى أنه في ذلك الحين لم يكن قد بلغ من الشعر رتبة

(١) شعراء النصرانية بعد الاسلام ٢٥٦-١٥٧ .

(٢) وفيات الاعيان ١: ٣٣٤ (مطبعة الوطن ١: ٢١٤)

(٣) ديوان خ ٢٧١ ؛ راجع تحت ، ص ٣٩

(٤) ديوان خ ٤٧٢ .

(٥) ديوان خ ٢٨٢-٢٨٣ .

(٦) غ ١٢: ١٤٢ سطر ١٥-١٦ .

تلفت الأنظار . ثم ان العمل الذي أخذ يقوم به في مصر لا يدل على أنه قصدها كشاعر ؛ فقد كان يومذاك حدثاً يستقي الماء في المسجد الجامع^١ ليكسب معاشه ؛ أفما كان باستطاعته أن يفعل ذلك في دمشق أو حمص ، أو في بلد أقرب من مصر ؟

يلوح لي أن أبا تمام أراد أن يبتعد عن أهله فقد أسلم وجاهه ، دون أهله ؛ فلم تكن حياته من أجل ذلك هادئة في دمشق ، وهو لم يكن في حمص بعيداً عن دمشق كثيراً ، فشد الرحال إلى مصر .

أبو تمام في المسجد

كانت المساجد في صدر الإسلام وما تلاه إلى زمن قريب مراكز للعلم فانتهز أبو تمام فرصة وجوده بالمسجد الجامع ، يستقي الماء ، ليزداد علماً ؛ كان يلزم حلقات الأدب خاصة ، فاذا طلب أحد شربة ماء سقاه ثم رجع إلى مكانه الأول يستمع إلى إملاء الأديب أو مناقشة أصحابه . ولعل ذلك كان في السنوات الأولى من القرن الهجري الثالث ؛ وعمره يومذاك نحو عشرين عاماً . أما بيته :

وان الذي أخذاني الشيبَ لَلتّي رأيتُ ، ولم تكملُ لي السبع والعشر ؛

فلا يمكن أن يعني أكثر من أن شبّه بدأ قبل السابعة عشرة من عمره ؛ وليس فيه دليل على أنه قال القصيدة التي منها هذا البيت يوم بلغ هذه السن . وبعد أن سقى أبو تمام الماء في جامع مصر ، واستقى العلم وفنون القريض ، ترك السقاية واتصل برجل حضرته^٢ يدعي عيَّاش بن لَهَيْعَة^٣ وأخذ بمدحه . ولكن عيَّاش لم يزد على أن كان يعد أبا تمام ويمنيه ثم يطله . ولا أرى وجهاً لرواية الصولي^٤ : « قال أبو تمام : أول شعر قلته :

(١) مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط (نزعة الالباء ٢١٣) .

(٢) حضرموت : مقاطعة في جنوبي جزيرة العرب ؛ وطيء أيضاً من عرب الجنوب .

(٣) هكذا يضبطها ابن خلكان ٤٣ : ٢ .

(٤) اخبار ابي تمام ١٢١ .

تقي جَمَحَاتِي ، لَسْتُ طَوَّعَ مُؤْتَبِي ؛ وليس جنبي ، إن عدلت ، بمصحي !
ومدحت به عياش بن طبيعة فأعطاني خمسة آلاف درهم . « ان هذه الرواية
لا تتسق مع عتاب أبي تمام لعياش منذ اتصاله به ولا مع هجائه له في آخر
الأمر . ومع ذلك فان نفراً ردوا هذه الرواية وقبوا أن يكون عياش قد أجاز
أبا تمام عليها ٢ .

وما كاد العام الأول يمر على المدحة الأولى في عياش بن طبيعة حتى ضاق
أبو تمام ذرعاً بعياش وقال يعاتبه ٣ :

— الفطروالأضحى قد انسلخا، ولي أملٌ ببابك صائم لم يُفطِرِ .
حوَّلٌ ، ولم يُنتَجِ نَدَاك ؛ وإنما تُتَوَقَّعُ الحُبْلَى لتسعة أشهر ٤ .

ولما لم يجد أبو تمام من عياش سوى مظل على مظل أخذ يهجو هجاءً مرأً ،
ويعرض بأصله ويصمهُ بأنه ليس من العرب ٥ . ثم هجاه أيضاً بعد موته ٥ .
وأصبحت إقامة أبي تمام الآن في مصر ضئكاً ، لضيق ذات يده ولضيق
مذاهبه في بلد تشيبت فيه العصبيات (الفن) :

بمصرَ : وأي مأرُبةٍ بمصر وقد شَعَبَتْ أكابرَها شُعبُ ٦ !

وذلك في الأعم الأغلب بين عامي ٢١٠ و ٢١١ هـ (٨٢٦ م) وما بعدهما .

(١) ديوان خ ٢٣-٢٥ . - تقي : اتقي ، احذري . جنبي : الذي أحمله في جني (قلبي) .
- اذا لمثني وأردت انا ان أسمع منك وأطيع لك فان قلبي لا يوافقني على ما أريد منه .

(٢) راجع مثلاً ابوتمام الطائي للبهيتي ٨١ .

(٣) ديوان خ ٣٩٥-٣٩٧ ؛ راجع اعيان الشيعة ١٩ : ٣٩٦-٤٠٣ .

(٤) الفطر عيد ينتهي به صيام رمضان ، والأضحى عيد يقع بعد سبعة أيام من عيد الفطر - أما
منزل عياش فكان بالاسكندرية (راجع الديوان خ ص ٥٠٣ البيت الثالث ؛ وص ٣٢٣
البيت الثالث عشر) .

(٥) ديوان خ ٥٠٦ ، اعيان الشيعة ١٩ : ٤٠١ .

(٥) ديوان خ ٤٩٥-٤٩٦ .

(٦) خ ٤٧٣ ، اي مات أكابرها .

(٧) الطبري ٣ : ١٠٨٦ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٤-١٠٩٩ .

وكان أهل أبي تمام قد حَرَصُوا على أن يَرْجِعَ إليهم ابنهم . وأخذت نفس أبي تمام أيضاً تنازعه إلى الرجوع . غير أن كِبَرُ نفسه كان يأبى عليه أن يرجع وهو لما يَزَلُ فقيراً . وكيف يمكن أن يرجع من رحلة له فقيراً وهو الذي يقول :
 ما أَبَ من أَبٍ لَمْ يظفرُ بحاجته ، ولم يَغِبْ طالبُ النُجْحِ لم يَخِبْ^١ :
 غير أن الشاعر يعود إلى نفسه فيذكر حنان أمه وتثوقها إليه فيودِّ أن يطيعها في رغبتها ، ولكنه يرى استحالة ذلك ملء عينيه ، فيقول^٢ :

وكم عَدَوِيَّة من سبي عمرو لها حسب إذا انتسبت حسب ؛
 لها من طَيِّءٍ أُمٌّ حَصَانٌ نجيةٌ معشر ، وأبٌ نجيب .
 تمنى أن يعودَ لها حبيب مُنَى شَطَطًا ، وأين لها حبيب ؟

ثم يبدو حنينه أيضاً إلى دمشق وأصحابه فيها ؛ ويذكر ما مر عليه في مصر بعد خمسة أعوام وشهرين كانت كلها أسي وضنكاً ، ثم تعرض هو في أثنائها لـ هجر أهله وأسفهم ، ثم لبذل ماء وجهه ؛ وبعد هذا كله آب بالخيبة^٣ .

نأيتُ فلا مالاً حويتُ ؛ ولم أقمُ فأمتنعَ ؛ إذ فُجِّعَت بالمال والأهل .
 بخلتُ على عِرْضي بما فيه صَوْنُهُ رجاء اجتناء الجود من شجر البخل .
 عصيتُ شبا حزمي لطاعة جيرة دعني إل أن أفتح القفل بالقفل
 وأبسُط من وجهي الذي لو بذلته إلى الأرض ، من نعلي ، لما نُقِبَت نعلي .
 وكان ورائي : من صريمة طَيِّءٍ ومعنٍ ووهبٍ ، عن أمامي ما يسلي .
 فلم يك ، ما جرعت نفسي . من الأسي :

ولم يك . ما جرعت قومي . من الثكل .

(١) في نهاية الارب للنوري ٣ : ٩٥ ما أب من اب ...

(٢) ديوان خ ٤٧٢ .

(٣) ديوان خ ٤٢١-٢٢٢ ؛ راجع فوق ، ص ٢٤ .

(٤) ديوان خ ٤٢٢ .

في هذه الأثناء كان أبو تمام قد هاجى نقرأ من الشعراء في مصر وهاجوه .
من هؤلاء شاعر اسمه يوسف السراج كان يحمل على أبي تمام لغهوض
شعره^١ .

ولم يطل مقام أبي تمام بعد ذلك في مصر كثيراً ، بل تركها آيماً إلى الشام ،
وهو لا يزال شديد التأثير بالمذهب العلوي . ولعل أبا تمام ظل في مصر إلى سنة
٢١٤ هـ (٨٢٩ م) لأنه أدرك فيها مقتل عمير بن الوليد الباذغيسي الحراساني
عامل مصر الذي قتل في ربيع الأول سنة ٢١٤ هـ في أثناء فتنة داخلية ؛ وقد
رثاه وحضر للتغزية به^٢ .

الرجوع الى الشام (سورية) فالعراق

رجع أبو تمام إلى الشام ، ولعله لم يصل إليها قبل ٢١٥ - ٢١٦ هـ (٨٣٠ م) ،
فسعى ليتصل بالمأمون ، وكان المأمون يومذاك يتجول في الشام بعد أن خرج
إلى حروب الروم وانتصر مراراً^٣ ، فلما دخل أبو تمام عليه مدحه ؛ ولكن لم
يظفر منه بما يؤمل ولا بأدنى مما كان يؤمل ؛ بل بدر من الخليفة نحو الشاعر ما
صرفه عن بغداد مرة واحدة . ان المأمون كان قد انقلب على آل علي ، فأوغر
صدره أن يرى أبا تمام يمدحهم ويعرض ببني العباس^٤ .

طاف أبو تمام الآن في ما بين النهرين ، وفي أرمينية ، وفي شمال سورية ؛
ولكنه قضى معظم أوقاته في الموصل .

(١) ديوان خ ٤٨٩ ، ٤٩١ ؛ الوساطة ١٨ - ١٩ ؛ ابوتام الطائي ٨٥ - ٨٧ .

(٢) الديوان خ ص ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ؛ خصوصاً ص ٣٦١ ص ٣ والطبري

١١٠١:٣ .

(٣) غزا المأمون أرض الروم عدة مرات بين ٢١٥ و ٢١٧ هـ (الطبري ١١٠٣:٣ ، ١١٠٤ ،

١١٠٩) .

(٤) لعل أبا تمام لقي المأمون في دمشق ؛ اما القصيدة التي مدحه بها فهي : د من ألم بها فقال سلام

- ديوان خ ٢٧٩ ؛ وفي آياتها أنها أول ما قاله الشاعر بعد رجوعه من مصر .

(٥) ديوان خ ١٦١ - ١٦٦ ،

بعد موت المأمون في سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) أمين أبو تمام وكشّرت قصائده وبزغ نجمه . فلما سمع به المعتصم حملة إليه ففضى أبو تمام عنده مدة لم يجد في أثناها لديه ما يضارع طموحه فتركه وولّى وجهه شطر خراسان ليمدح واليها عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وقد اشتدت الفتن فيها من أثر بابل الخرمي . وتوجّه أبو تمام من العراق نحو نيسابور . وفي طريقه مر بقومس ونزل فيها عند صديق له هو عبد الله الدامغاني^١ . ثم ان أبا تمام انتهز فرصة إقامته بنيسابور ، مع عبد الله بن طاهر ، فاتصل بالقائد أبي دكف العجّلي^٢ ، وبالقائد حيدر بن كاوس الأفشين^٣ ، وبالقائد أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وسوى هؤلاء كجعفر بن دينار الطائي . وقد بقي أبو تمام في خراسان إلى أواخر سنة ٢٢٢ هـ حينما تركها عبد الله بن طاهر قادماً إلى سامرا^٤ ومعه الثائر بابك الخرمي فوصل إليها في صفر من سنة ٢٢٣ هـ ، وقد صحّب عبد الله بن طاهر في مقدمه على سامرا أبو تمام والقائد الأفشين . وفي سامرا أدخل المعتصم الشعراء على الأفشين ليمدحوه ، فمدحه أبو تمام بقصيدته^٥ :

بذلّ الجِلادُ البذلَ فهُوَ دَفِينٌ ؛ ملأَ إنَّ به إلّا الوحوشُ قَطِينٌ^٦ .

(١) ياقوت ٤ : ٢٠٣ .

(٢) وفي رواية خيذر (شرح التبريزي ٢ : ٧٢) .

(٣) سامرا مدينة على أربعين كيلومتراً شمال بغداد بناها المعتصم وجعلها معسكراً لجنده الأتراك ثم اتخذها عاصمة .

(٤) انظر تحت ، قصة بابك ، ص ٥٠ .

(٥) ديوان خ ٣٢٦ - ٣٢٨ .

(٦) بذ : غلب ، تغلب على . الجِلاد : القتال ، الحرب . البذل (بالذال المعجمة وبالذال المهملة أيضاً) : مغرب بت : الصم ، وهونا مكان فيه صنم كبير لبوذا كان في جبل عال منيع ، وكان بابك الخرمي قد اتخذ مقلداً (راجع القاموس ١ : ٢٦٧ ، ٣٥٠) . - يقول أبو تمام : تغلب العرب بالجلاد (بالحرب) على جبل البذل وهدموه حتى صار مدفوناً تحت أنقاضه ، ولم يبق به قطين (ساكن) إلا الوحوش (أي أصبح مهجوراً) .

في العراق وبلاد الروم (آسية الصغرى)

في منتصف سنة ٢٢٣ هـ (قبيل منتصف ٨٣٨ م) تجهّز المعتصم لمحاربة الروم متّجهاً نحو عمورية ، وكان معه الأفشين وأبو تمام . وبعد الاستيلاء على عمورية وإحراقها (رمضان ٢٢٣ هـ - آب ٨٣٨) عاد المعتصم إلى سامراً فأنشده أبو تمام قصيدته السائرة على وجه الدهر : « السيف أصدق إنباء من الكتب »^١ ، وذلك في مطلع سنة ٢٢٤ هـ أو في آخر سنة ٢٢٣ .

هنا يعترضنا أمران أولهما زمن ذهاب أبي تمام إلى الحج ، فان أبا تمام يقول في ديوانه انه حج مع أبي سعيد الثغري^٢ ؛ ونعلم من موضع آخر في الديوان أن أبا سعيد حج حجة يغلب على الظن أنها كانت بين ٢٢٣ و ٢٣٠ . وهي على الأغلب في عام ٢٣٠ هـ . ثم نحن لا ندري إذا كانت حجة أبي سعيد هذه هي التي حج في عامها أبو تمام ؛ أم تلك غيرها ، فيكون الشاعر إذن قد حج مرتين .

والأمر الآخر زمن تأليف « ديوان الحماسة » ، وجُل ما نعلمه « أن الثلج اعترضه في همدان بفارس في أثناء ذهابه إلى مديح عبدالله بن طاهر » ، وقيل بل في أثناء رجوعه : فاشتغل بتأليف هذا الكتاب ريثما يذوب الثلج ويستطيع الشاعر أن يتابع مسيره . وعلى كل فان ذلك كان في أواخر سني أبي تمام أيضاً . وفي هذه الأثناء كان الشاعر قد نال حظوة عند المعتصم وعند أمراء البلاد ورجال الدولة : كأحمد بن أبي دؤاد ومحمد بن عبد الملك الزيات وجعفر الخياط القائد وغيرهم .

* * *

لم يألّف أبو تمام الاستقرار في بلد من البلدان مدة طويلة . فما أن هدأ قليلاً في سامراً ، بعد فتح عمورية^٣ ، حتى عاد سيرته من التّطوّاف بين سني

(١) واجمها في المختارات .

(٢) ديوان خ ٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٣) ديوان خ ٢٩٣ .

٢٢٥ و ٢٢٩ للهجرة (٨٤٠ - ٨٤٤ م) . زار أبو تمام في تلك الأثناء حوران وحمص ، ثم عاد إلى سامرا في سنة ٢٢٦ هـ ليمدح المعتصم بعد إحراق الأفسين سنة ٢٢٦ أيضاً^١ . وفي هذه الحقبة اتصل أبو تمام بأبي المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي ، والي دمشق من قبَل الخليفة المعتصم^٢ . ويتساءل محسن الأمين^٣ عما إذا كان أبو تمام قد حضر بنفسه إلى دمشق أو أنه أرسل إلى أبي المغيث قصيدته^٤ :

أَقْشِيبَ رَبْعِهِمْ ، أَرَاكَ دَرِيساً وَقِرَى ضِيُوفِكَ لَوْعَةً وَرَسِيساً*

من الموصِل . « ومكث أبو تمام مدة ينتظر معروف أبي المغيث موسى بن ابراهيم فلم يدرك منه رسولا ولم يَبْلُغْ مأمولا^٥ » ، فأخذ يمدحه مرة ويعاتبه أخرى . بعدئذ هجاه ولكن عاد فمدحه^٦ .

وفي هذا الدور أيضاً - فيما يبدو - اتصل أبو تمام بمالك بن طوق التغلبيّ يوم كان مالك يقاتل الثائرين على الخلافة في بادية الفرات الجَزَريّ (الفُرات الأعلى) . ويبدو لنا أيضاً أن أبا تمام ظل متصلاً بمالك بن طوق إلى ما بعد عزله عن الجزيرة ، جزيرة ابن عُمر^٧ .

وكذلك يبدو أن أبا تمام لَقِيَ البحري في هذا الدور . كان أبو تمام يومذاك شاعراً ملء السمع والبصر مشهوراً ، وكان البحري لا يزال حديث السن

(١) راجع ديوان خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) أمراء دمشق في الاسلام ٨٩ ، راجع ١٢٦ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٨٨ .

(٤) ديوان خ ١٧٥ - ١٧٨ .

(٥) يا مسكنهم الحديد ، أراك قد أصبحت دريساً (مدروساً ، خراباً) وأرى أن قرى ضيُوفك (حظ زائريك ، ضيانتهم) لوعة (حرقة في القلب وألم من حب أو هم أو مرض) ورسيماً (حمى من لوعة الحب) = كانت ديارهم عامرة زاهرة فامحت وأصبحت تحزن من رايها.

(٦) هبة الايام ١٦٧ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ - ٣٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٣٧٨ ، ٣٨٣ .

مغموراً^١ . وكان اللقاء اتفاقاً في حمص عند القائد أبي سعيد محمد بن يوسف .
الثغري في حديث طويل هو أكثر اتصالاً بالبحري وشاعريته منه بأبي تمام^٢
ولعل ذلك كان في بعض شهور سنة ٢٢٦ هـ (٨٤١ م) .

وبعد عام أو بعض عام رأينا أبا تمام من جديد في سامرا يعزّي الوائق بأبيه
المعتصم ويهنئه بالخلافة بقصيدته الميمية^٣ :

ما للدموعِ تروم كلَّ مرامٍ ، والجفنُ ثاكلُ هَجْعَةٍ وَنَمَامٍ !
ويبدو أن أبا تمام حجّ بعد ذلك ثم بقي نحو عامين في العراق . إلا أن كثرة
تطوافه في الأرض ، إلى جانب انغماسه في الشراب ، والملاذات أيضاً ، كانا قد
نَهَكَا جسمه — قبل أن تتقدّم به السن كثيراً — فأثر أن يُخلدَ إلى شيء من
الراحة بعيداً عن مشاغل الدنيا وعن إرهاق النفس بالمدايح . في ذلك الحين تولّى
بريد الموصل :

كان بين أبي تمام وبين الحسن بن وهب صداقة وثيقة وإنشاء خالص . رقي
الحسن بن وهب في المناصب وظلت الصداقة والمناذمة والأحماض^٤ بينهما على
حالها . ولما سُمّ أبو تمام تكاليف الحياة رغب إلى صديقه في أن يعينه على اعتزال
الكفاح في الحياة . فعرض الحسن بن وهب على أبي تمام أن يُوكَلِّمَهُ مَوْصِباً
فاختار أبو تمام أن يتولّى بريد الموصل^٥ ، لأنه كان قد قضى في الموصل زمناً

(١) هنالك خلاف على لقاء أبي تمام بالبحري لأول مرة ، وخلاف على ما كان في هذا اللقاء وما

أعقب ذلك اللقاء (راجع غ ١٨ : ١٦٩ ؛ وفيات ٢ : ١٣١ ، مطبعة الوطن ٣ : ٩٧
— ٩٨ ؛ أخبار البحري ٥٦ ، ٦٣ — ٦٥) .

(٢) راجع أخبار أبي تمام ١٠٥ ؛ هبة الايام ١٣ وما بعدها ؛ أخبار البحري ٦٣ — ٦٤ ؛
أعيان الشيعة ١٩ : ٤٣٧ وما بعدها .

(٣) ديوان خ ٢٧٥ — ٢٧٩ .

(٤) ما للدموع تهمي غزيرة ، في كل جهة (وفي كل حين) .

(٥) الاحماض : المزاح بالفاظ مكشوفة . راجع أخبار أبي تمام ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢٦٩

(٦) أخبار أبي تمام ٢٧٢ — كان البريد لئلا الرسائل والاشياء والاشخاص بما يتلاق بأعمال
الدولة ، كما كان رجال البريد (الموظفون في ديوان البريد) ينقلون أخبار البلاد والناس
إلى الخليفة .

أيام تخفيّه من المأمون. وكانت ولاية أبي تمام على بريد الموصل ولاية شرف يستجم فيها أبو تمام ويتقبّض منها راتباً ، مع العلم بأن أعمال هذا المنصب في الأصل كثيرة متعبة . غير أن أبا تمام لم يمكث في هذا المنصب أكثر من عامين اثنين ، من أوائل سنة ٢٢٩ هـ (أواخر عام ٨٤٣ م) إلى وفاته^١ .

وفاته —

اختلف الرواة في سنة وفاة أبي تمام^٢ ، كما اختلفوا في سنة مولده ، اختلافاً كبيراً بين سنة ٢٢٨ وسنة ٢٣٢ للهجرة . ويبدو أن أبا تمام قد توفي — في أوثق الأقوال وأحسنها اتساقاً مع حوادث حياته — في المحرم من سنة ٢٣٢ (أيلول ٨٤٦) ، وهو يتولّى بريد الموصل^٣ ، وعمره نحو ثلاث وأربعين سنة .

ودفن أبو تمام في الموصل^٤ خارج الميدان على حافة الخندق ، وتقول العامة : هذا قبر تمام الشاعر^٥ . وقد بنى أبو نهشل بن حميد الطوسي^٦ قبة عليه^٧ . أما اليوم فان رفاته في حديقة البلدية في ضريح ضخم^٨ .

ورثى أبا تمام نفر كثيرون منهم ديك الجن أستاذه والبحري تلميذه ؛ ومنهم صديقه وممدوحه محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب ، وصديقه الشاعر علي بن الجهم وسراهم^٩ .

(١) راجع أخبار أبي تمام ٢٧٢ - ٢٧٣ ؛ ياقوت ٢: ٨ ، راجع ١: ٤٢٠ ؛ وفيات ١: ٣٣٧ ؛

، مطبعة الوطن ١: ٢١٦، ٢١٧ هبة الايام ٥٣-٦٣ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣٥٧-٣٦٧ .

(٢) أخبار أبي تمام ٢٧٢-٢٧٣ ؛ تاريخ بغداد... أخبار البحري (ص ٦٦) سنة ٢٣١ هـ ؛

وفيات (وستنفلد) رقم ١٤٦ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧ ؛ ياقوت ٢: ٨ ؛ هبة الايام

٤٩ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣ ، راجع ١٢ .

(٣) ياقوت ١: ٤٢٠، ٢: ٨ ؛ أعيان الشيعة ١٩: ٣ ، راجع ١٢ ؛ الخ .

(٤) ياقوت ١: ٤٢٠ ؛

(٥) وفيات ١: ١٥٣، ٣٣٩ ؛ مطبعة الوطن ١: ٢١٧ ، السطر ٢١ .

(٦) هبة الايام ٤٩ ؛ وفيات ١: ٣٣٩ .

(٧) هبة الايام ٤٩ ، حاشية ٥ .

(٨) المدة ١: ٤٣ ؛ أخبار أبي تمام ٢٧٥ - ٢٧٩ ؛ وفيات (آخر الترجمة)

صفاته وأخلاقه الخاصة

ليس لدينا ما يدل على صفات أبي تمام سوى قول ابن خلكان^١ : « كان أسمر طويلاً فصيح الكلام فيه متممة بسيطة » . وقد نقلها عنه كثيرون : وإلا جملة للأنباري : « وكان موصوفاً بالطرف وحسن الأخلاق وكرم النفس » . ثم ليس في ديوانه ما يناقض هذه الأحكام .

من أجل هذه التمتمة اليسيرة اشترى له أبو سعيد الثغري غلاماً أديباً فصيحاً اسمه النشح بثلاثمائة دينار ليلتي له قصائده . ولكننا نعلم أنه كثيراً ما كان يلقي قصائده بنفسه . وقيل إنما كان إنشاده قبيحاً^٢ وزاد ابن رشيق فقال « وكان في حبيب حبة شديدة إذا تكلم ... » فقال فيه محمد بن بكار الموصلي^٣ .

يا نبي الله في الشعر وبيا عيسى بن مريم ،

أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم !

أما أخلاقه فكانت أخلاق شاعر عباسي : غير أنه لم يكن متهتكاً : بل كان يأتي مآذاته في سر^٤ .

آله

كان أبو تمام مُرَزَّئاً : مات نفر من أهله . من أخوة وأولاد له . في حياته . وقد مات نفر من هؤلاء في عام واحد^٥ :

تتابع في عامٍ بَنِيهِ وإِخْوَتِي ، فأصبحت إن لم يُخْلِفِ اللهُ مُفْرَداً .

أما أبواه فلا نجد إشارة إليهما في ديوانه إلا أن تكون الرسالة التي جاءت

(١) وفيات الاعيان ١ : ٣٣٩ .

(٢) الاغاني ١٨ : ٤٧ .

(٣) النعمدة ١ : ٧٠ ، ١٨٩ - مخلص مضبوطة في اخبار أبي تمام بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام المفتوحة (ص ٤٩ : ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٧٢) .

(٤) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ١٩ وما بعدها ففيها اشارات كثيرة وشواهد على اخلاقه الشخصية .

(٥) ديوان خ ٣٦٣ .

(٦) ان لم يخلف الله : ان م يرقى ولداً من جديد .

إليه موشحةً بالسواد نعيّاً لأحدهما^١. وكذلك تعرّف أخاً له كان اسمه سَهْمًا^٢. ثم ان هنالك في ديوانه^٣ مَرثِيّة عنوانها «وقال في أخ له وحضر وفاته» تدل على أن الشاعر قالها في أخ له من النسب لا من الصداقة. ولكن ليس فيها ما يدل على أن هذا الأخ المَرثِي كان سهماً أو أنخاً ثانياً له.

وتزوج أبو تمام امرأة توفيت وشيكاً صغيرة السن فرثاها^٤. وكذلك كانت له جارية، بمعنى الزوج لا بمعنى الولد، ماتت في حياته أيضاً^٥. وكان لأبي تمام أولاد لا نعلم من أي الزوجتين هم.

توفي لأبي تمام ابن اسمه محمد رثاه رثاءً يدل على أنه لم يكن له آنذاك ولد غيره^٦. وهنالك في الديوان مَرثِيّة تعد واحداً وعشرين بيتاً في ابن له يكنّيه أبا عليّ ويذكر أنه كان يوم توفي وحيداً له وأنه قد بلغ مبلغ الشباب. ومطلع هذه المَرثِيّة^٧:

كان الذي خفْتُ أن يكونا أنا إلى الله راجعونا .
أَمسى المَرَجَى أبو عليّ مُوسِداً في الثرى يمينا ،
حين انتهى واستوى شبابا وحقق الرأي والظنونا .

ويبدو أن ابنه المَرثِي بهذه القطعة هو غير ابنه المَرثِي بالقطعة السابقة. يذكر الشاعر أن ابنه المسمى أبا علي توفي بعد مرض. بينما هو لم يتكلم عن المرض في المَرثِيّة الأولى بل تكلم عن شماتة الناس به. ثم ان لأبي تمام ابناً آخر اسمه تمام عاش بعده مدة^٨، وهو الذي يتكّن به شاعرنا.

(١) ديوان خ ١٤٣ = شرح التبريزي ٢ : ٦٩ .

(٢) ديوان خ ٣٤٣ ، البيت الثالث . حبة الأيام ١٢٢ . اخبار البحري ١٤٦ .

(٣) راجع ديوان خ ٣٩٢ .

(٤) ديوان خ ٣٥٦ .

(٥) ديوان خ ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٦) ديوان خ ٣٦٣ .

(٧) ديوان خ ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٨) اخبار أبي تمام ٢٦١ ، ٢٧٣ .

بيئة أبي تمام

لا أقصد بوصف بيئة أبي تمام دراسة أحوال الامبراطورية العربية في القرن الثالث الهجري (والقرن التاسع الميلادي) . ان تلك الأحوال كانت تمثل مدينة العالم بأسره والتاريخ بعصوره . ولو أني تعرضت لبيئة أبي تمام بمثل هذا التفصيل^١ لاضطرت إلى أن أجنزىء بأشياء عامة لا جدوى تحتها لمن يتناول هذا الكتاب — وقد لا يكون لها صلة وثيقة أو غير وثيقة بأبي تمام وشعره . على أنني سأخذ في هذا الفصل تلك العناصر والعوامل التي كان لها أثر بيّن في حياة أبي تمام وصلة ظاهرة بشعره .

١ — بيئته الخاصة

احتكاكه الأول بالشعراء

لما ظهرت مواهب أبي تمام — وكان قد رحل من دمشق إلى حمص — كان أكثر اختلاطه بآل أبي عبد الكريم الطائي ، وبعبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن ، كما مر بنا . ثم إن شبان حمص وشعراءها لم يبلغوا من الخلاعة والفنك ما بلغ إليه أبو نواس وعصابته ببغداد وضواحيها : لقد كان الرأي السائد في حمص مناهضة أمثال هؤلاء المنهتكين الذين كانوا يفسقون في ستر . وكثيراً ما

(١) لما أصدرت الطبعة الأولى من دراسة أبي نواس (بيروت ١٣٥١ - ١٩٣٢) أخذ علي محمد محمود شاكر في مجلة المقتطف (مصر ، فبراير - شباط ١٩٣٣ ، ص ٢٤٠ س) أنني أوجزت جداً في الكلام على بيئة أبي نواس .

كان هؤلاء الخلعاء لا يَنْجُونَ من قبضة رجال الشرطَة إلا بعد لأي^١ .
 وكان نُجَّان حمص يرتادون الميماس^٢ ليشربوا الخمر أو ليفسقوا، ولكن ذلك كان حياة خاصة لهم لم يجهروا بها ، ولم يتهتكوا تهتك بشار وأبي نواس ومُطيع بن إياس^٣ في بغداد . وكذلك كان زعيم شعراء الشام وأستاذ أبي تمام ، ديك الجن الحمصي ، كثير التأثم من الجهر بما كان يغليب على طبعه أحياناً من حب التصف ، ثم هو فوق ذلك علوي شديد التقوى . وهكذا لم يقع أبو تمام في بيئة مستهترّة كما اتفق لأبي نواس .

وهناك أيضاً ملاحظة تصدق على كل زمن ، هي أن الداخل حديثاً في دين يكون أشد تمسكاً بنروضة وشعائره من أصحاب الدين أنفسهم . وأبو تمام رغب في الإسلام — تاركاً بلادَه وأهله — فكان حريّاً باجتناب كل ما يُحمل منه على غير الإخلاص .

مصر بعيدة عن فساد بغداد

وانتقل أبو تمام إلى مسجد مصر يسقي الماء فيه لمعاشه ، فكان يلزم المسجد منذ الفجر إلى ما بعد العشاء في الأغلب — مدة قد تبلغ أحياناً ست عشرة ساعة أو أقل قليلاً . — من أجل ذلك كانت فرص اختلاطه بالعالم الخارجي نادرة فلم تُتاح له فُرَصٌ يقتلدي فيها بغير رجال الدين وأعلام الأدب . كان أبو تمام يلزم هذا المسجد واقفاً أمام حَلِيقَةِ تدريس ، فاذا طلب أحدهم شربة ماء سقاه ثم رجع إلى مكانه الأول يجلس الرأي بعد الرأي والرواية بعد الرواية . ولا ريب في أن مصر كانت في ذلك غير بغداد : كانت بعيدة عن فجور

-
- (١) راجع شيئاً من اخبار ديك الجن في الاغانى ١٢: ١٣٦ (طبعة دار الكتب ١٤: ٥١-٦٨) .
 (٢) الميماس منزّه في حمص كثير الاشجار يتدفق فيه نهر العاصي فيكسبه جمالا ؛ وكان الميماس منزّها لحمص ولا يزال ، ولكنه اليوم لمن يقصده . وقد بنى اليوم فيه بناء حديث يجذب نفراً من المتنزهين ولكن ضيع شيئاً من الجمال الطبيعي لذلك المتنزه .
 (٣) راجع راجع مثلاً اخبار ابي نواس لابن منظور .

الروم والفرس والمجوس وعن حاناتهم السرية ؛ أو هي لم تكن في ذلك كما كانت بغداد ، ولم يكن فيها من يطلب الدُّعابة حتّى في المسجد ، أمثال عصابة أبي نواس الذين كانوا يُنهون الدرس بحملة مُجونية على الأستاذ .

مَنْ اسْتَقَى أَبُو تَمَامَ عِلْمَهُ ؟

كان أبو تمام رجلاً حُبِّبَ إليه الأدب عامة والشعر خاصّة ، فكان يستفيد مما يمر به من ذلك . فهو في هذا الباب عِصاميّ وقرّ أوقاته على الاستفادة ثم لم يترك له اجتهاده متسعاً للهو .

لا نستطيع : مما لدينا من أخبار أبي تمام ، أن نعرف شيوخ أبي تمام ؛ ولكن الصولي^١ ذكر جماعة روى أبو تمام عنهم ، منهم العطف بن هرون ، وكرامة بن أبان ، وأبو عبدالرحمن يحيى بن اسماعيل الأموي ، وسلامة بن جابر النّهدي ، ومحمد بن خالد الشيباني ، وقيلابة الجرمي ، ومالك بن دلهم وعمر بن هاشم السّروقي^٢ . وذكر محسن الأمين هذه الأسماء وزاد عليها صهيب بن أبي صهباء الشاعر^٣ . قد يكون هؤلاء شيوخاً لأبي تمام تلقى العلم والأدب عليهم وتخرّج على أيديهم . وقد يكونون شيوخاً اتفق أن سمع أبو تمام منهم حديثاً بعد حديث وكتب عنهم إملاء بعد إملاء .

كان أبو تمام حافظاً للقرآن . عارفاً بالحديث وبعلم العربية ؛ كثير الاطلاع على التاريخ : ما عمّ منه وما خصّ . حسن المشاركة في علم الكلام وفنون الفلسفة . أما في الأدب والنقد وفروع البلاغة فكان — مما يبدو لنا في ديوانه — إماماً كبيراً .

اثر مذهبه فيه

وكان مما اكتسبه أبو تمام في حمص مذهب العلوّي . ونحن نعلم أن أتباع

(١) أخبار أبي تمام ٢٤٩ - ٢٥٨ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٥ . في أبي تمام الطائي (ص ٧٣) : صهيب بن أبي الصهبان (أو الصهباء) الشاعر (أيضاً) .

المذهب العلوي أشد الناس محافظة على الفرائض والنوافل وأبعدهم في الحماسة الدينية حتى ليكونون أحياناً مفراطين فيما يظنونهم التقوى . فهذا ، إذن ، عامل آخر يحجز أبا تمام عن ارتياد اللهو علناً ؛ وهذا شيء نعرفه من حياته .

وأبو تمام لم يكن متشيعاً^١ يُعْجَب بِآل البيت ويأسى لما نزل بهم من المصائب فقط ، بل كان شيعياً يعتد إمامتهم ويذهب في إثبات الإمامة لعلي^٢ مذهبتهم . وشعره في ذلك كله ظاهر الدلالة . ولقد جمع محسن الأمين^٣ طرفاً صالحاً من شعر أبي تمام الدال على شيعته . أما أبرز قصائده في هذا الباب فهي^٤ :

أُظِيئُ ، حَيْثُ اسْتَنْتَبَ الْكُثْبُ الْعُفْرُ ،

رُوِيَ دَلِكُ لَا يَغْتَالِكُ اللَّوْمُ وَالزُّجْرُ !

التي قالها في مطلع حياته قبل أن تقبل عليه الدنيا ، وحينما كان في مصر في الأغلب . وقد جاء في هذه القصيدة :

فَعَلِمَ بِأَنْبَاءِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
— وَمَنْ قَبْلَهُ أَخْلَقْتُمْ لَوْصِيَّتِهِ
أَخُوهُ — إِذَا عَدَّ الْفَسْخَارُ — وَصِيْرُهُ ؛
وُشِدَّ بِهِ أَزْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَفَاعِيلَ آدْنَاهَا الْحَيَاةُ وَالْغَدْرُ .
بِدَاهِيَةِ دَهْيَاءَ لَيْسَ لَهَا قَدْرُهُ .
فَلَا مِثْلُهُ أَخٌ وَلَا مِثْلُهُ صِيْرُهُ .
كَمَا شُدَّ مِنْ مُوسَى بِهَارُونِهِ الْأَزْرُ .

(١) راجع الفرق بين « متشيع » و « شيعي » ، ابن الرومي للمؤلف (الطبعة الثانية) ص ٩-١٠

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٥٣٠-٥٤٣ .

(٣) ديوان خ ١٦٦-١٦٦ .

(٤) حيث تعالت (تتابعت) التلال السمراء اللون .

(٥) رهط الرجل : جماعته . أفاعيل جمع أفعولة : عمل الشر والخداع .

(٥) وصيه ، يقصد أبو تمام علي بن أبي طالب . يرى الشيعة أن الرسول كان قد أوصى لعلي بالخلافة بعده . الداهية اندهية : المصيبة العظيمة . ليس لها قدر : ليس لها (لغظها) مقياس تقاس به .

(٦) أخوه (لما أخى الرسول بين المهاجرين والانصار أخى بينه وبين علي) . صهره : زوج ابنته (فاطمة) .

(٧) الأزر (في الاصل) : الظهر . شد به أزرنبي : جعل له سنداً ومعيناً . كما شد من موسى =

ويوم الغدير استوضح الحقَّ أهلُه
أقام رسول الله يدعوهمُ بها
يمسّد بضبْعَيْه ويعلّم أنه
أحجّة ربّ العالمين ووارثه
ولولم يخلف وارثاً لعرّتكُم
بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر^١.
ليقرّبهمُ عرف وينّاهمُ نكر^٢.
وليّ ومولاكمُ ؛ فهل لكمُ خبر^٣؟
نبيّ ، ألا عهدٌ وفّي ولا إصر^٤؟
أمرٌ تبينُ الشكّ ساحة من تعرّو^٥.

= بهاروفه الازر: كما جعل هرون مميّناً لموسى (راجع القرآن الكريم سورة طه ، ٢٠: ٣١ :
« هرون أخى، اشدّد به أزري وأشركه في أمري »).

وفي غزوة تبوك (٥٩) اصطحب الرسول كبار الصحابة وخلف علياً مكانه على المدينة .
وظن علي أن فعل الرسول كن تفضيلاً للصحابة عليه ، فقال له الرسول : ألا ترضى أن تكون
مني بمنزلة هرون من موسى ؟ (تخلفني في الناس كما خلف هرون موسى في بني اسرائيل لما
صعد موسى لميقات ربه) .

(١) يوم غدير خم (بضم الخاء) . خم غيضة فيها غدير على يسار الطريق من المدينة ان مكة . في
الثامن عشر من شهر ذى الحجة من سنة ١١ خطب الرسول بعد حجة الوداع في من كان معه
من الحجاج قبل أن يتفرقوا ، ثم أخذ بيد علي ورفعها .. وقال : « فمن كنت مولاه فهذا
علي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » الخ . كما يروى الشيعة . وهم يرون أن
هذه الولاية تقوم مقام الوصية له لي بالخلافة (راجع منتخبات اسماعيلية ، دمشق ١٣٧٨ هـ -
١٩٥٨ م ، ص ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ؛ وذخائر العقبى من مناقب ذوي القربى
تأليف: الحافظ محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري) القاهرة ١٣٥٦ هـ (ص ٦٧) .
استوضح الحق أهله : بأن الحق للذين يحبون الحق . بفيحاء : في أرض منبسطة مكشوفة (علناً)

(٢) ليقربهم عرف : ليتاح لهم أن يعرفوا . وينّاهم نكر : ليبعد عنهم الجهل .

(٣) يمد بضبعية : يرفع (الرسول صلى الله عليه وسلم) عضد (يد) علي بن أبي طالب ليشهد
الناس على أنه مولى المسلمين . خبر : علم (راجع مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٥٦
ص ٣٤٢ وما بعده) .

(٤) إصر : قرابة . - يا حجة الله على عباده ووارث نبيه (يقصد علي بن أبي طالب) ،
ألا يقر (هؤلاء الذين فعلوا) بأبناء علي ما فعلوا من الأمور المذكورة في أبيات تسبق هذا
البيت (بعدهم أخذ عليهم أو بقرابة يعرفونها لعلي بالرسول) .

(٥) لو لم يكن للرسول وارث لئلا نلتكم أمور معينة تلحق من قصيه (لو ترك الرسول المسلمين
بلا وصية لكان ذلك عاراً عليهم) .

جعلتُ هوايَ الفاطميّين زُلفَةً إلى خالقي ما دُمْتُ أو دام لي عُمرًا .
وَكُوْفِي ديني ، على أن مَنْصِبِي شَامٌ وَنَجْرِي آيَةٌ ذُكِرَ النَجْرُ ٢ .

مقامه عند الممدوحين

رجع أبو تمام من مصر فأقام عند ممدوحين - في الشام وبغداد وخراسان -
وكاهم من الخلفاء والأمراء ورجال الدولة الذين قاموا على أنقاض حاشية الأئمين
الفاسقة في زعمهم . أفطن أن الذين ينقمون من الأئمين أنه اتخذ شاعراً فاسقاً
كأبي نواس - وهم إنما أثاروا عليه هذه التهمة حتى خلعوه وحاربوه ثم قتلوه
ليشيدوا دولتهم - يتساهلون في أمر دينهم وسلوكهم ليرموا بما رُمي به الذين
جاءوا قبلهم ؟ كان هذا أيضاً يصد الشاعر عند عبثه إذا اشتهاه .

حياته الخاصة

ولكنّ هذا كله لم يكن ليمنع الشاعر من إطلاق عواطفه فيما حوله في شيء
من الخمر والتسرُّ . فلقد أحب بعض الجوّاري ، وكثيراً من الغلمان ؛ ويظهر
أن عواطفه أحياناً كانت تتغلب على مبادئه فيسرف في شرب الخمر وإنفاق
المال ، وفي اتباع أهواء النفس حتى يُسِفَ إلى ما انحطّ إليه أبو نواس ؛ لولا
أنه متكمّ قليلاً ، وإن أبا نواس متهتك مستهتر ٣ .

العصر الشعري

كان أبو تمام من الشعراء الذين شعروا بقيمتهم الذاتية شعوراً حقيقياً . لقد
رؤي عن جميع الشعراء أنهم فاخروا أقرانهم ، وأشاروا إلى مقدرتهم في أثناء
مناقضات متباعدة المرامي ؛ ولكن أبا تمام كان أول من أخذ بالنظر إلى نفسه ثم إلى

(١) زلفة: تقرباً إلى الله .

(٢) وكوفي ديني : اتخذت دين أهل الكوفة (الشيعة لعلي وآله) ، مع أن منصبه (مكاني ،

سكني) ونجري (أصلي ، نسبي) شام (من أهل الشام ، أموي) آية ذكر النجر : مهما
كان أصلي ، عربي أو رومي (؟) .

(٣) راجع الاغاني ٢١ : ٣٤ .

شعره مؤكداً صفاتها العالية. انه لا يكتفي أن ينشرهما، بل يتخذ منهما موضوعاً يتابعه في أماكن كثيرة من قصائده . تراه يقول من مِدحة في عياش ابن كلبية :
 شَجِيٌّ فِي حُلُوقِ الْحَادِثَاتِ مُشْرِقٍ ۖ به عزُّهُ ، في التَّرهَاتِ ، مُغْرَبٍ ۲
 كأن له دَبْنًا على كل مشرقٍ من الأرض ، أو ثأراً لدى كل مغربٍ
 - وان نُكِبْتُ بجِدِّ في حُزُونته سهَّاتُهُ ، فكأنني منه في لَعِبٍ ،
 مُقَصِّراً خَطَرَاتِ الهمِّ في بدني علماً بأَنِّي ما قَصَّرت في الطلبِ ۳ .
 وغيرها مما تجده أيضاً في قصيدته : أهن عوادي يوسف وصواجه ۴ .

وقد أجمل الأستاذ المقدسي ۵ ذلك فأشار إلى « صبره على المشاق لبلوغ
 المني ، وشدة إعجابه بنفسه ... فاذا قرأت ديوانه رأيته مفعماً بما يدل على أنه
 نشأ مغامراً في سبيل المال والجاه . وقد زادته كثرة أسفاره عزماً ومضاء ... »
 فلا عجب إن كان أبو تمام ، إذن ، واثقاً بنفسه إلى حد الغرور أحياناً ؛
 يفرض ما يقوله على الناس فرضاً ، ويعتقد آماله قبل أن تقع . ولا تحملن ذلك
 منه على العفو أو العبث فقد جاء به في أعظم مواقفه جِداً ؛ لنُصغ الى أبي
 تمام يقول (ديوان خ ۷) :

ولقد رجوتُ ، فهل لديك بحاجة ، وعلمت أنك لا تُخيب رجائي ؛
 إني امتدحتك لا لفائدة : ولا همِّي جزاءُ مدائحي بجزاء
 لكنْ أروم به احتياطك ۶ ؛ إنه فيما لديك لبُعيتي وغِنائي .
 فهو يقول : أنا لا أمدحك طمعاً بالجائزة ، ولا « تملقاً » كما يفعل الشعراء :
 ولكن لأريك عظمة شعري ۶ ... ثم انظر قوله « أنا (من) عرفت » ، أو قوله

(١) راجع أيضاً الاغاني ٢١ : ٣٤ .

(٢) الترهات : القفار . ديوان خ ٢٥ .

(٣) خ ٤٧١ .

(٤) ديوان خ ٤٣ ، راجعها في « المختارات » .

(٥) امرأ الشعر ١٧٧ - ١٧٨ .

(٦) ديوان من ، ص ٥٤ وحاشية ٧ ؛ خ ، ص ٧ .

وَمَآئِي لِأَرْجُو عَاجِلًا أَنْ تَرَدَّنِي مَوَاهِبُهُ بِحَرًّا تُرَجِّي مَوَاهِي .
 وَسُرِّي فِي مَكَانٍ آخَرَ أَنْ « آرَاءَهُ لَمْ تَشْبَه » ، وَانْه « فَاقَ فُطْنَةَ الْفِيلَسُوفِ »^١
 وَقَدْ انْتَقَلَ هَذَا الرُّوحُ إِلَى شَعْرِهِ أَيْضًا فَفَخَّرَ بِهِ وَفَضَّلَهُ ، وَقَارَنَهُ بِصَلَةِ
 الْمَدْمُوحِ : ثُمَّ قَرَنَ نَفْسَهُ بِالْمَدْمُوحِ :
 سَاجِدًا حَتَّى أَبْلَغَ الشَّعْرَ شَاوَهُ ، وَإِنْ كَانَ لِي طَوْعًا وَلَيْسَ بِجَاهِدٍ^٢ .
 فَإِنَا لَمْ نَحْمَدَكَ عَنِّي صَاحِرًا عَدُوَّكَ ، فَاعْلَمْ أَنِّي غَيْرُ حَامِدٍ .
 - فَالْبَسْنِي مِنْ أُمَمَاتِ تِلَادِهِ ، وَأَلْبَسْتَهُ مِنْ أُمَمَاتِ قَلَانْدِي^٣ .
 - مَا خَالَدَ لِي دُونَ أَيُّوبٍ . وَلا عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ وَلَسْتَ دُونَ وَلِيدٍ^٤ .
 خَذَهَا مَثَقَفَةً الْقَوَافِي ، رَبَّتْهَا لِسَوَابِغِ النَّعْمَاءِ غَيْرُ كَتُودٍ ،
 حَذَاءً تَمْلَأُ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَبِلَاغَةٍ ، وَتُدْرِ كُلَّ وَرِيدٍ^٥ .
 كَالطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ مِنْ يَدِ نَائِرٍ بِأَخِيهِ ، أَوْ كَالضَّرْبَةِ الْأُخْدُودِ^٦ ؛
 كَالدَّرِ وَالْمَرْجَانِ أَلْفَ نَظْمِهِ بِالشَّدْرِ فِي عُنُقِ الْكَعَابِ الرَّودِ^٧ .
 وَيَنْدُرُ أَنْ تَرَى لَهُ مَدْحَةً لَمْ يَفْتَخِرْ فِيهَا بِنَفْسِهِ وَشَعْرِهِ^٨ :

(١) ديوان خ ٤٣ ، ٨٤ ، ٤٠٤ .

(٢) خ ١١٩ .

(٣) خ ٩٥ .

(٤) خ ٨٤ = هذا بيت من قصيدة يعتذر أبو تمام بها إلى قاضي الدولة أحمد بن أبي دؤاد ،

ويستشفع بخالد بن يزيد الشيباني فيقول : مثلي في الاعتذار اليك مثل يز يدب المهاب لما استجار من

الوليد بابوب بن سليمان بن عبد الملك ، وبعد العزيز بن الوليد فشفعا له . وما خالد الذي

يشفع لي بأقل منها ، وما أزل بأقل من الوليد بن عبد الملك - راجع أمراء الشعر ص ١٧٩

(راجع ديوان شرح التبريزي ١ : ٤٠٠ .

(٥) حذاء : قارصة .

(٦) الاخدود : الشق في الأرض . الضربة الاخدود : الضربة بالسيف تحدث جرحاً رأساً .

(٧) الشدر : قطع من الذهب أو الفضة توضع بين اللؤلؤة واللؤلؤة في العقد .

الكعاب : الفتاة إذا برز فهداها . الرود : اللينة ، الزاعة .

(٨) ص ١٧٩ - ١٨٠ .

وما كنت ذا فقر إلى صلب ماله : وما كان حنصاً بالثبير إلى حمدي .
ولكن رأى شكري قِلادةً سُودَّ دُفِ فصاغَ خاسِلكاً بهياً من الرِّفْدِ ؛
فما فاتني ما عنده من حِباته ، ولا فاته من فاخر الشعر ما عندي^١ .
- بموافٍ هن البواقي على الدهر ر ، ولكنْ أثمانهن مَواضٍ^٢ .
ثم لا يذهبن بك الظن إلى أنه يدعي ذلك ويتظاهر به : فقد رُكِّبَ ذلك في
نفسه ؛ روى الأصمغاني^٣ أن أبا تمام أنشد عبدالله بن طاهر قصيدته «أهن
عوادي يوسف وصواحيه ؟» فنثر عليه ألف دينار ، فلم يَمَسَّ منها شيئاً بل
تركها للغلمان يلتقطونها حتى وجد عليه ابن طاهر ، وقطعه زماناً . ثم قلب
ديوانه حتى تصل إلى هذه الأبيات فتحسب أبا تمام إنما يتكلم عن نفسه لا عن
المدح :

ماذا ترى فيمن رآك ملدحه أهدلاً ، وصارت في يدك مصائرُه ؟
قد كابرَ الأيام حتى كذبت عنه ، ولكنَّ القضاءُ يكابره .
لا تنسَ من لم ينسَ مدحك ، والمنى تحت الدجى يزعمُنْ أنك ذاكره .
بكرٌ ، فقد بكرت إليك بمدحة 'غررُ' القصائد ؛ خيرُ أمرٍ باكره .
لا شيءَ أحسنُ من ثنائي سائراً ، وتذاك في أفق البلاد يسايره * !

٢ - العناصر المساعدة

دخل أبو تمام بغداد بعد وفاة المأمون ، وقد لبست من الثقافة الأجنبية ثوباً

(١) ديوان خ ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) ديوان خ ١٨٨ .

(٣) الاغاني ٩٩ : ١٥ (بولاق) .

(٤) كذبت عنه : ائذنت عنه وجيزت ، ومعنى البيت ان الشاعر غالب الأيام فقهما ؛ ولكن
قضاء الله هو الذي يغالبه الآن .

(٥) ديوان خ ١٥٦ .

قشياً بفضل سعيه لنقل كتب الإغريق خاصة . ويحسن هنا أن نقول : إن أبا تمام جاء بعد رده من الزمن فرأى الكتب منتشرة ، والثقافة شائعة في الناس . بدأ الخلفاء بالنقل منذ أيام المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ، ولكن الثقافات المتضمنة في الكتب المنقولة اقتضت وقتاً حتى انتشرت بين الناس .

أما الجوالي اليونانية والفارسية والهندية ، سواء منها التي اعتنقت الإسلام — قديماً أو حديثاً — أو التي بقيت على أديان آبائها ، فإنها كانت كتباً حية في المجتمعات وحلقات الأدب والعلم والجدل . وإذا كان بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية ومعاصروهم قد رأوا هذه الحركة في أولها ، وتعرفوا إليها في طفولتها فإن أبا تمام قد شهد عنفوانها وعاش في إبانها .

الثقافة اليونانية

هُزم النفوذ الفارسي في معركتين : الأولى يوم فتك الرشيد بالبرامكة وأتباعهم ومواليهم وصنائعهم ، ففضى على نفوذ الفرس في الحكم ، وقلّص ظلهم الوارف عن قصر الخلد ؛ والثانية يوم ترك المأمون مرو وأتى إلى مدينة السلام ، ثم ما عتم فيها أن أعلن ترك الخضره والرجوع إلى السواد : شعار بني العباس ؛ ففضى على أمل الفرس المستر وراء النظرية العنكوية في الخلافة ؛ غير أن ذلك لم يتعرض للثقافة الأدبية بشيء .

إلى جانب هذه الثقافة الأدبية الفارسية ازدهرت ثقافة علمية إغريقية . فبينما كنت ترى الناس يستمعون إلى الغناء الفارسي أو المنقول عن الفارسية ؛ أو تراهم يصغون إلى قصاص الخرافات الفارسية أو يفتنّون بالأدب الفارسي والكياسة الفارسية ، اللذين استخرجهما ابن المقفع وأمثاله ، كنت تراهم يتجادلون في الفلسفة اليونانية ويتناقشون في كتب الإغريق العلمية . وكان للهند أيضاً ثقافة رياضية في بلاد الإسلام كلها . غير أن العرب لم يستفيدوا من أدب اليونان الفني .

وكان أظهر هذه الثقافات في شعر أبي تمام الثقافة اليونانية ، ولا عجب فقد

كانت الزي الشائع بعد المأمون كذا أن الثقافة الفارسية كانت الزي في عصر هرون الرشيد . ولعل هذه الثقافة كانت أقرب إلى عقلية أبي تمام ، ربما لصلته نسبه بالروم . وهو لم يتحرر من بيئته اليونانية إلا يوم أسلم دون أفراد أسرة على ما رأينا .

ثم توفي المأمون وترك وراءه نزعاً من الحرية العقلية لم يعرفها الإسلام من قبل ولا عرفها من بعد : لقد تناولت هذه النزعة الدين بأوسع مظاهرها وفي أقدم مظاهره كالقول بخلق القرآن ، وجدال أهل الكتاب بلا قيد ولا رقيب ، ثم التفكير في ما حفظه الدين من الروايات . وحسبك في هذا المقام أن تعرف أن هذه كانت من قبله كنفراً أو أقرب شيء إلى الكفر . ولا ريب في أن أبا تمام احتك بهذه أيضاً — وهو الشاعر العالم — واستفاد منها حتى ظهر بعض أثرها في حياته وشعره .

الزندقة والشعبية

اتهم حبيب بن أوس بالزندقة ككثيرين غيره ، والزندقة يومذاك تهمة سياسية أو دعوى على رجل اتهم بما لا يمس الدين في أساسه . فيكفي أن يكون الإنسان متهتكاً في قوله دون عمله حتى يرمي بالزندقة . وقد يكون ملحداً كافراً فلا يسمونه إلا زنديقاً . من أجل ذلك ترى أن هذه الكلمة مطاطة باستطاعتك أن تجمع فيها الأضداد والتمزعات . وقد اتهم أبو تمام بها ، قيل لأنه لم يصل الظهر في يوم بارد .

أما الشعبية فلم تظهر في شعر صاحبنا ولا في حياته : ليس ذلك فقط بل انه هجا من اتهموا بها وبالزندقة هجاء مرأ . فلا عجب إذا بحثنا فيها عند الكلام على هؤلاء .

الاحداث والفتوح

لم يمثل الناحية القومية الدينية بمعناها الواسع حتى ذلك الوقت شاعر كما

مثلها أبو تمام . ثم جرى كثيرون على أثره وحاولوا أن يلحقوا به ، ولم يبلغه ويتقدم عليه غير شوقي .

كان فخر الجاهلي بقبيلته فحسب لا يعدو بضعة آباء خوفاً من أن يلتقي بجد قبيلة الشاعر الذي يفخّره ؛ وجاء العصر الأموي فكانت النقائص التي نسبها نحن هجاء سياسياً ، فخرأ محدوداً وشتائم كثيرة لا تعدو أيضاً قبيلة واحدة ، أو أسرة واحدة . أما أبو تمام فقد مدح الخليفة ، وهو رأس الامبراطورية العربية الإسلامية ؛ ومدح رجال الخليفة - وأكثرهم عرب - إذا كانت سيرتهم وأعمالهم في رضى الخليفة ، كما سرى عند الكلام على فنون أبي تمام . ولقد أجاد الشاعر في جميع هذه القصائد لإجادة عظيمة ، وخلق منها في ديوانه ناحية بارزة تنجلي فيها نفسه الكبيرة سيقاً مسلولاً على أعداء الخليفة الداخلين والخارجيين ، ومنطقاً فصيحاً ، وشعراً فخماً . ولننجز الآن الكلام على خمسة من هذه الأحداث .

أ - العلويون

يظهر عطف أبي تمام على العلويين جلياً في عدد من قصائده لميله إليهم : كان يعتقد بحقهم في الخلافة ويأسى لما أصاب رجالهم على يد العباسيين . وكان المأمون قد مال إلى العلويين ثم انقلب عليهم .

خرج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان . وبعد معارك متعددة انهزم فنجأ إلى نسا ، فأخذه عامل نسا وأرسله إلى عبدالله بن طاهر أمير خراسان . وأرسله عبدالله بن طاهر إلى المعتصم فوافق وصوله إلى سامرا في ربيع الأول من سنة ٢١٩ هـ (آذار ٨٣٤ م) فحبسه المعتصم ، ولكن محمداً احتال في ليلة الفطر (آخر رمضان ٢١٩ = ٥ تشرين الأول ٨٣٤) ، وقد اشتغل الناس بأمر العيد ؛ للهرب . ولم يعرف أحد مكانه بعد ذلك .

(١) راجع قصيدته : أظية حيث استنت الكتب خ ١٦١ - ١٦٦ ، (فوق ، ص ٤١ - ٤٣) .

(٢) تاريخ الكامل ٣١٢ : ٦ .

ب - بابك الخرمي

الخرمية « دين الفرح » ، ويعمل أتباعها على الأخذ بالملذات وعلى « الاباحية » فيتزوج الرجل أمه أو أخته أو ابنته ؛ ويؤمنون بتناسخ الأرواح . ولهم ناحية ثانية في مذهبهم هي كره العرب وكره دينهم ، والعمل على ردّ المزدكية - دين الفرس الشعبي - ؛ على أن هذه الحركة لم تقوَ إلا بعد اتصالها ببابك^١ في حديث يطول . فلما قويت قام بابك يحارب المسلمين معتصماً بجبال البتدّ منذ أيام المأمون . وقبل أن يتوفى المأمون أخذ في وصيته على أخيه المعتصم عهداً لزاماً بأن يتغلب على بابك ولو أنفق كل ثمين . ولقد صدع المعتصم بذلك فلم يغزِ الروم ، ولم يوجه جيشاً إلا إلى حرب بابك حتى انتصر عليه^٢ .

أثارت هذه الحادثة حمية أبي تمام الدينية وخلدها في قصائد كثيرة من عيون قصائده في شعر يتدفق حماسة وبلاغة ، ثم قدم الأفشين ببابك الخرمي على سامرا سنة ٢٢٣ هـ فقتل بابك فيها وصلب .

ج - فتح عمورية

كان الروم قد انتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بحروب بابك فجعلوا يغيرون على البلاد الاسلامية ؛ اويُؤوون اليهم بعض الثائرين على سلطة بغداد . وقبيل أسر بابك أغار ثيوفيلوس^٣ ، ويسميه العرب : توفيل بن ميخائيل ، على

(١) بابك في الفارسية تصغير باب ؛ والباب بالفارسية : الاب ، الجليل . وبابك تطلق على العرب ، والمعلم . وهو أمم لك أيضاً . (Steingass, Persian - English Dictionary, London, p. 135.

(٢) طالبت حركة بابك عشرين سنة وروي انه قتل في اثائها ٢٥٥,٥٠٠ انسان ثم تغلب الافشين على بابك واستخلص من في يديه من المسلمات واولاد دهن . وقد كافا المعتصم الافشين بعشرين مليون درهماً (نحو نصف مليون ليرة ذهبية) .. وادخل عليه الشعراء مدحونه وامر لهم بصلات ايضاً ، وذلك في ١٥ ربيع الاول سنة ٢٢٣ فقال فيه ابو تمام قصيدته : « يذ الجلال البذ فهو دفين » الطبري (مصر) ١٠ : ٢٢٣ ؛ خ ٢٢٦ - ٢٢٨ ؛ تاريخ الكامل ٦ : ١٣٥

١٨٢ ، ١٨٩ - ١٩٣ . والفهرست ٤٨٠ - ٤٨٢ .

Cf. Finlay, Hist. of Byz. Emp. ch. III. Sect. ii (r)

زَبْطَرَة^١ : مولدِ امّ المعتصم ، وقيل بل مولد المعتصم ، وخرّبها ثم أوقع بأهلها .
 في هذه الاثناء اتصل بالمعتصم ان امرأة هاشمية صرخت ، وقد هاجمها العلوج :
 « وآمعتصماه » . فصرخ وهو على سريرته : « لَبَيْكَ » . ونهض من ساعته .
 واستعد اعظم استعداد (٥٢٢٣) .

لقد خرب توفيل مدينة لها ذكرى في قلب المعتصم ، فاراد المعتصم ان يقابله
 بمثل عمله ؛ فسأل عن اعظم مدينة عند الروم ، فقيل هي عَمُورِيَّة^٢ . ولعل
 لذلك سبباً آخر هو ان عمورية بلد الدولة الحاكمة ومولدها وإليها تنسب . ففتّح
 عمورية ، اذن ، كان مغامرة شعرية جميلة فوق ما انطوت عليه من الامة
 التاريخية التي حملت الروم ' ذلاً ' تتلمسه في قصيدة فتح الفتوح^٣ .

د - مازيار

كان مازيار هذا قد اظهر الخلاف على امير خراسان عبد الله بن طاهر ؛
 وفي عام ٢٢٤ هـ خرج عليه بطرستان وامتنع عن ارسال الحراج . لكن
 عبد الله تمكّن بوساطة احد عماله من ان يقبض على مازيار ويرسله الى سامرا ،
 فيقتله المعتصم عام ٢٢٥ هـ .

هـ - حرق الأفشين

لما ظهرت حركة بابك أرسل الأفشين لقتاله ؛ ولكن الافشين جعل يطاول
 بابك ، فاثارت هذه المطاولة شكاً حوله ، وظنها الكثيرون محابة للثائر وعظماً
 عليه . ثم تابعت سلسلة من الأدلة جعلت الافشين متهماً لدى الخليفة : منها
 ارساله الأموال الى اشروسته (بين نهر سيحون وبلدة سمرقند) سرّاً ، قيل
 لتأييد الدعوة الى الدين المجوسي وردّه ؛ وقد ثبت ان أهالي اشروسته كانوا يبدأون

(١) زبطرة Zapetra بلدة بين ملطية وسيباط والحدث ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ (ياقوت

٢ : ٩١٤) .

(٢) « السيف أصدق انباء من الكتب .. »

كتبهم الى الافشين بهذا العنوان : « الى اله الآلهة ... » ؛ وانه كان لدى الافشين كتاب في الديانة القديمة مُحْتَلَى بالذهب والجواهر ؛ وانه كان يكتب اتباعه ويكاتبونه متربصين بالعرب الدوائر . وزاد في النقمة على الافشين سعيه بعبد الله ابن طاهر وطعمه بإمارة خراسان مكانه .

كل هذه البنات تجمعت لتدين الافشين فلم يرَ المعتصم بداً من قتله ؛ ولكن السياسة اضطرته الى تجاهل امره حتى ينجلي الموقف في خراسان ؛ فتركه اميراً عاماً للجند في المشرق ، ولكن جعل على بعض اقسام الجند قادة يطمئن الى ولائهم : منهم ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وابو دُلْف العجلي ، يساعدهما عبد الله بن طاهر والي خراسان .

وتغلب المسلمون على بابل ولم يقتل المعتصمُ الافشينَ ، لحرصه على الاستفادة من مواهبه العسكرية في حرب الروم ايضاً بعد ان عزم على مهاجمة عمورية . فلما فُتحت عمورية وغُلبت الروم ؛ ولما خضدَ الخليفة شوكة الثائرين في المشرق ومكثته الله من اعناقهم ، لم يبق للمعتصم في الافشين مأرُبة فقتله وصلبه ، ثم احرقه . فأضاف ابوتمام الى قلائده الخالدة قِلادة جديدة . وانشد المعتصم مِدحة جديدة يبدأها بيسطَهم الافشين ، وينهيها بطلبه الى الخليفة ان يعقد لابنه الواثق ولاية العهد . وذلك عام ٢٢٥هـ :

الحقَّ أبلغُ ، والسيوفُ عوارٍ^٢ : فحدارٍ من أسدٍ العرين حدارٍ !

(١) ابن الاثير ٦ : ٢١٠ ، خ ١٥١ - ١٥٥ .

(٢) ابلج : ضامر ، واضح : عوار (ج عارية) مجردة .

الخصائص الأدبية في شعره

ان الأمم تختلف في أساليب تفكيرها ، نعلم ذلك مما نراه عندها من بناء جُملتها ونراكيب كلامها وأنواع مجازها واستعاراتها وكناياتها — كل أمة حسب بيئتها ونظورها وثقافتها . وكذلك أفراد الأمة الواحدة فانهم يختلفون أيضاً في طرائق تفكيرهم . قوة وضعفاً أو بُعد غورٍ وقرب مُتناول ، كل حسب بيئته واستعداده الطبيعي والفكري وحسب ثقافته .

١ - خصائصه المعنوية

لم تبرز هذه الظاهرة في شاعر عربي بروزها في ابي تمام ؛ حتى قال النقاد عن شعره إنه معتد ؛ وعن معانيه انها مقتسرة مأخوذة بعنف . على اننا لو انعمنا النظر لوجدناه يفكر بطريقة صحيحة ، ولكنها بعيدة عن مألوف الرجل العادي . ان أبا تمام مثقف حافظ ، مطلع على الحركات الفكرية التي كانت في أيامه ؛ وهذه عناصر كلها تتضافر على صيغ تفكيره بصيغة تظهره غريباً في نظر القارئ العادي ، وليس هو على الحقيقة كذلك . ثم أي فضل لشاعر — او لأي رجل آخر — اذا كان يحرك لسانه بما انتجته قرائح الناس ؟

ولقد صدق ابن رشيق حين قال ^١ : « وانما سمي الشاعر شاعراً لانه يشعر بما لم يشعر به غيره ؛ فاذا لم يكن عنده توليد معنى ، ولا اختراعه ... او صرف

(١) المدة ١ : ٩٦ .

معنى عن وجه الى وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ؛ ولم يكن له الا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي ، مع التقصير ... » ثم قال : « وإنما السبق والشرف في المعنى ^١ ! » .

واليك هنا مثالين من تقصير الناس في فهم معاني أبي تمام .
خطأ الآمدي ^٢ أبا تمام في قوله ^٣ :

فلويتَ بالمعروف أعناقَ المُتَى ، وَحَطَمْتَ بِالْإِنْجَازِ ظَهَرَ الْمَوْعِدِ .

فرغم استعارة الظهر للموعد قبيحة ، والمعنى المستخلص من حطم الظهر رديئاً ؛ ولا أرى إلا أن أبا تمام تخيل أن ينجز الإنسان وعداً قبل أن يقطعه ثم يستغني عن الوعد مرة واحدة ، فيعطي المعتفين حالاً ، فلا يجري الوعد على لسانه . وكل ما في نقمة النقاد منه أنه نظر إلى المعنى من حيث لم يتعود الناس أن ينظروا إليه من قبل ، ودليلنا على ذلك قول أبي تمام نفسه ^٤ :

يرى الوعدَ أخزى العار ، إن هو لم تكن مواهبه تأتي مقدّمة الوعدِ .
وخطأه الآمدي أيضاً ^٥ في قوله ^٦ :

يَقِظُ ، وهو أكثرُ الناسِ إغصاءً ، على نائلٍ له مسروقٍ .

وكل ما في الأمر أن الآمدي لم يتعود أيضاً أن يرى النائل (العطاء) مسروقاً .
إنّ ما يكون مسروقاً ، في رأيه ، هو المال المغصوب ؛ أما ما يعطيه الرجل فلا يمكن أن يكون مسروقاً . ولا ريب عندي أبداً في أن أبا تمام قصد أن الشاعر يأخذ الممدوح بالشعر الجميل حتى يسلبه مالا ما كان ليُعْطِيَهُ إياه لولا

(١) العدة ١: ٧٤ ، السطر ٥ - ٦ .

(٢) الموازنة ٩٥ .

(٣) ديوان خ ١١٣ .

(٤) انظر شرح الاسود ١: ٢٦٥ ، امراء الشعر ١٥٥ .

(٥) ديوان خ ١٣٠ .

(٦) الموازنة ٩٩ .

(٧) ديوان خ ٢٢٠ ؛ سر الفصاحة ٢٥٠ .

هذا الشعر .

وعلى كل فلنذكر أن الآمدي - جد متحامل على أبي تمام ، جد مُحَابٍ
للبحثري .

شغف أبي تمام بالإغراب

قال الآمدي في كتابه « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » ، على لسان صاحب
أبي تمام : « إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور
فهمه (هو) ، وفهمه العلماء والنقاد في علم الشعر »^١ . وكان مثال ذلك ما
جرى يوم قصد أبو تمام عبدالله بن طاهر ومعه قصيدة يمدحه بها مطلعها :
أهنّ عوادي يوسف وصواحيه^٢ . فلما عرضها على كاتبين لعبدالله بن طاهر
قالا له : « لِمَ تقول ، يا أبا تمام ، ما لا يُفهم ؟ » فأجابهما فوراً : « لِمَ لا
تفهمان ما يقال ؟ » . فكان هذا مما استُحْسِن من جوابه^٣ . ثم انهما سرا بأبيات
منها سروراً حملهما على رفعها إلى عبدالله بن طاهر .

وكان في الآمدي تحامل على أبي تمام ، ومع ذلك فاننا نجده يقول^٤ :
« لا يدفعون أبا تمام عن لطيف المعاني ودقيقها والاغراب فيها
إلواستنباط لها » . ولكنه يقول أيضاً : « وأبو تمام يتبهرج شعره عند التفتيش
والبحث ، ولا تصحّ معانيه على التفسير والشرح »^٥ .

ولا ريب في أن أبا تمام كان يوغل في طلب معانيه . ولقد أنصف كتاب
أمراء الشعراء في نقل رأي ابن رشيق^٦ : « وأما حبيب (أبو تمام) فيذهب
لي حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعاً أو كرهاً ؛

(١) الموازنة ٩ .

(٢) راجع هبة الايام ٢٦ وما بعدها ، ١٣٤ .

(٣) الموازنة ١٧٠-١٧١ .

(٥) الموازنة ١٥ .

(٦) ص ١٩٣-١٩٤ (الطبعة الثانية ١٦٠) .

(٧) الممددة ١ : ١٠٩ .

يأتي للأشياء من بعد : ويأخذها بقوة » ...

« ويراد بذلك هيامه بالغريب من المعاني التي يحتاج في تفهمها إلى تأمل ومشتقة . تراه يغطي مقاصده بشيء من الإبهام ، فإذا كشفته بأن لك جمال خللاب يستهويك ويزيدك ترنحاً بها . ومن هنا (تنشأ) هذه الصعوبة التي يعاينها من يطالع ديوانه : فإنه قد يقف حائراً أمام طالاسمه وغموض معانيه ، حتى إذا راضت له بالدرس والتفكير رأى فيها ما يلذّه من صور جميلة ومعانٍ رشيقة ^١ .

كل شعر يبدأ نهضة فهو غامض : كذلك الشعر الجاهلي الأول ، فشر امرئ القيس أكثر غرضاً من شعر زهير للزمن الذي بينهما ؛ وشعر الطيرماتح أشدّ تعقيداً من شعر جرير ! وكذلك شعر مسلم بن الوليد أحياناً ، وشعر ابن الفارض : وكذلك أيضاً شعر شكسبير والروائيين الإفرنسيين الأول وشعر غوته سيد شعراء ألمانيا . ولعل أشعار فيرجيل ودانتي لا تخرج على حدود المبدأ الذي نتخذنه .

أفنعجب بعدئذ ، إذا رأينا غموضاً في بعض شعر أبي تمام وهو الذي أوجد طريقة الشاميين ، وكان أول من حلّى الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة ؟ فمن إغراب أبي تمام ، إذن ، قوله :

— وقد كانت الأرماح ابصرن قلبه فأرمدها ستر القضاء الممدّد ^٢ .
— رقيق حواشي الحليم . لو ان خلقه بكفك ما ماريّت في أنه بُرد ^٣ .
— قد كان عُذرة مغرب فافتضّها بالسيف فحل المشرق الأفشين ^٤ .

(١) امرأ الشعر ١٩٤ (الطبعة الثانية ١٦٠ - ١٦١)

(٢) خ ١٠٢ - يتخيل الشاعر هنا أن الرماح عيوناً ابصرت المقتل (من بابك الخرمي) ولكن قضاء الله الذي لم يكن قد حان بعد مد بين عيون الرماح وبين قلب بابك سترأ مرضها فاضلت المقتل (ونجا بابك) .

(٣) خ ١٢١ - نخبرنا أبو تمام أن الممدوح (محمد بن الهيثم) لين العريكة طيب النفس ، حتى لو أن أخلاقه تجس باليد لما شك إنسان في أنها ثوب من الحرير رقيق . راجع سر الفصاحة ٢٤٩ .

(٤) خ ٣٢٦ - ما زالت مدينة البذ (معقل بابك) بكر محصنة بعيدة المنال حتى استطاع القائد الأفشين التركي (المشرقي) أن يكون أول بان بها (متزوج بها = أول من أخذها عنوة) .

— ورَكِبُ يُسَاقُونَ الرِّكَابَ رُجَاجَةً من السير لم تَقْصِدْ لها كف قاطب؛ فقد أَكَلُوا منها الغواربَ بالسُّرَى ، وصارت لها أَشْبَاهُ حَمَمٍ كالغواربِ^١ . ولكن يجب ألا نَجْفِلَ كثيراً من الغموض والتعقيد في الشعر ، كما يقول نفر من النقاد ، فان الشعر لا يمكن أن يكون الكلامَ المتداولَ المألوفَ . من أجل ذلك وجب أن نغتنر للشعراء كثيراً مما يظهر في شعرهم من ذلك . « ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لَوَجِبَ ألا يُرى لأبي تمام بيتٌ واحدٌ ؛ فاننا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين قد وَقَرَ من التعقيد حظهما وأفسد به لفظهما . ولذلك كثر الاختلاف (أي اختلاف الناس) في معانيه ، وصار استخراجها باباً منفرداً ينتسب إليه طائفة من أهل الأدب ، وصارت تُتطَارَحُ في المجالس مطارحة أبيات المعاني والغاز المعَمَّى »^٢ . وهذا يكاد يكون عاماً في الشعر كله ، قال الجرجاني^٣ : « وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو مُحدث إلا ومعناه غامض مستتر ؛ ولولا ذلك لم تكن إلا كغيرها من الشعر ، ولم تفرَدُ فيها الكتب المصنفة ، وتشغلُ باستخراجها الأفكار النارعة »^٤ . على أن الذي يُؤخَذُ على أبي تمام أن ديوانه مشحون بالغموض والتعقيد^٥ .

قوى الفكر غواص على المعاني

قال المبرِّد^٦ « لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعانٍ طريفة ، وهو صحيح

(١) خ ٤١ ؛ امرأ الشعر ١٩٦ - ١٩٧ - يجعل ابوتمام السير خراً صرفاً « غير مزوجة » يديرها الركبان بينهم فورشهم شدة في سيرهم من غير تفكير بمال ؛ ثم إن اجتهاد النياق بالسير قد اذاب سنامها ؛ وكان السير الكثير ايضاً قد انحله هم انفسهم فأصبحت أجسامهم النحلة كأنها هي سنام الابل (راجع ايضاً شرح التبريزي ٢٠٩ : ١) .

(٢) الوساطة ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) الوساطة ٤٣١ .

(٤) الافكار الفارغة : التي ليس لها مشاغل .

(٥) الوساطة ٤٣٣ .

(٦) اخبار ابي تمام ٩٦ - ٩٧ ؛ أخبار البحري ١٦٤ - ١٦٥ .

الخاطر حسن الانتزاع (للمعاني وللصور الشعرية) . وأبو تمام يقول النادر والبارد ، وما أشبهه إلا بغائص يخرج الدّرّ والمخشليّة^١ . والصولي يقول^٢ : « ان أبا تمام يصنع الكلام ويخترعه ويتعب في طلبه حتى يُبدع ، ويستعير ويُغريبُ في كل بيت إن استطاع وأبو تمام لا يسقط معناه البتّة ، وإنما يَختلّ في (بعض) الوقت لفظه . فاذا استوى له اللفظ ف (ذلك) هو الجيّد من شعره النادر الذي لا يُتعلّق به » .

- تفاوت شعره

بدأ الآمدي حجاجه عن البحري وحملته على أبي تمام بقوله^٣ : « ووجدت - أطلّ الله عُمرَكَ - أكثرَ من شاهدته ورأيت من رِوَاة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمام لا يتعلّق بجيده جيّد أمثاله ، ورديئه مطروح مرذول » . وعلى هذا سار الأصفهاني فقال^٤ : « والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلّق به أحد ، وله أشياء متوسطة ، و (أشياء) رذيلة جداً » . كل هذه الأحكام ترجع بلا ريب إلى قول البحري عن أبي تمام وعن نفسه^٥ : « جيّده خير من جيّدي ، ورديئي خير من رديئه » .

ولقد أنصف الجرجاني لما استعرض أقوال النقّاد في أبي تمام ثم وازن بين هذه الأقوال وبين شعر أبي تمام ، وقد استشهد ببعض عُمره وقلائده ، فقال^٦ : رأيت أبا تمام يترقى في هذه^٧ الدُرَج العالية ويتصرّف هذا التصرف المعجز ، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب » . ويلوم الجرجاني

(١) خرز أبيض يشبه اللؤلؤ .

(٢) أخبار البحري ١٦٥ - ١٦٦ ، راجع ٥٧ - ٥٨ ؛ غ ١٥ : ٩٦ .

(٣) الموازنة ١ .

(٤) غ ١٥ : ٩٦ .

(٥) أخبار البحري ٥٧ .

(٦) الوساطة ٦٥ ، راجع ١٨ ، ٢١ ، ٦٢ - ٧٨ .

(٧) في الاصل « هذا » . - الدرجة (بالضم ، أو بفتح ففتح ، أو بضم وفتح) : المرقاة .

أبا تمام - مع شدة حبه له^١ - على أنه يأتي بالأبيات الرائعة الأنيفة ، ثم يأتي له في أثناءها بيتٌ ضعيف فيتعلق هذا البيت الضعيف في موضعه وتخلخل القطعة كلها . ان البيت الضعيف إذا جاء في أثناء أبيات بارعة أو متينة اشتد ضعفه بروزاً ، كما أن البيت البارع المتين إذا وقع في الأبيات السخيفة الركيكة ضاع جماله ولحقته هجئة . ويتمنى الجرجاني أن لو كان أبو تمام قد حذف الأبيات الغثة الركيكة من ديوانه ولو ذهب في ذلك نصف شعره . ويرد الجرجاني أكثر عيوب أبي تمام إلى شدة تكلفه للمعاني البعيدة وإلى الجِدِّ في تطلب البديع ، فان التكلف ، في رأي الجرجاني^٢ ، « قد يكون سبباً إلى طمس المحاسن » .

التشبيه والاستعارة

ويتبع أغراب أبي تمام في المعاني عموماً ، 'بعدُ تشابهه واستعاراته . ولكن لا يعزبن عن بالك أن الناس يميلون إلى ما أليفوا ويصدون عما لم يعرفوا . وقد صرح بذلك الآمدي^٣ فقال عن أبي تمام : « ولو ... اقتصر من القول على ما كان محمّداً حذوّ الشعراء المحسنين ... لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر أكثر الشعراء المتأخرين » . وعلى هذا انتقد له « رقيق حواشي الحلم » لأنه ما علم أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقّة ، وإنما يوصف الحلم بالعِظَم والرجحان والثقل والرزانة ...^٤ » وانتقد له : من الهيف لو أن الخلاخل صُيرت لها وشُحّ جالت عليها الخلاخل .

فقال « وهذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب ... »^٥ : لأن

(١) قال الجرجاني : « ولست أقول هذا غرضاً من أبي تمام ، ولا تهجيناً لشعره ، ولا عصبية عليه لغيره . فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه ، وانتحل مولاته وتغنييه ، وأراء قبله أصحاب المعاني وقدة أهل البديع » (الوساطة ١٨) .

(٢) الوساطة ١٨ .

(٣) الموازنة ٥٦ .

(٤) الموازنة ٥٧ ، ثم ٥٧ - ٥٩ ، راجع الوساطة ٧٦ .

(٥) الموازنة ٥٩ ، الوساطة ٧٦ .

العرب تجعل الخلاخل ضيقة في الأرجل ، وتحب النساء البدينات . وانتقد له « عرض الدهر » ، « والزمان لا عرض له على الحقيقة »^١ .

وأخذوا على أبي تمام من استعاراته قوله^٢ :

فضربت الشتاء في أخدعيه
ضربة غادرته قوداً ركوبا ،

وقوله : « يا دهر قوم من اخدعك^٣ ... » فالآمدي لا يعترف للشتاء باخدعين « عرقا العنق » ، وإنما هما للبشر أو للاحياء على الأقل . ثم ان الأستاذ ضومط يسائر الآمدي الى حدّ فيقول : « إنه (أي أبا تمام) يصور الشتاء بعيراً صعباً وقد ركبه الممدوح فعاصى عليه في سيره فضربه ضربة شديدة في كل من اخدعيه فذل وأطاع ؛ ... ان الاستعارة بالكناية في البيت بعيدة عن المؤلف ، ويصعب على الذهن تصورها » .

فأنت إذا رأيت الأسس التي ، اتخذها النقاد لنقد شعر أبي تمام ، علمت أنها صحيحة بالإضافة إلى أنفسهم — أي إلى ما ألفوا وما لم يألفوا — لا بالإضافة إلى ما يمكن أن يفهم منها بعد إعمال الفكر . ولا ريب عندنا في رجاحة رأي ابن رشيق : « والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر ، فان وقع فيه منهما شيء فبقدر . ولا يجب أن يجعل نصب العين ويكونا مُتَكِنًا واستراحة ؛ وإنما الشعر ما أطرب ، وهز النفوس وهز الطباع ... » ، ثم نقل ابن رشيق رأي الجاحظ في مكان آخر فقال : « أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ... فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان . وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكر الجاحظ لذ سماعه وخف محتمله وقرب فهمه وعذّب النطق به^٤ ... »

على ان تكلف أبي تمام قد جعل كثيراً من استعاراته سيئة لفترتها في النون

(١) الموازنة ٨٢ .

(٢) ديوان خ ٢٧ ، الوساطة ٦٨ ، راجع ٤٤٦ ؛ سر الفصاحة ١١٧ ؛ راجع أمراء الشعر ١٦٢ .

(٣) الموازنة ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، الوساطة ٤٤٦ ، مجلة الكلية آذار ١٩١٤ .

(٤) للمدة ١ : ٨٣ ، ثم ١٧١ - ١٧٢ .

واستحالتها في العقل كقوله مثلاً^١ :

باشرتُ أسبابَ الغنى بمدائحٍ ضربتُ بأبواب الملوك طُبولاً.

ومرد هذه السيئة عند أبي تمام ، في رأي الجرجاني ، ان الشعراء كانوا يَجرون في الاستعارة « على نهج منها قريب من الاقتصاد ، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرخصة فأخرجه إلى التعدي » .

ولكن يجب ألا نقرّ النقاد على كل شيء أخذوه على أبي تمام ، أو على غيره ، فقد لا يكون المعنى من السوء بحيث يظنون ولا الاستعارة من البعد بحيث يحسّبون . روى الجرجاني^٢ بيت أبي تمام (ديوان خ ٧٥) :

شاب رأسي ، وما رأيتُ مَشيبَ رأس إلا ممن فضل شيب الفؤاد .

ثم قال : « وهذا مما استقبح من استعاراته » ، يقصد استعارة الشيب للفؤاد (للقلب) . ولعل الجرجاني قد أتي في ذلك من استغراب نقر من جلساء أحمد بن أبي دواد لهذا البيت . هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في مدح أحمد بن أبي دواد ، هي^٣ :

سَعَدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بسُعاد ففهي طَوْعُ الإِتهام والإِنْجاد .

قيل لما وصل أبو تمام إلى البيت : « شاب رأسي » قال بعضهم : وكيف يشيب الفؤاد ، فرد عليهم أبو تمام قيل ، بيت ارتجله :

وكذاك القلوبُ في كل بؤس ونعيمٍ طلائعُ الأجساد .

قد تكون الاستعارة بعيدة : « أي تشبيه القلب بانسان يشيب رأسه » ، ولكن المعنى صحيح . يقصد أبو تمام — مما رأينا من البيت الذي ارتجله رداً على من اعترضه في ذلك — أن الشيب في الرأس علامة على ضعف المنّة الجسدية . ان الشيب الطبيعي يأتي من التقدم في السن ، والتقدم في السن يجعل الجسم

(١) الوساطة ٣٩ .

(٢) الوساطة ٢٥٠ .

(٣) ديوان خ ٧٥ — ٧٨ .

ضعيفاً . فالشيب الذي يأتي أيضاً مع تقدم السن هو علامة ظاهرة على الضعف المستتر في الجسم . وصَرَفَ التبريزيَّ البيتين بيُسْرٍ ، إذ قال في معنى البيت الأول : « أي ما شبت للكبير ، إنما للهَمُوم » . وقال في شرح البيت الثاني « أي كل ما يحدث بالجسم فاعلم انه بدأ بالقلب أولاً » ١ .

نحن نعلم أن شعر أبي تمام ليس من هذا النوع الذي يَقْرُبُ فهمه وَيَعْدُبُ النطقُ به . ولكنه من ذلك النوع الذي تَطَرَّبُ له العقول المثقنة والأفكار النيرة وأهل الاطلاع الواسع ؛ وكل ذنب أبي تمام عند قوم آخرين انه بحث عن أوجه للشبه جديدة واستعارات بعيدة عن المؤلف أوحى بها إليه اطلاعه الواسع وفكره القوي وروحه الوثاب ، فاستبعدها الناس واستغربوها وحملوا عليه من أجلها . وينصف الجرجاني حينما يقول : ان إساءة الشاعر في بيت أو في قصيدة لا تسقطه من الشعراء ولا تقدح في شاعريته ٢ . إلا أن نفرأ من النقاد المحدثين كانوا يفضلون الجاهلي والإسلامي (الأموي) ثم يُقَرِّرون للطبقة الأولى من المحدثين أمثال بشار وأبي نواس بشيء من الفضل ثم لا يَرَوْنَ فضلاً لتأخر قُرْب زمانه من زمانهم ٣ . وكان هؤلاء يتحاملون على الشاعر المحدث ولو كان محسناً . وربما سمع أحدهم الشعر غير منسوب فاستحسنه وطرب له ، ثم إذا نسب ذلك الشعر إلى قائله ، وكان قائله مُحدثاً ، ذمه وتبرأ من رأيه الأول ٤ . وعلى هذا كان بعض النقاد ينفضون يدهم من أبي تمام مرة واحدة ٥ .

كثرة اختراعه

قال ابن رشيق ٦ : « وأكثر المولدين معاني وتوليداً ، فيما ذكر العلماء ،

(١) ديوان ، شرح التبريزي ١ : ٣٦٠ .

(٢) راجع الوساطة ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) راجع الوساطة ٤٨ ، ٤٣٣ .

(٤) راجع الوساطة ٤٨ ، ٥٠ ، راجع ٧٨ ، ٤٣٣ .

(٥) الوساطة ٤٨ .

(٦) العملة ص ١ : ١٨٩ .

أبو تمام « ؛ ولكنه شخصياً يميل إلى إعطاء هذا المركز لابن الرومي^١ ، مع أنه كان قد شاركهما فيه قبل بضع عشرة صفحة^٢ حيث قال : « وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً ، فيما يقول الخذاق ، أبو تمام وابن الرومي .. »

والاختراع عند ابن رشيق خلق المعاني التي لم يُسبق إليها ، والإتيان بما لم يكن منها قط . وأما ابن الأثير فأشد تحفظاً في أحكامه ؛ جاء في كتابه^٣ « قد قيل ان إبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين اختراعاً للمعاني ، وقد عددتُ معانيه المبتدعة^٤ فوجدت ما يزيد عن عشرين معنى . وأهل هذه الصناعة يُكبرون ذلك ؛ وما هذا من أبي تمام بكبير ! » .

وإلى هذا أيضاً ذهب أبو الفرج الأصفهاني^٥ فقال عنه « شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعاني ، غرّاص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره » . إلا أن النقاد لا يتفقون على أنه مطبوع .

اعتداده بشعره

نظر أبو تمام إلى نفسه فرأى قوة فكره ورأيه فقال^٦ :

فاسمع مقالة زائر ، لم تشبهه^٧ آراؤه عند اشتباه اليد .
— ليت شعري ماذا يريبك مني ، ولقد فطنتُ فطنة الفيلسوف .

وأنت كيفما قلبت في ديوانه وجدتَ فكراً لا يكلّ على المدى بل يزداد دائماً قوة ونُضجاً ، وكأنك من معانيه أمام سيل لا ينقطع . ويكفيه فخراً أنه جرح صحة تلك الفكرة القائلة : « ما ترك الأوائل شيئاً للأواخر » ثم

(١) ص ١ : ١٩٠ .

(٢) ص ١٧٧ .

(٣) المثل الثاني ١ : ١٩٣ .

(٤) لا شك في انه يقصد المخترعة . انظر المدة ١ : ١٧٠ .

(٥) راجع النماذج في الكلام على الفنون والاعراض : الحكمة والزهد .

(٦) الاغانى ١٥ : ٩٦ .

(٧) ديوان خ ص ٨٤ ، ٤٠٤ .

دلّ على أن قول عنترة « هل غادر الشعراء من مَردم ؟ لا يعني أن الأقدمين أتوا على جميع المعاني ؛ وعلى أن بيت زهير^١ :

ما ترانا نقول إلا مُعاراً أو مُعاداً من قولنا مَكروراً

أما منحول أو أنه حكم شخصي خاص . أما أبو تمام فيقول عن قصائده (ديوان خ ١٤٣) :

يقول من تَفَرَّعُ أَسْماعَه : كم ترك الأولُ للآخر !

وظفر ابن رشيقي^٢ بهذا البيت فقال : « وعلى هذا القياس يُحمل بيت أبي تمام — وكان إماماً في هذه الصناعة غير مُدافع — : « يقول من تفرع أَسْماعه .. » فنقص قولهم : ما ترك الأول للآخر شيئاً .

وقال أبو تمام في مكان آخر فزاد بياناً وكشفاً !

فلو كان يَفْتِي الشعرُ أفناه ما قَرَّتْ حياضُك ، منه ، في العصور الذواهب
ولكنه صَوَّبُ العقول ؛ إذا انجلت سحائبُ منه أُعْقِبَتْ بسحائب^٣ .

ويؤكد لنا أبو تمام ذلك بقوله عن قصائده (ديوان خ ٨١) :

مُترَّهَةٌ عن السَّرَقِ المُوَرَّى ؛ مُكْرَمَةٌ عن المعنى المَعَادِ^٤ .

(١) هذا البيت من قصيدة منسوبة لكعب بن زهير (ديوانه ، صنمه أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثلث . Bibl. D.M.G. fol. 125a, Cod. Soc. 83 . وليس في ديوان زهير (المجموع نفسه) . وليس هذا البيت في ديوان زهير (القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م . وفي « شرح ديوان كعب بن زهير » من صنعة السكري (القاهرة ، دار الكتب ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ، ص ١٥٤) : ما أَرانا نقول إلا رجيماً الخ .

(٢) العمدة ١ : ٥٧ .

(٣) ديوان خ ٤٣ ، ديوان ، الاسود ١٢٤ . لو كان الشعر مقداراً محدوداً ينتهي لانهى منذ زمن طويل لكثرة ما أعطيت الشعراء على مدحك . ولكنه صوب العقول (انكساب من العقول كانسكاب المطر من المنام) كلها تلاشت غمامة (بتحولها مطراً يسقط على الأرض) تبهتها غمامة أخرى (راجع أيضاً المختارات) .

(٤) الاغاني ١٥ : ٩٧ .

ومعاني أبي تمام على كثرتها جيدة ؛ وحسبك أن يقول عُمارَة بن عقيل وقد
سمع له أبياتاً من قصيدته : غدت تستجير الدمع خوف نوى غد : « لقد تقدم
في هذا المعنى من سبقه إليه ، حتى لقد حَبَّبَ إلي الاغتراب ! » ؛ يقصد
بذلك قول شاعرنا (ديوان خ ١٠٠ - ١٠١) :

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلِّقٌ لديباجتَيْهِ ؛ فاغترِبْ تتجدد .
فاني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مُحَبَّةً ، إلى الناس ، أنْ لَيْستَ عليهم بِسَرْمَدِ .

مطالعه وتخلصه وخواتيمه

في النقاد نفر يرون أن تكون مطالع القصائد بارعة جداً لأن المطالع أول ما
يقرع الأذن من القصيدة ، ويسمون ذلك براعة الاستهلال وحسن الابتداء .
ويرى هؤلاء أن المطالع إذا كان حلواً الألفاظ واضح المعنى متين التركيب ترك
في نفس السامع أو القارئ أثراً باقياً قد لا يمحى ولو جاء في القصيدة عدد
من الأبيات الرديئة . ومطالع أبي تمام بارعة في الأكثر ، وخصوصاً في
الحوادث الكبار ، فمن مطالعه الجيدة :

السيفُ أصدقُ لإنباءٍ من الكتب في حده الحَدِّ بين الجِدِّ واللعب .
— من سجايا الطلول ألا تُجيبا فصوابٌ من مقلتي أن تصوبا .
— الحقُّ أبلج ، والسيوفُ عوارٍ ؛ فحذارٍ من أسدِّ العرين حذار !
— كذا فليجلَّ الخطبُ وليُفدَحِ الأمرُ ، فليس لعينٍ لم يفيضْ ماؤها عذُرُ .
ولكن له أيضاً مطالع لم تستحسن لما فيها من التعقيد أو لنفرتها في الذوق أو
لغموض معناها . من هذه مثلاً (ديوان خ ٣٢١) :

خَشَنْتُ عليه ، أختَ بني خُشَيْنِ ؛ وأنجَحَ فيكَ قولُ العاذِلَيْنِ ١ .

(١) الاصل في خشن كسر الشين ، ولكن الرواية في الديوان بضمها . وبنوخشين قبيلة من اليمن
(راجع شرح التبريزي ٣ : ٢٩٧) . - يقول : قسوت عليه ، ايها الفتاة ، وقد صدقت
فيه قول العذال (اللاتمين ، الاعداء) .

ومن خصائص الشاعر المجيد « حسن التخلص » : أي الانتقال في القصيدة من غرض إلى غرض (من الوقوف على الأطلال إلى الغزل فالمدح فالحكميم مثلاً) انتقالاً طبيعياً معقولاً سريعاً ، لأن يتعثر الشاعر في انتقاله هذا فإذا به يقف في غرض وكأنه انتهى من مقصده ثم يبدأ فجأة بالغرض التالي . وإذا كان التخلص من غرض إلى غرض في بيت واحد كان ذلك احسن . ومما يُحمد لأبي تمام من التخلص قوله في بيتين يمدح بهما عبد الله بن طاهر ، وقد استغرب رفاقه بُعد سفره :

يقول في قوَمسٍ صَحْبِي ، وقد أخذت منا السُرى وخطى المَهْرية القُود^١ :
أَمْطَلَعِ الشَّمْسَ تَبْغِي أَمْ تَوُومٌ بِنَا ؟ فقلت : كلا ، ولكن مَطْلِعُ الْجُودِ^٢ !
ويرى الجرجاني^٣ أن أبا تمام قد ذهب في التخلص كل مذهب واهتم به كل اهتمام . غير أن حسن التخلص في ديوان أبي تمام قليل جداً ، ذلك لأن أبا تمام شاعر مصنوع مقتدر ، لا شاعر مطبوع يجري على السجية . تأمل قوله مثلاً يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (خ ١٠٨) :

تريدن الزيدَ ، وليس عندي وراء محلّ حبك من مزيد .
أما ، وأبي الرجاء ، لقد ركبنا مطايا الدهر من بيض وسود .
فلائصُ شوقهن يزيد شوقاً ويمنعن الرقاد من الرقود .
إذا انبعثت على أملٍ بعيدٍ ، فقد أدنت من الأمل البعيد .
أبينَ فما يزُرُنَ سوى كريمٍ ؛ وحسبك أن يزُرُنَ أبا سعيد !
فأبو تمام ينتهي من الغزل والنسيب فجأة ثم يبدأ وصف الراحلة . غير أنه يختصر الانتقال من وصف الراحلة إلى المدح .

(١) خ ١٣٦ . - اخذت منا (نهكتنا ، اتميتنا) . السرى (السفر ليلاً) وخطى (خطوات ، سير ، سفر) المهريّة (الياق من المهرة في جنوبي شبه جزيرة العرب) القود (جمع أقود وقوداء : الأبل الذلولة الممودة على السفر) .

(٢) أطلع الشمس تبغي ؟ : لماذا هذا الامعان والايغال في السفر ...

(٣) الوساطة ٤٧ .

وأبو تمام يُحَسِّن اختتام القصائد كما يحسن مطالعها . وخواتيم قصائد أبي تمام واضحة المعنى بيّنة القصد موجزة القول ترسخ في الذهن بأدنى تأمل . من ذلك قوله ^١ :

كُتِبْتُ ، ولو قَدِرْتُ - هوىً وشوقاً إليك - لَكُنْتُ سطرّاً في الجواب !

وختم أبو تمام قصيدةً مدح بها أبا دُلْفٍ العِجْلِيَّ بيتين هما ^٢ :

أقولُ لأصحابي : هو القاسم الذي به شرح الجودُ التباسَ المذاهب .

وإني لأرْجو عاجلاً ان تردّني مواهبهُ بحرّاً تُرجى مواهي .

مصادر معانيه

إذا تركنا المصدر الشخصي لهذه المعاني ، وما تعلمه ابوتمام ورواه فاستقى منه ، ككثيرين من الشعراء ، رأيناه يأخذ المعاني أيضاً من أفواه الذين لا يقصدون ان يخرجوا ادباً لأنفسهم .

جاء في الاغاني ^٣ : « مر ابوتمام بمخنث يقول لآخر : جئتكَ امسٍ فاحتجبت عني ؛ فقال له : السماء اذا احتجبت بالغيم رُجِّي خيرها ... » قال من روى عنه الاصفهاني « فتيبت في وجه ابي تمام انه قد أخذ المعنى ليضمّنه في شعره ، فما لبثنا اياماً حتى أنشدت قوله :

ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً ؛ ان السماء تردّجى حين تحتجب .

وبجانب هذا النوع نوع آخر اختلف الناس في تسميته ؛ فقال بعضهم إنه سرقة ، وقال آخرون انه ابتداء .

يعتقد الآمدي ^٤ أن ابا تمام شُغِف بالشعر ومطالعه « وانه ما من شيء كبير

(١) ديوان ٥٧ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٢٣٢ .

(٢) ديوان ٤٣ ؛ اعيان الشيعة ١٩ : ٢٣٢ ؛ راجع المختارات

(١) الاغاني ١٥ : ١٠٣ .

(٤) الموازنة ص ٢٣ .

من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه . لذلك تمكن من سرقة معانٍ كثيرة خفِيَّ اكثرها لقلة اطلاع الناس على ما اطلع عليه ابوتمام . وبلي هذا القول اثنتان وثلاثون صفحة يردّ الآمدي فيها ابياتاً لابي تمام الى المصادر التي سرقت منها ، وبأخذه بها اخذاً شديداً ؛ مع ان الآمدي نفسه يقول حينما يعرض لسرقات البحري^١ : « انه غير مُنكر ان يكون (البحري) اخذ منه (من ابي تمام) اكثر ما كان يرد على سمع البحري من شعر ابي تمام فيعتلق معناه قاصداً الأخذ او غير قاصد ... » و (ان هناك) ما يشترك فيه الناس ، وتجري طباع الشعراء عليه ؛ ... ثم اضاف الى ذلك قوله^٢ : « ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساويء الشعراء وخاصة المتأخرين ، اذ كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر^٣ ... »

ليس من المستغرب ان يكون ابوتمام قد أخذ عدداً من معانيه من غيره ، ولكن المستغرب أن يتبع النقاد المتحاملون عليه ألفاظه ثم يزعمون أن كل بيت شاكلت لفظة من ألفاظه لفظة في بيت شاعر آخر بيت مسروق^٤ .

امكن هذا كله لا يعني أن أبا تمام لم يُلِمَّ بمعاني الشعراء . لقد ألم أبو تمام بمعنى النابغة الذبياني في تخليق الطيور فوق الجيش الذاهب إلى الحرب : « إذا ما غزوا بالجيش حلت فوقهم عصائب طير »^٥ فقال^٦ :

وقد ضللت عيَّبانُ أعلامِهِ ضُحىً بعِقبانٍ طيرٍ في الدماء نواهِلٍ^٧ .
أقامت معَ الرايات حتَّى كأنَّها من الجيش إلا أنها لم تُقاتل .

(١) الموازنة ص ٢٢ .

(٢) الموازنة ص ١٢٤ .

(٣) راجع في السرقات الشعرية الوساطة : للجرجاني ١٧٨-٢٠٩ .

(٤) راجع الوساطة ٢٠٢ وما بعدها ، وخصوصاً ٢٠٥ وما بعدها ، ٢١٦ ، ٢٧٠-٢٧١ ، ٢٩٧ .

(٥) ديوان النابغة (بيروت ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) ص ١٠ ؛ ديوان مسلم بن الوليد ٣٠٨-٣٠٩ .

(٦) ديوان خ ٢٤٨ ؛ راجع تفصيل ذلك في أخبار أبي تمام ١٦٣-١٦٦ .

(٧) العقاب (بالنغم) : طائر من الجوارح . والعقاب : الراية ، وجمعها عقبان (بالكسر) .

وكان أبو تمام شديد الإعجاب بصريع الغواني مسلم بن الوليد وبأبي نواس ، وقد أقسم مرة ألا يصلي حتى يحفظ شعرهما^١ . ثم ان أبا تمام كان يتبع مذهب مسلم بن الوليد في البديع^٢ فليس بعجيب أن يكون قد ألمّ بمعان كثيرة له^٣ . وكذلك ألم أبو تمام بمعان لأوس بن حجر الجاهلي^٤ ولمسلم بن الوليد العباسي^٥ ولأستاذة ديك الجن^٦ ولغيرهم أيضاً .

لا يتسع المقام هنا لذكر عناصر السرقة في الشعر كما فصلها ابن رشيق عن المصادر التي استنى منها^٧ : فالقول متشعب والحكم نسبي ذاتي . غير أن ما لا يغتثر أن يأخذ الشاعر قول شاعر آخر بظله المخصوص ، ثم يسوقه في ألفاظ متنتة أو مختلفة . أما إذا راقه معنى ورأى أن بعض نواحيه قد خفيت على صاحبه فجلا تلك المعاني فهو كأنه قد اخترع ذلك المعنى أو أبدعه . وأحسن مثال على ذلك ما رواه الأصفهاني^٨ فقال :

« حدثني هارون بن عبدالله المهلب قال : كنا في حلقة دُعبل ، فجرى ذكر أبي تمام ؛ فقال : دِعْبِلُ كان (أبو تمام) يتبع معانيّ فيأخذها . فقال له رجل في مجلسه : وأي شيء من ذلك ، أعزك الله ؟ قال : قولي :

وإن امرأً أسدى إليّ بشافع إليه ، ويرجو الشكر مني لأحمق .
شفيعتك فاشكر في الحوائج ، إنه يصونك عن مكروها وهو يخلق .

(١) ديوان مسلم ٢٤٧ .

(٢) ديوان مسلم ٢٢٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ الخ .

(٣) ديوان مسلم ٢١-٢٢، ٢٦، ٤٥، ٦٠، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٨-٢٩٩ ؛ راجع أخبار أبي تمام ٧٨

(٤) أخبار أبي تمام ٥٣ - ٥٤ .

(٥) ديوان مسلم ٢٨٧ عن كتاب الحب والمحبوب والمشموم والمشروب للرعى الرفاء ؛ أخبار

أبي تمام ١٧٣ .

(٦) العمدة ١ : ٦٤ .

(٧) العمدة ٢ : ٢١٥-٢٢٦ .

(٨) الاغاني ١٥ : ٩٧ - ٩٧ . أخبار أبي تمام ٦٣ - ٦٥ .

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمام ؟ فقال : قال ١ :

فلقيتُ بين يديك حلوَ عَطائِهِ ، ولقيتَ بين يديّ مر سَوَالِهِ .
وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعةً من جَاهِهِ ، فكأنهما من مَالِهِ !
... فقال : والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولى به منك ؛ وإن
كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ... »

وقد اتفق أيضاً أن اختار أبو تمام في حماسه بيتين في الأدب لأحد
الشعراء^٢ نراهما في إحدى مقطوعاته ، ومطلعها (ديوان خ ٤٨٥)
إذا جاريّت في خلُقٍ دنيئاً فأنت ومن تجاريه سواء .

قبل قائلها معرضاً فيها ببعض بني حميد لأنه لم يستطع أن يهجوَهُ لما لآل
حميد من الحب في قلبه والوفاء من نفسه ؛ ولا ريب في أن هذا نوع من السرقة
صحيح ؛ ولو ظفر الآمدي بهذين البيتين لألف في مثالب أبي تمام كتاباً جديداً .
ولقد فطن التبريزي شارح ديوان الحماسة إلى شيء من ذلك فقال ان أبا تمام
اشتق معانيي لنفسه من الشعراء الذين اختار لهم في « الحماسة » . فقد أخذ
معنى من الحارث بن همام الشيباني^٣

وحمل دعبل على أبي تمام متّهماً إياه بسرقة أجمل مرثيته « كذا فليجل » .
من مرثية لأبي مكنيف المزني ، من ولد زهير بن أبي سلمى : في ذفافة بن
عبد العزيز العبسي^٤ ، هي ٥ :

أبعدَ أبي العباس يُستعَبُّ الدهرُ ؛ وما بعده للدهر عُتبي ولا عذر ؟
ألا أيها الناعي ذفافة ذا الندى ، تعيسَتَ وُشلتَ من أناملك العشر !

(١) ديوان خ ٢٤٠ ؛ شرح التبريزي ٣ : ٦٠ .

(٢) ٢٠ : ٢ .

(٣) شرح ديوان الحماسة

(٤) الوساطة ١٨٧ - ١٨٨ .

ولا مَطَرَتِ أَرْضَ سَمَاءٍ ، ولا جَرَتْ نجوم ، ولا كَلَّتْ لشارِبِها الخمر .
 كأن بَنِي القَعْقَاعِ ، بعد وفاته ، نجوم سماء خَرَّ من بينها البدر .
 تُؤَفِّقَتِ الآمالُ بعد ذُفَافَةٍ فأصبح في سُغْلٍ عن السَّقَرِ السَّفَرِ .
 يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى به العلي ؛ ويكي عليه البأس والمجد والشعر .
 وما كان إلَّا مالٌ من قَلٍّ ماله ، وذُخْرًا لمن أَمسى وليس له ذخر .

ثم نظم مَرثِيته في أبناء حَمِيدِ الطوسي فقال :

كذا قَلْبِي جَلَّ الخُطْبُ ، ولِفِدْحِ الأمرِ ،

فليس لعين لم يَفِضْ ماؤها عَذْرُ .

بعد ذلك أثبت البيت الرابع بعد وضع كلمة : نبهان مكان القَعْقَاعِ ؛ وغير
 ذُفَافَةٍ في البيت الخامس فجعلها محمداً ؛ ثم أثبت البيتين : السادس والسابع
 من غير تغيير .

على أن دَعْبِلَ بن علي الخُزَاعِي هو الذي لَفَّقَ هذه الرواية ، وَتَحَلَّ أبا
 مكْنَفَ هذا الأبيات التي زعم أبا تمام سرقتها . ولا ريب في أن أدنى معرفة
 بالشعر والبلاغة تحيل الالتحام بين الأبيات الثلاثة الأولى وبين الأربعة الأخيرة .
 فالثلاثة الأولى أشبه شيء بشعر عَنَرِ المنحول في القصص ، بينما
 الأربعة التالية تنطق بشاعرية فياضة وعبقرية لا شك فيها .

ولم يغب شيء من هذا على النقاد المعاصرين لأبي تمام ولا على رواة الأدب ،
 فقد قال علي بن الجهم الشاعر أن دَعْبِلًا كان يكذب على أبي تمام ويضع عليه
 الأخبار . وقد ذكر الصولي^١ ذلك فقال : « وقد رأيت ، أعزك الله ، بعض
 هؤلاء الجهلة يصحّف على أبي تمام ثم يعيب ما لم يقله قط » . ويبدو أن لَذُفَافَةَ
 المزني هذا مَرثِيّة من بحر مَرثِيّة أبي تمام في محمد بن حميد وعلى رَوِيَّتها ، ولكن
 لا صلة لمَرثِيّة أبي تمام بها . ثم ان الأبيات التي زعم دَعْبِلُ أن أبا تمام أخذها من

(١) أخبار أبي تمام ص ٦١ .

مرثية ابي مكنف ثم حورَ فيها حتى توافق غرضه - وهذا مدار التهمة - غير موجودة في شعر ابي مكنف أصلاً^١ .

والواقع أن نفرّاً من النافرين والشعراء كانوا يأخذون من معاني أبي تمام إعجاباً بها . حتى أن إبراهيم الصولي^٢ الذي ما اتكل يوماً على غير ما يجيش في صدره لم يملك إلا أن يقبّيسَ من أبي تمام معانيّ وردت في أبياته التالية^٣ :

إذا مارقٌ بالغدر حاول غِدره ، فذاك حَرِيّ أن تنيم حلاله^٤ .
فان باشر الأصحار فالبيض والقنا قِراه ، وأحواض المنايا مناهله^٥ .
وان يَبْسُ حيطاناً عليه فانما أولئك عُتلاته لامعاقله^٦ .
وإلا فأعلمه بأنك ساخط ودعه ، فان الخوف لا شك قاتله .
فقال مقتبساً : « وصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم ، وما كان يعقلهم

-
- (١) أخبار أبي تمام ٢٠٠ - ٢٠١ ؛ هبة الايام ١٤٨ - ١٤٩ ؛ أعيان الشيعة ١٩ : ٤١٩ - ٤٢٣
(٢) ابن خلكان ٢٦١ : ١٥٠ - ١٦ ؛ والصول هذا هو ابراهيم بن العباس
ابن محمد بن صول ، توفي ٥٢٤٣ نصف شعبان (ابن خلكان ٢٨ : ١)
(٣) اخبار ابي تمام ١٠٢ - ١٠٣ . الاغانى ١٥ : ٩٧ ، ٩٨ ، الديوان ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٤) اذا مارق (خارج من الدين ، مرتد ، لأنه ثار على الخليفة) بالغدر حاول غدره (نكث بالعهد وخلع البيعة للخليفة من عنقه بالثورة) ، فذاك حرى ان (خلّيق به أن ، يجب ان) تنيم حلاله (ان تفقده نساؤه ، أن يقتل فتصبح حلاله أيامى) .
(٥) باشر : ولي الامر بنفسه . الاصحار : الخروج من المكان المستوف الى المكان المكشوف او من المدينة الى الفضاء المحيط بها . البيض والقنا : السيوف والرماح . قراه : ضفافه ، طعانه . المناهل جمع منهل : مكان الماء الذي يستقي منه الناس ويشربون . - اذا جسر ان يخرج بنفسه (ليلقى المسلمين في معركة مكشوفة ، فانه سيلقي حتفه) سيموت : سيأكل من السيوف والرماح ويشرب أحواض الموت .
(٦) وان يَبْسُ حيطاناً عليهم (اسواراً للامتناع وراها من هجوم الجيوش الاسلامية ، فانما أولئك (تلك الحيطان) عقالاته (جذران ، سجن حوله) . والمعالقات (بضم العين وتشديد الفاف) جمع عقال : دام في رجل الدابة اذا مشت ظلمت ساعة ثم انبسطت (القاموس ٤ : ١٨ ؛ الديوان بشرح التبريزي ٣ : ٢٨) . والأليق ان يكون المعنى : ان تلك الحيطان تمسكه وتمنع حركته ، المعامل جمع معقل : الحصن .

يعتقلهم فأنزلوه من مَعْقِلٍ إلى عِقَالٍ » . أما الشعراء الذين أخذوا من معاني أبي تمام فكثيرون منهم البحري والمتنبي وسواهما^١ وقد أعجِبَ أيضاً بهذه المعاني الشعراء حتى الأعداء منهم كدعبل^٢ . وأعجِبُ من هذا كله وأغرب أن أبا تمام ظل قوي الفكر طول حياته ؛ فانه « اختُرِمَ (مات) وما استمتع بخاطره ، ولا نُزِحَ ركيّ (بُر) فكره حتى انقطع رشأ عمره^٣ (جبل عمره) » .

العروبة والاسلام في شعر أبي تمام

ولد أبو تمام رومياً نصرانياً ، ثم دخل في الإسلام قبل أن يبلغ من العمر سنّاً تستحكم فيها العقيدة في النفوس فهماً أو تقليداً . والصابثون من عقيدة إلى عقيدة ، والنازعون عن مبدأ إلى مبدأ ، والمنقلبون من سياسة إلى سياسة ، تعظم عصبيتهم للحال الجديدة التي صاروا إليها وتزيدُ نفرتهم من الحال التي كانوا عليها . ثم هم يحرصون على أن يقنعوا جماعتهم الجديدة بأنهم قد اختاروا المذهب الجديد إيماناً واقتناعاً وروية . من أجل ذلك نرى لهم تلك الحمية الجاهلية ، وإن كانت حمية صادقة في كثير من الأحيان . انهم يريدون أن يُشهدوا قومهم بالجدد على أنهم قد قطعوا ما بينهم وبين ماضيهم مرة واحدة . وأبو تمام مثل بارع على هذه القاعدة .

ولقد سبق لنفر من الشعراء ، منذ صدر الدعوة الإسلامية ، أن نثروا في شعرهم أقوالاً تدل على علاقتهم بالإسلام وشادوا بالعروبة أو العروبية من حيث اتصالها بالإسلام نفسه^٤ . ولكنني لا أعرف شاعراً قبل أبي تمام جعل ذلك وُكده في ديوانه ثم أخرجه تلك المخارج المتعددة المنازع والصور . وأنا لن أشغل نفسي

(١) راجع الوساطة ٢٠١ وما بعدها .

(٢) الاغاني ١٥ : ١٠٣ س .

(٣) الاغاني ١٥ : ٩٨ .

(٤) Das Bild des Fruehislam ... 128-134. (٤)

هنا باستقصاء أبياته التي أشار فيها إلى آيات القرآن الكريم وإلى الأحاديث الشريفة لإشارة أو اقتباساً أو تضميناً^١ ، فإن هذه كثيرة في ديوانه كثرةً تعيا على الحصر . وكذلك لن أتبع في شعره تفاصيل العبادات ولا فنون علمه بالأديان ، فما ذلك كله من قصدي هنا . ولكنني سأبسط رأي أبي تمام من الناحية السياسية القومية .

من الصعب أن نفرق في ديوان أبي تمام ، وفي دواوين غيره من الشعراء إلى عهد قريب ، بين العرب والمسلمين ، أو بين مدرك العروبة ومدرك الإسلام . مدح أبو تمام حفص بن عمر الأزدي فقال (ديوان خ ١٣١) :

فَأَنْتَ — وَقَدْ جِئْتَ خُرَاسَانُ دَاءَهَا وَقَدْ نَغَلْتَ أَطْرَافَهَا نَغْلَ الْجِلْدِ^٢ ؛
وَأَوْبَاشُهَا خُزْرٌ إِلَى الْعَرَبِ الْأُولَى لَكَيْمَا يَكُونُ الْحَرُّ مِنْ خَوَلِ الْعَبْدِ^٣ ؛
وَرَامُوا دَمَ الْإِسْلَامِ لَا مِنْ جَهَالَةٍ وَلَا خَطَأً ، بَلْ حَاوَلُوهُ عَلَى عَمْدٍ —
ضَمَمْتَ إِلَى قَحْطَانَ عَدَنَانَ كَلَّتْهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا إِذْ ذَاكَ مِنْ ذَاكَ مِنْ بُدٍّ .
وَلَمَّا أَمَاتَ أَنْجَمُ الْعَرَبِ الدُّجَى سَرَتْ وَهِيَ أَتْبَاعُ لَكُوكِبِكَ السَّعْدِ^٤ !

وليس من المستغرب أن نرى أبا تمام يجعل العجم في الإسلام مثل العرب ، فإن العصور الوسطى لم تعرف جامعاً سوى الدين . وهكذا قال أبو تمام بمدح

(١) الاستشهاد بآية من القرآن الكريم استشهاداً تاماً أو استشهاداً جزئياً .

(٢) أنت مبتدأ خبره ضممت في البيت الرابع الذي يلي (راجع شرح التبريزي ٢ : ١٢١) . في ديوان خ ١٣١ : فأنت (رجعت) . مجت خراسان داءها : لفظته ، ظهر داؤها (عمت الفتنة فيها) . نغلت أطرافها : فسدت (بالعصية أي بالقتال بين قيس واليمن) . نغل الجلد : فسد واثن (بسوء الدين أو بإيهال الدباغ) .

(٣) الأوباش (جمع وبش بفتح ففتح) : الإخلاط من الناس والسفلة . خزر جمع أخزر : من ينظر من طرف العين (من المكر أو العداوة) . الخول (بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث) : العبيد والخدم .

(٤) أمات أنجم العرب الدجى : تغلب العرب على خصومهم في الفتنة .

إسحق بن إبراهيم المصعبي ويذكر شجاعته وهمته (ديوان ع ٣٠٣) :
أطعت ربك فيهم ، والخليفة قد أرضيته ، وشفيت العرب والعجما .
وكل صلة عند أبي تمام تنقطع سوى صلة المسلمين برسول الله ١ :

نرمي بأشباحنا إلى ملكٍ نأخذ من ماله ومن أدبه ٢ :
نجمُ بني صالحٍ ، وهم أنجم الـ عالم من عجمه ومن عربيه ؛
رھط النبي الذي تُقَطَّعُ أسـ باب البرايا سوى سبيه .
مہذبٌ قُدتِ النبوة والإسـ لام قدّ الشراك من نسبه ٣ .

من أجل ذلك كله كانت القدوة العظمى برسول الله وحده ٣ وكان فضل المسلم : خليفة أو أميراً أو قائداً أو فرداً من عامة الناس ، أن يكون في نصرة الإسلام ٣ ، والمحامي عن الإسلام ٤ ، وفارس الإسلام ٥ ، وأن يوطد أعلام الهدى ويقر عمود الدين ٦ . فإذا استغاث الإسلام وجب على المسلمين أن ينجدوه ٧ بما عرف عنهم من الشجاعة ٨ ، لأن الإسلام لا يعز إلا بمقارعة أعدائه إذا هم به أعداؤه ٩ . والأسلام سيشكر ما يوليه إياه أهله من نجدة وظفر ١٠ . ولا يفرق أبو تمام في ذلك الشكر لأهل تلك النجدة بين الإسلام والدولة والعرب ، قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ويصف شيئاً من بطولته في هزم بابك الخرمي ثم يحار في الإعراب عن الشكر له :

تالله أدري ، أألإسلام يشكرها ، من وقعة ، أم بنو العباس أم أدد ١١ ؟

(١) في الحديث المرفوع : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » (شرح التبريزي ١ : ٢٧٦) .

(٢) قدت النبوة والاسلام قد الشراك من نسبه : النبوة والاسلام ونسبه من معدن (أصل) واحد . الشراك زيق من الجلد يؤخذ من قطعة كبيرة من الجلد فيها لذلك مثيلان في النوع .

(٣-١٠) ديوان خ ١٠٩، ٢٠ و ٣٠٢، ١٣٨، ٢٦١، ٢١٨، ٢٦١، ٢٦٦، ٣٢٨، ٣٢٨ على التوالي .

(١١) ديوان خ ٩٩ . - والله (لا) أدري ، من احق بشكرك على هذه المعركة : الاسلام أم بنو العباس (اي الدولة) أم ادد (قبيلتك) لأن ظفرك فيها كان فائدة للدين وللدولة ولقومك .

يوم به أخذ الإسلام زينته بأسرها ، واكتسى فخراً به الأبد^١ .
يوم يجيء ، إذا قام الحساب ، ولم يذُمنه بدرٌ ولم يُفَضَّحْ به أحدٌ^٢ .
لم تبق مشركة إلا وقد علمت ، إن لم تتب ، أنه للسيف ما تلد^٣ .

وكان الإسلام لا يزال مهدداً من المشرق ومن المغرب : كان المشركون من الأعاجم يهددون الإسلام والمسلمين من الشرق ، وكان الروم اليونانيون يهددون الإسلام والمسلمين من الغرب^٤ . ولم يستطع الإسلام أن يعيش ، في ذلك الحين ، في سلام مع أهل الشرك فاضطر اضطراراً إلى حربهم . قال أبو تمام في مديح أبي سعيد الثغري لمناسبة قتاله لبابك أيضاً^٥ :

لما أبوا حُجج القرآن واضحة كانت سيفوك في هاماتهم حججا .
ولقد انتصر الإسلام على المشركين^٦ وعلى الروم (خ ١٥١) . ولم يستطع أبو تمام أن يرى الحرب بين العرب والأعاجم في المشرق إلا في لباسها الديني^٧ :

يا ربّ فتنّة أمة قد بزّها جبارها في طاعة الجبار .
موتورة طلب الإله بثأرها ؛ وكفى بربّ الثار مدرك ثار^٨ .

وبما أن نفراً من الذين كانوا يحاربون العرب في المشرق كانوا مسلمين ، فإن أبا تمام سماهم منافقين^٩ . أما أبرز مواقف أبي تمام في ذلك فموقفه في قصيدته « فتح الفتوح » ، وهي موجودة في المختارات .

-
- (١) يوم : معركة . الابد : ما بقى من الدهر (سيبتي الفخر بهذا الظفر في تلك المعركة الى الابد) .
(٢) اذا قام الحساب : يوم القيامة . بدر : غزوة انتصر فيها الرسول على مشركي العرب (٥٢) . احد : جبل قرب المدينة جرت عنده معركة (٥٣) انهزم فيها المسلمون .
— ان ظفرك في هذه المعركة قد زاد في وجهة غزوة بدر ، ومحت هزيمة غزوة أحد .
(٣) ان لم تتب : ان لم تدخل في الاسلام . للسيف ما تلد : سيكون القتل في المعارك نصيب نسلها .
(٤) ديوان خ ٢٨٠ ، ١٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ .
(٥) ديوان خ ٦٩ .
(٦ - ٧) ديوان خ ٢٦ - ٢٧ ، ١٤٨ ، ٣٠٢ ، ٢٥٩ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ثم ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٩٧ ، وخصوصاً ٧ وما بعدها .
(٨) ديوان خ ١٥٢ وما بعدها .

أول ما يطالعك في ديوان أبي تمام غرابة الألفاظ ، فأبو تمام مُعْزَمٌ أحياناً بالألفاظ الغربية التي يقلّ ورودها عند غيره . ثم انه كان يحب تلك الألفاظ التي كانت تدور في الأدب القديم وفي البيئة البدوية ، إذ كان من الذين يحبون الاقتداء بالقدماء^١ . وكذلك نجد عدداً من الكلمات يتردّد في شعر أبي تمام : في البيت الواحد ، أو في أبيات من قصيدة واحدة ، أو في أبيات من قصائد مختلفة . لقد فعل أبو تمام ذلك كله ، بين الحين والحين ، « وأظهر التعجرف^٢ وتشبه بالبدو ونسي أنه حضري متأدّب وقروي متكلف^٣ » فجاء من الألفاظ الغربية الحوشية بمثل قوله :

قد قلت ، لما اطلختم الأمر وانبعث عشواء تالية غبساً دهاريساً :
- فعنيتها يعضيدها ، وشيجها سعدانها ، وزميلها تنومها^٤ .

(١) الوساطة ١٨ ، راجع ١٩-٢١ .

(٢) تعجرف الرجل : أظهر الجفوة في الكلام ، وتكبر .

(٣) الوساطة ٧٠ .

(٤) الديوان خ ١٧١ ، الوساطة ٧٠ . - اطلختم : أظلم . عشواء : ناقة) ضميعة البصر . تالية : تابعة ، تتبع . الغبس (جمع أغبس) : ذئاب في لونها كدرة (كلون الرماد) . الدهاريس جمع دهرس (بفتح الدال والراء) : الداهية ، الخبيث . - المعنى : غان الناقة بصرها فنبعت ذئاباً ضواري (في المصائب يشبه الأمر على الانسان فيلتي نفسه في الهلكة من غير أن يدري) .

(٥) الديوان خ ٣١٢ ، الوساطة ٧٠ . العنيق : المعانق . البعصيد : بقلة (قصيرة ، قريبة من الارض) . الوشيج : شجر تجعل من أغصانه الرياح . السعدان : نبت من أفضل مراعي الابل . الزميل : الرديف (اذا ركب شخصان على ناقة فالتأخر منها هو الرديف) . التنوم : شجر له ثمر يدخل في العلاج ، وهو يخرج الدود من البطن . - المعنى : يصف أبو تمام ناقة تقطع الصحراء في أحوال صعبة حتى نهكها التعب فأصبح عنيقها يعضيدها (رأسها من التعب أصبح بمس الارض كأنها تعانق النبات النابت على وجه الارض) ، ووشيجها سعدانها . (أنضل طعام كانت تحصل عليه كان تلك الاغصان القاسية التي تصلح لتكون رماحاً) ، وزميلها =

غير أن ذلك لم يكن عادة لأبي تمام ألزمها نفسه . فإن أبا تمام كان — كما يرى الجرجاني ^١ — إذا أراد أن يجري على سجيته جاءت ألفاظ شعره فصيحةً مألوفة ، فإذا قصد التكلف كثُرَتْ في شعره تلك الألفاظ الغريبة الحوشية النافرة . ومع هذا فإن أبا هلال العسكري قد تحامل على أبي تمام وجانب الحق لما قال ^٢ : « كان أبو تمام يتتبع وحشي الكلام ويدخله في شعره » . ولكن مما لا ريب فيه أن أبا تمام قد جانب طريق الشعراء المطبوعين الذين يتتباون ما يُحلي عليهم طبعهم فيأتي شعرهم فصيح الألفاظ عذب التركيب . فإذا دلهم الطبع على لفظة جزلة أو كلمة غريبة أنزلوها موضعها لتحدث في نفس القارئ أو السامع أثراً مقصوداً أو لتبرز معنى ملموحاً أو لتعزى الشاعر على الإيجاز . أضف إلى ذلك كله أن للشعراء — في رأي ابن رشيق — ألفاظاً تدور في شعرهم ، قال ابن رشيق ^٣ : « وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدّها ولا أن يستعمل غيرها » . ومع ذلك فقد جاء عند جميع الشعراء شيء من الألفاظ الغريبة الحوشية ^٤ .

ومن التكرار القبيح للكلمة الواحدة في شعر أبي تمام قوله ^٥ :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا .
أو قوله ^٦ :

= تنومها (وقد فسد بطنها فأصابها إسهال = كانت تأكل الوشيج الجاسي ، القاسي ، فيؤلم بطنها ؛ ثم تأكل التنوم فتمش بطنها) .

(١) الوساطة ٧١ .

(٢) كتاب الصناعتين (مستشهد به في أمراء الشعر ١٦٣) .

(٣) العمدة ٨٣ : ٢ .

(٤) سر الفصاحة ٩١ .

(٥) ديوان خ ١٨٧ ، الوساطة ٧٠ .

(٦) سر الفصاحة ١٨٦ . — الكلمات الثلاث في الشطر الاول : « اسلم ، سلمت ، سلمت »

مكرورة . السلام (بكسر السين : جمع سلمة بفتح السين وكسر اللام) . الحجارة .

سلمى : جبل في بلاد طي . السلم : شجر نضار (بضم النون) ، لا يستقط ورقه .

فاسلّم ، سَلِمْتَ من الآفات ، ما سَلِمْتَ
 سِلَامٌ سَلِمَى ومهما أورك السَلَم .
 ان ترديد هذه الألفاظ في بيت واحد مكروه جداً ، وإن كان عدد منها يؤدي
 معاني مختلفة .

وكذلك لأبي تمام ألفاظ يحب أن يبنى عليها جانباً من استعاراته ككلمة
 « أَخَذَعَ » (عرق في جانب العُنُق) في مثل قوله ١ :
 وَضُرِبَتْ الشَّيْءُ فِي أَخَذَعَيْهِ ضَرْبَةً غَادِرَتْهُ قَوْدًا رَكُوبًا .
 - يا دهر، قَوْمٌ مِنْ أَخَذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجَتْ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرَقَاكَ .
 وسوى ذلك . على أن ترداد لفظ بضع مرات في ديوان كبير ليس عيباً كبيراً ،
 وإن كنا نأخذ على أبي تمام أنه أجرى هذا اللفظ الواحد بضع مرات في
 استعارة واحدة .

أما التركيب عند أبي تمام فهو متين لا شك في ذلك . ولكن تكلف أبي تمام
 للمعاني البعيدة وغرامته بالصناعة وتطلبته الكلام الغريب أدخلت على شعره
 شيئاً من التعقيد أدى إلى شيء من الغموض . ولعل تكلفه للمعاني البعيدة هو
 الذي اضطره إلى القبول بالتركيب المعقد إذا لم يستطع الإتيان بتركيب أكثر
 وضوحاً للتعبير عن المعنى الذي تراءى له تعبيراً يحيط بجميع جوانب ذلك
 المعنى . من ذلك كله قوله ٢ :

خَانَ الصَّفَاءَ أَخْ خَانَ الزَّمَانَ أَخَا عَزْهَ فَلَمْ يَتَخَوْنَ جِسْمَهُ الْكَمَدُ ٣ .
 - يَا يَوْمَ شَرِّدَ يَوْمَ لَهْوِي لَهْوُهُ بَصْبَابِي وَأَذَلَّ عَزَّ تَجَلَّدِي ٤ .

(١) ديوان خ ٢٧٠٤٢٧ . راجع أيضاً : « ولين اخادع الدهر الابي » (خ ٣٤٤ ؛ سر الفصاحة ١١٧) .

(٢) راجع البساطة ١٨ ، راجع سر الفصاحة ١٥١ .

(٣) ديوان خ ٣٦٦ . - إذا نزلت مصيبة برجل فلم ينحل جسم صديقه بالحزن له ، فلتنزل تلك
 المصيبة بذلك الصديق .

(٤) ديوان خ ١١١ . - أيها اليوم الذي استخف بجسي وتلهى (بالتهكم علي) فأفسد علي تتمي
 باللهو مع من أحب ثم فضح تصبري وأظهرني بمظهر الضعيف المسلوب الصبر (راجع أيضاً
 شرح التبريزي ٢ : ٤٥ مع الحاشية ٣) .

٣ الصناعة في شعر أبي تمام

جرى لسان العربي ، منذ عهد بداوته ، بألفاظ متشابهة لفظاً متقاربة في المعنى أو متقاربة في المعنى دون اللفظ ينتظر السامع أن تأتي معاً ؛ وبألفاظ متضادة في المعنى . وقد كانت هذه الألفاظ تجري على لسان العربي بين الفينة والفينة لا يَقْصِدُ إلى تأليفها أو رصفها . ثم جاء القرآن الكريم فكان فيه منها شيء غير يسير ، ولكنه غير مقصود .

ثم أخذ الناس يفتنون لعذوبة هذه الألفاظ وطلاوتها إذا انتظمت في التركيب على نسق مخصوص . ثم قصد إليها الأدباء والشعراء منذ أواخر العصر الأموي واتسع القول فيها في صدر العصر العباسي . قال الخفاجي ^١ : « وهذا إنما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير مُتَكَلِّفٍ ولا مقصود في نفسه . وقد استعمله العرب المتقدمون في أشعارهم ، ثم جاء المحدثون فلتهج به ^٢ منهم مُسْلِمُ بن الوليد الأنصاري وأكثر منه ومن استعمال المُطابِق والمُخَالَف حتى قيل عنه إنه أول من أفسد الشعر (به) . وجاء أبو تمام حبيب بن أوس بعده فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه » .

وفي الأغاني ^٣ عن أبي تمام « وله مذهب في المطابق هو كالسابق فيه جميع الشعراء . وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منه ، فإن له فضل الإكثار فيه ، والسلوك في جميع طرقة » . وأنكر الآمدي على أبي تمام هذا الفضل البتة لأن الناس سبقوه إليه ؛ ثم عد « استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه » ^٤ . أما ابن رشيق فيظهر لنا بجلاء أنه أميل إلى الأصفهاني في تأكيد فضل أبي تمام ، فقد قال عن أبي تمام : « انه كان يُجيد باب التصنيع » ^٥ . وأما الجرجاني فذكر أن أبا تمام كان يجمع أحياناً المعنى البديع إلى الصنعة

(١) سر الفصاحة ١٨٧٣-١٨٤ .

(٢) لهج به : أغرى به ، أغرم به ، ثابر عليه .

(٣) ٩٦: ١٥ .

(٤) الموازنة ٨ .

(٥) العدة ٢ : ٣٢ .

اللطيفة ١ . وجعله مرة ثانية هو وأبا نواس « سيدي المطبوعين وإمامي أهل الصنعة » ٢ .

الجناس والطباق

كان أبو تمام يتكلف التجنيس والمطابقة (الجناس والطباق) ويسوق فيهما المعاني البعيدة فتعلق على أفهام العامة وغير العامة أو تكاد ، ثم تنفر أحياناً في الذوق . وكان العرب قد استحسنوا الجناس في الجملة بعد الجملة ، وفي البيت بعد البيت ، كما استحسنوا أيضاً أن يكون التجنيس بين كلمتين فقط . إلا أن أبا تمام الذي تكلف كل شيء في شعره : تكلف أن يأتي بالتجنيس في كل بيت من أبيات قصائده وأن يجانس بين الكلمتين والثلاث والأربع ، وربما ملأ البيت بالكلمات التي يجانس بينها تجنيساً تاماً أو ناقصاً . وحرص أبو تمام على أن يأتي في شعره بجميع فنون التجنيس ، ومثل ذلك كله فعل في الطباق أيضاً . وبما أنه ينذر أن يأتي الجناس مستقلاً عن الطباق فاني أخبرت أن أعالجهما هنا معاً .

لأبي تمام براعة في الجناس والطباق وقف أمامها أنصاره وخصومه مبهورين . بعد أن حمل الآمدي على أبي تمام ، في شأن الجناس ، ما شاء أن يحمل عليه ، قال مُقَرِّراً له بالتقدم والبراعة ٣ :

لو « اقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلو الألفاظ وصحيح المعنى كقوله :

(١) الرواسطة ٣١ .

(٢) الرواسطة ٧٩ . قال الجرجاني : « وإنما خصصت أبا نواس وإبا تمام لأجمع لك بين سيدي المطبوعين وإمامي أهل الصنعة » . ومن الاصول عندي أن يقال : « بين سيد المطبوعين وبين امام أهل الصنعة » (راجع الرواسطة ٤٨) .

(٣) الموازنة ١١٧ ، واتممت البيتين الاولين من الديوان (غ ٣١٢ ، ٣٥٦) . وقد ذكر الآمدي صدرها فقط .

نُثِرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ ؛ والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ شَجْوِ الْمَغْرَمِ .
- جَنُوفَ الرَّدَى ! أَسْرَعْتَ فِي الْغَصْنِ الرُّطْبِ ؛

وخطبَ الرَّدَى والموت ! أبرحت من خطب^٢ ؛
- قد يُنْعَمُ اللهُ بِالْبُلُوبِ ، وإنْ عَظُمَتْ ؛ وَيَتَلَّى اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ^٣ ؛
لَسَقَطَ أَكْثَرُ مَا عَيْبَ عَلَيْهِ « . ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَمْثَالَهَا هِيَ الَّتِي سَمَّاها كِتَابُ
أَمْراءِ انْتَعَرِ^٤ « التَّائِقُ الْبُدَيْعِي » . وَإِلَيْكَ الْآنَ بَضْعَةُ آيَاتٍ فِيهَا رَوْنَقٌ وَمَاءٌ ،
وَهِيَ فِي ابْنِ الزِّيَاتِ^٥ :

تُظَلُّ الطُّلُوبُ الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ ، وَتَمْتَلُكُ بِالصَّبْرِ الدِّيَارَ الْمَوَاتِلَ .
دَوَارِسُ^٦ لَمْ يَجْفُ الرُّبُوعُ رُبُوعَهَا ، وَلَا مَرٌّ فِي أَغْفَالِهَا وَهُوَ غَافِلٌ .
فَقَدْ سَحَبَتْ فِيهَا السَّحَابُ ذَيْلَهَا ، وَقَدْ أَخْمَلَتْ بِالزَّوْرِ مِنْهَا الْحَمَائِلَ .
مَهَا الْوَحْشُ ، إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسَ ؛ قَنَا الْخَطَّ ، إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ .
كَهْوَى كَانَ سَخْلَسًا ؛ إِنْ مِنْ أَحْسَنِ الْهَوَى

هَوَى جُلَّتْ فِي أَفْيَائِهِ وَهُوَ خَامِلٌ !

وَاسْتَحْسَنَ الْجُرْجَانِي (الْوَسَاطَةُ ٤٢) « التَّجْنِيسَ الْمُسْتَوْفَى » فِي قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

(١) دِيوَانُ ٣١٢ . - الْفَرِيدُ : اللَّوْلُؤُ . الشَّجْوُ : الْحُزْنُ . - سَالَ مِنْ عَيْنَيْهَا دَمْعٌ يَشْبَهُ اللَّوْلُؤَ ،
وَلَكِنْ لَا يَجْمَعُ فِي سَالِكٍ أَوْ خَيْطٍ حَتَّى يَصْبِحَ عَقْدًا (يَقْصِدُ : بِكَتْ) . وَالدَّمْعُ يَحْمِلُ (يَدُلُّ عَلَى
أَوْ يَخْفِضُ) شَيْئًا مِنْ حُزْنِ الْمَحَبِّ .

(٢) دِيوَانُ ٣٥٦ . - يَا أَيُّهَا الْبَيْسُ ، لَقَدْ أَدْرَكَتِ النَّصْنَ قَبْلَ الْإِوَانِ ؛ وَيَا مَصِيبَةَ الْهَلَاكِ وَالْمَوْتِ ،
مَا أَعْظَمَكَ مِنْ مَصِيبَةٍ (يَقْصِدُ : أَيُّهَا الْمَوْتُ ، أَتَيْتِ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَاكِرًا فِي شَبَابِهَا فَكَانَتْ
الْمَصِيبَةُ بِهَا عَظِيمَةً) .

(٣) دِيوَانُ ٣١٦ ، الْمَوَازِينُ ١١٧ .

(٤) ص ١٨١ وَمَا بَعْدَهَا .

(٥) دِيوَانُ ٢٥٥ - ٢٥٦ . - وَقَدْ مَدَحَ الْجُرْجَانِي (الْوَسَاطَةُ ٤١ ، ٤٤) الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَ وَالرَّابِعَ ،
وَقَالَ عَنِ الْبَيْتِ الرَّابِعِ : « وَمِنْ أَغْرَبِ أَنْفَاطِهِ وَأَلْطَفِ مَا وَجَدَ مِنْهُ (مِنْ الطَّبَاقِ) قَوْلُ أَبِي
تَمَامٍ : مَهَا الْوَحْشُ فَطَابِقُ هَاتَا وَتَلَكَ ، وَأَحْدَهَا لِلْحَاضِرِ وَالْآخِرِ لِلذَّئِبِ ، فَكَذَا تَقْيِيزُ
فِي الْمَعْنَى وَمِنْزَلَةُ الضَّدِّينَ » .

ما مات من كرم الزمان فانه يحيا لدي يحيى بن عبدالله !
 « فجانس بيحيا ويحيى » ؛ وحروف كل واحد منهما مستوفى في الآخر .
 وإنما عُدَّ في هذا الباب لاختلاف المعنيين ، لأن أحدهما فعل والآخر اسم .
 واستحسن الجرجاني لأبي تمام « الجناس الناقص » في قوله (الوساطة ٤٣) :
 يمدّون من أيدي عواصٍ عواصمٍ .
 تصول بأسيافٍ قواضٍ قواضبٍ ؛
 إذ أن « عواص » تنقص عن « عواصم » ، و « قواضٍ » تنقص عن « قواضب » .
 على أن لأبي تمام شيئاً غير قليل من الجناس السبيء تكلف الجمع فيه بين
 الكلمات وخالف وجه البلاغة ، ثم ساق تلك الأبيات التي ورد فيها الجناسُ
 سياقةً غامضةً معتدّة . فمن تجنيسه السبيء (ديوان خ ٣٠٢) :
 قرّب بقرآن عين الدين وانشرتْ بالأشترين عيونُ الشرك فاصطُلما^٢ .
 — ذهب بمذهبه السماحة فالتوتْ فيه الظنون : أمذهب أم مذهب^٣ .

- (١) ديوان ٣٤١ ؛ الوساطة ٤٢ . — ان يحيى بن عبد الله يحيى (يعيد ذكرى) الكرم الذي
 كان في الزمن القديم ثم مات (نسي) .
 (٢) قران بتشديد النون (لم يفسط الخياط القاف ، ص ٣٠٢ ؛ وضبطها التبريزي بالضم ،
 ٣ : ١٦٩ ؛ قران (بضم القاف وتشديد الراء) قرية بالهامة (القاموس ٤ : ٢٥٩ ؛
 راجع ياقوت ، طبعة مصر ٤ : ٤٦) ، وليست المقصودة هنا . وقران (في ياقوت
 أيضاً) : قصبة البدين (بتشديد الدال) في أذربيجان حيث استوطن بابلك .
 انشرتْ العين : انقلب جفنها الادنى . اصطلمت الاذن : قطعت من أصلها . وقعة
 صيلمة (بفتح الصاد وسكون الياء وفتح اللام) : مستأصلة ، مبيدة . — قوت عين الدين
 (بردت ، اطمأنت ، رضيت ؛ انتصر الدين (الاسلام) . انشرتْ عيون اشرك :
 انقلبت ؛ هزم الشرك . الاشتران : مالك بن الحارث النخعي وابنه ابراهيم من أصحاب
 علي بن أبي طالب (وليسا المقصودين) . واشتر قرية من بلاد الجبل عند همدان (تاج
 ٣ : ٢٩٠) في ناحية بين نهاوند وهمدان (ياقوت ، مصر ١ : ٢٥٤ ، راجع ٢٥٥) .
 (٣) خ ٣٩ ؛ شرح التبريزي ١ : ١٣٦-١٣٧ . — السماحة : الكرم . مذهب (بفتح الميم) :
 طريقة ، سبيل ؛ منصرف ، مخالفة . مذهب (بضم الميم) : ثوب محلى بالذهب (رياه ،
 تظاهر) . — ذهب بمذهبه السماحة (غلبت عليه ، اتبعت طريقته لأنه عظيم الكرم جداً
 فأصبح الكرم تبعاً له) . فالتوت فيه الظنون (اختلفت في عمله الآراء وحارت) : أهذا
 مذهب له حقاً (طريقة وخلقاً وسجية) أم مذهب (بضم الميم) : رياه وتظاهر بالكرم ؟

وكنّا رأينا أن أهل الصناعة لا يقرّون التجنيس بين أكثر من لفظتين ، ولكنّ أبا تمام تعدّى ذلك مرات كثيرة ، فقد قال مثلاً :

فاسلم ، سلمت من الآفات ، ما سلمت
سلام سلمى ومهما أورك السلم^١ .

شعره وأسلوبه

ليس أبو تمام من الشعراء المطبوعين الذين يجري الشعر على لسانهم عفّواً وسليقةً ، بلا تكلفٍ ولا مُحاولةٍ صَنَعَةٍ ، وإن كان صاحب الأغاني قد قال (١٥ : ٩٦) عن أبي تمام « إنه شاعر مطبوع لطيف الفِطْنَة » . وقد جاز الأنباري على أبي تمام لما قال فيه^٢ : « وكان يحب الشعر ، فلم يزل يُعانيه حتى قال الشعر وأجاده » . أما الآمدي فأبدى رأياً منصفاً لما قال^٣ : « وان كنت تميل إلى الصنعة والمعاني التي تُستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلّوي على غير ذلك ، فأبو تمام عندك أشعر (من البحري) » .

وكذلك اتفق أكثر النقاد - في نقل بعضهم عن بعض - على أن شعر أبي تمام مُتفاوتٌ . ثم قال بعضهم إن شعر أبي تمام « لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »^٤ .

ومع كل هذه العيوب فقد عُدَّ أبو تمام أشعر أهل زمانه ؛ وعده الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات أشعر الناس طراً ؛ وكذلك فضّله صديقه الشاعر علي بن الجهم على سائر الشعراء^٥ ؛ وفضّله البحري على نفسه^٦ .

(٢) نزعة الإلباء ٢١٤ .

(١) راجع ص ٧٩

(٣) الموازنة ٣ .

(٤) الموازنة ٢ .

(٥) راجع أخبار أبي تمام ٦٢ .

(٦) راجع الأغاني ١٥ : ٩٦ ، ٩٧ ، ١٨ : ١٦٨ ، أخبار البحري ٥٧ ، ٦٠ ، ١٤٧ - ١٤٨ .

وقد مر بنا شيء كثير من خصائصه التي تجتمع لتؤلف أسلوبه .

مذهب أبي تمام في الشعر

يقول بروكلمن : « إن أبا تمام يمثل بشعره شعراء المقاطعات تمثيلاً صحيحاً ، وهو المثال المحتذى في ذلك » . وعلى هذا جعل بروكلمن شعراء العصر العباسي قسمين : شعراء بغداد خاصة وشعراء المقاطعات كالشام وخراسان ^١ . وتأثر به جرجي زيدان ^٢ واتبعه في ذلك أحمد حسن الزيات ^٣ .

ومصدر هذا الحكم جملة وردت في الأغاني ^٤ عند الكلام على ديك الجن الحمصي من أنه « يذهب مذهب أبي تمام والشاميين » ؛ فكأنه جعل للشاميين خاصة مذهباً مخالفاً لمذهب أهل بغداد في الشعر ، ثم جعل أبا تمام المتَّبِعَ ، مع أن ديك الجن أقدم من أبي تمام وعنه أخذ أبو تمام بعض شعره ^٥ .

أما مذهب الشاميين فالتصنيع في الشعر بتكلف البديع ، ثم هو — فيما يبدو — تطلب التشابه والاستعارات البعيدة والمغالاة في التجنيس والطباق . وكان أول من تكلف البديع من المولدين مسلم بن الوليد ^٦ وأفسد به الشعر ^٧ . ثم كثُر التصنيع في شعر أبي تمام .

عمود الشعر والمذهب الشامي

لما قارن النقاد شعر أبي تمام وشعر البحري بأشعار القدماء من الجاهليين

Geschichte der arabischen Litteratur, Leipzig (C. F. Amelangs (١) Verlag), 1901, SS, 79, 86 ff., (2. Ausg, 1909, ibidem); GAL I 71, 82, 83 ; Suppl. I 108, 133, 134.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ، (القاهرة ١٩٣٠) ٢ : ٥٦ وما بعدها .

(٣) تاريخ الادب العربي (مصر ١٣٤٧ - ١٩٢٨) ، ص ١٩٣ و ٢١٧ وما بعدها .

(٤) ١٣٦ : ١٥ .

(٥) راجع فوق ، ص ٢٥ .

(٦) الممددة ١ : ١١٠ .

(٧) سر الفصاحة ١٨٤ .

والإسلاميين وجدوا بين شعر الطائيين وبين شعر المتقدمين فرقاً ظاهراً . قال الآمدي عن أبي تمام إن « شعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا (هو) على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة »^١ . أما البحرى فقال عنه الآمدي نفسه وعلى الصفحة الثانية من موازنته أيضاً : « البحرى أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ، ما فارق عمود الشعر قط . وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام » . على أن الطائيين كليهما شغلا أنفسهما بتصيد الصناعة في شعرهما ، من جناس وطباق وتوريات ، ومن استعارات وتشابه فيها من الإغراب فوق ما عرفه القدماء . ولكن البحرى كان أقل تكلفاً في إيراد أوجه البلاغة في شعره من أبي تمام .

وشغل الدكتور شوقي ضيف نفسه بدراسة التصنيع في كتابه « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »^٢ ، وتتبع في نطاق البحث الذي أخذ به نفسه « معاناة الشعر » منذ الجاهلية فكان يُلحَق على جانب « الصنعة » في دواوين الشعراء الذين جانبوا السجية والسليقة في نظمهم كثيراً أو قليلاً .

ووقف نجيب محمد البهيتي جانباً كبيراً من كتابه « أبو تمام الطائي »^٣ على « صنّاع الشعر » وعلى العوامل التي أثرت فيهم ثم تكلم على « أصحاب المعنى » و « أصحاب اللفظ » ، وخلص من ذلك إلى الكلام على عمود الشعر . مما كان المرزوقي قد وضّحه في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام .

وفي عام ١٩٥١ أصدر الأستاذ عبدالعزيز سيّد الأهل كتابه « عبقرية أبي تمام »^٤ ، وعُني فيه بتوضيح المذهب الشامي وبالوقوف عند الصور البلاغية في الأبيات المفردة .

(١) الموازنة ٢ .

(٢) الطبعة الأولى ١٩٤٣ ، الطبعة الثانية ١٩٤٥ ، الطبعة الثالثة ١٩٥٦ .

(٣) القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ .

(٤) دار العلم للملايين بيروت ١٩٥١ .

تاريخ المذهب الشامي

الأصل في الشعر أنه مطبوع ومصنوع : مطبوع يجري فيه الشاعر على السجية أو مصنوع يتكلف فيه الشاعر شيئاً كثيراً أو قليلاً من التهذيب والتنقيح ومن التفتن في إيراد المعاني والألفاظ ومن القصد إلى استجماع التشابه والاستعارات^١.

والأصل في الشعر العربي خاصة أنه جاهليّ، أي أن خصائصه المعنوية واللفظية خصائص عربية بدوية غير متصلة بحضارة أجنبية. ثم إن النقاد قسموا الشعراء الجاهليين أنفسهم قسمين : شعراء البدو وشعراء القرى (المدن). وقلما حفل النقاد بشعراء القرى، وقلما قدّموا أحداً منهم.

وبما أن الخصائص اللفظية أبرز للعين من الخصائص المعنوية فقد اهتمّ النقاد كثيراً بالألفاظ الشعراء وتراكيبهم وبما دخل فيها كلها من اللهجات ومن الكلمات المهجورة والأجنبية. وكذلك اهتمّ النقاد بشكل القصيدة. وبما أن المعلقة كانت أشهر الشعر القديم فقد جعل النقاد « المعلقة » ميدان الشعر كله وقدّموا الشعراء الذين يقربون بقصائدهم من شكل المعلقة ومن خصائصها المعنوية واللفظية معاً.

وجاء الإسلام وانتشر العرب بالفتوح في الأرض ودخل في الإسلام شعوب ما عرفت الجاهلية ولا كانت العربية لسانها ولا التاريخ الجاهلي جانباً من حضارتها؛ وكان في الموالي (المسلمين من غير العرب) والمولدين (المولودين من زواج عربي وغير عربي)، وفي الذين احتكوا بهم أيضاً، شعراء جعلوا يجريون في نظم الشعر على السجية من فطرتهم وبيئتهم، فجاء شعرهم مخالفاً للقصيدة الجاهلية أو للمعلقة على الأصح.

وخصائص المعلقة هي التي تلي :

إنها قصيدة طويلة تتألف من أغراض متعددة، غرض واحد منها مقصود

(١) راجع المدة ١ : ١٠٨ وما بعدها.

لذاته - وقد يكون فيها غرضان مقصودان - وعدد من « الأغراض الممهدة » تأتي قبل الغرض المقصود وبعده . وتبدأ القصيدة القديمة عادة ، أو المعلقة على الأصح ، بالوقوف على الأطلال ، ثم يتخلص الشاعر إلى وصف راحلته والطريق التي سلكها ، ثم يطرق غرضاً آخر من الغزل أو الفخر أو الخمر قبل أن ينتقل إلى الغرض الأساسي المقصود الذي نظمت القصيدة من أجله . ويكون الغرض المقصود في بعض القصائد مديحياً (كما عند النابغة مثلاً) ، أو غزلاً (كما نرى عند امرئ القيس) ، أو فخرأً وحماسة (كما عند عمرو بن كلثوم وعنترة) . والواقع أن كل غرض من أغراض الشعر يصلح أن يكون غرضاً مقصوداً لذاته ، إذا قصده الشاعر من نظم قصيدته ثم عني به وبسط فيه القول .

ولقد حرص الشاعر القديم على أن يجعل كل بيت من أبيات قصائده تامّ المعنى في نفسه ، كما كان من المستحسن أن ينطوي البيت الواحد على معنيين أو أكثر . وكذلك حرص الشعراء القدماء على أن تكون معانيهم شريفة ، أي من المعاني الجميلة التي يُفتخر بها في العادة (كالكلام على الكرم والنسب والخمر والوفاء) لا من تلك المعاني المبتذلة التي تدور في أحاديث العامة أو في الحياة اليومية . أما الالفاظ فكان المختار فيها أن تكون جزلة (فخمة دالة على معان مقصودة بها وحدها) ، مع الفصاحة ومثانة التركيب . وكانوا يحبون في الوصف أن يكون مطابقاً للموصوف ، مع التمييز بين الموصوفات حتى لا يقصر وصف عن موصوفه ولا ينطبق على غير ما قصد به . وأما إذا وقع التشبيه فيجب أن يكون واضحاً يبين الصلة بين المشبه والمشبه به دالاً بنفسه على وجه الشبه . وأما الاستعارة فيجب أن تكون بارعة قريبة يدركها العقل بأدنى تأمل مع الطرافة في الإشارة إلى المقصود . وكذلك كان الشاعر القديم يتخير الوزن المناسب ويتوخى النظم السهل في التركيب العذب الذي يجري لينا على اللسان سهلاً في الأذن لطيفاً في القلب ثم يترك السبيل للقافية الشرود أن تنزل في بيته حتى ليخيلُ إلى القارئ أو السامع أن هذا البيت لم يكن ليتمّ إلا بتلك القافية وحدها .

ذلك كان « عمود الشعر » الذي أشار إليه النقاد ، وتلك كانت « طريقة » العرب (أي القدماء) . وبهذا « العمود » كان النقاد ، في صدر العصر العباسي وأواسطه ، يقيسون أشعار الشعراء ويقدمون بعض الشعراء على بعض .

وقد كان الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك يحكمون شعرهم ، أي يرددون فيه النظر بالتنقيح والإصلاح وبالحذف : حتى رَوَوْا أن زهير بن أبي سلمى كان يقضي في عمل القصيدة حولاً (عاماً) كاملاً : ينظمها في أربعة أشهر ، ويردّد نظره فيها أربعة أشهر ، ثم يعرضها على أهل الرأي من أصحابه أربعة أشهر . ولذلك سميت قصائده « الحوليات » ، وسمي هو « مجبراً » لحسن شعره ، ولكنه عدّ بذلك أيضاً من عبید الشعر الذين يتكلفون إصلاحه ويشغلون به حواسهم ونحو أطوارهم^(١) .

ويبدو أن فقراً آخرين من شعراء الجاهلية لم يكونوا يذهبون هذا المذهب ، بل كانوا ينظمون مقاطع قصاراً أو طوالاً ثم يقصرون تلك المقاطع على غرض واحد من الفخر أو الرثاء أو الهجاء أو الغزل أو الوصف أو الحكمة . وإذا كان

(١) قال المرزوقي في مقدمة شرح الحاشية (١ : ٨ - ١١) : « ... فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب ليتبين تليد الصنعة من الطريف ، وقديم نظام القريض من الحديث .. ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع من المطبوع » . والشعراء الذين ساروا على عمود الشعر « كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف . ومن اجتاع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سائر الامثال وشوارد الايات (ثم) المقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما (اقتضاء اللفظ والمعنى) للقافية حتى لا تكون منافية بينهما . فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل بيت منه معيار (مقياس) . فمعيار المعنى العقل (أي بجعل المعنى) مستأنساً بقرائنه (من المعاني المتصلة به) وافياً (بها) . ومعيار اللفظ الطبع ، فما سلم مما يهجنه فهو المختار المستقيم . ومعيار الاصابة في الوصف حسن التمييز (أي انطباع الوصف على المرء عرف حتى لا ينطبق الا عليه) . ومعيار المقاربة في التشبيه حسن التقدير حتى يتبين وجه التشبيه بلا كلفة . ومعيار التحام اجزاء النظم والطبع واللسان فلا يضطرب تركيبه ولا يتعثر فيه اللسان . فهذه الخمس هي عمود الشعر عند العرب ، فمن لمزمها بحققها ربي شعره عليها فهو عندهم المفلح المعظم والمحسن المقدم . »

نفر من الأدباء قد حفلوا بهؤلاء الشعراء واختاروا من أشعارهم مجاميع ، كديوان الحماسة لأبي تمام ، فإن النقاد لم يحفلوا بهم كثيراً ، فتاريخ الشعر العربي في الجاهلية هو على الحقيقة تاريخ المعلقات وتاريخ شعراء المعلقات .

ولما جاء العصر الأموي وأخذ الشعراء الموالي والمولدون يزدادون جعل « السائرون على عمود الشعر » يتجاهلونهم ويسخرون منهم . ولما بدأ عمر بن أبي ربيعة يفرض شعره على تاريخ الأدب قيل فيه : « ما زال هذا الفتى يهذي حتى قال الشعر »^١ . وهكذا فارق عمر بن أبي ربيعة عمود الشعر فتقصر شعره كله على فن واحد . ثم قصر كل مقطوعة من شعره على حادثة واحدة ، فكان بذلك زعيم ما سمي فيما بعد بالمذهب البغدادي — قبل أن تبنى بغداد بسبعين سنة — .

وسقطت دولة بني أمية في المشرق سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) وقامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس ، وكان الشعراء المولدون قد زادوا في العدد على الشعراء العرب ، فأخذت الخصائص القديمة تختفي من القصائد شيئاً فشيئاً : أخذت القصائد تقصر والأغراض فيها تقل ، وجعل نفر من الشعراء يفارقون الجدية في الشعر إلى المزح ، وانصرافاً إلى البطالة ؛ ثم أخذ الأسلوب يضعف أو يترك لاهتمام الشعراء « المحدثين » باقتناص المعاني الجديدة والتعبير عما كان يخلج في صدورهم من الرغبات المتنافرة فقلّ لذلك اهتمامهم بالتركيب . واحتاج هؤلاء المحدثون أو المولدون في التعبير عن الأغراض الجديدة التي زخرت بها بيئتهم إلى ألفاظ جديدة أو إلى صيغ جديدة على الأقل ، فتناولوا تلك الألفاظ من غير اللغة العربية الفصحى واشتقوا من الصيغ ما تمكنوا به من التعبير عن ظلال المعاني الجديدة التي كانت تزخر بها صدورهم^٢ . هذه الطريقة الأدبية التي قامت على تفضيل المعنى على اللفظ عرفت في تاريخ الأدب باسم « المذهب البغدادي » .

ولما استطال النفوذ الفارسي في المجتمع العربي والسياسة العربية وفي الأدب

(١) راجع عمر ابن أبي ربيعة للمؤلف (الطبعة الثانية) . ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) راجع الرواية ٢٣ ، ٢٤ ؛ المدة ١ : ١٥٠ .

العربي أيضاً ، خشيَ هرون الرشيد أن يزيل الفرس الدولة العربية فنكب وزراءه البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣ م) وأتى إلى الوزارة بالفضل بن الربيع لينهض في الدولة سياسة عربية . ولما كان الناس على دين ملوكهم فإن الناس مالوا بعد نكبة البرامكة عن كل ما هو فارسي في السياسة وفي مظاهر المجتمع ، وفي الأدب أيضاً .

وهكذا عاد الشعراء العباسيون إلى عمود الشعر القديم ثم بالغوا في ذلك . وقد عرف هذا « المذهب المستأنف في العصر العباسي » باسم « المذهب الشامي » . فالشعراء الشاميون إذن هم المحافظون على عمود الشعر القديم ، وهم المحافظون ذوو العصبية العربية البدوية والسالكون في الشعر مسلك الشعراء الجاهليين من أصحاب العلاقات خاصة . على أن الشعراء الشاميين قد زادوا على الجاهليين في تكلف المعاني البعيدة وملأوا أشعارهم بالبديع ، بالجناس وبالطباق . وأوغلوا في التشابه والاستعارات . أما البغداديون فهم المجددون المساهلون في أمر العصبية لأن معظمهم من الفرس . ثم إنهم ميالون إلى الحصر وما فيه من ترف كارهون للبدية . ثم إنهم مالوا في قصائدهم إلى المقاطع ووحدة المعنى فيها والتسادل في الألفاظ والتراكيب وتركوا التكلف وجروا على السجية . وقد كرهوا البديع إلا ما جاء في شعرهم عفواً .

والمذهب البغدادي والمذهب الشامي في الأصل تسميتان جغرافيتان ، إذ المفروض أن يكون الشعراء البغداديون من أهل بغداد والشعراء الشاميون من أهل الشام (سورية) . فبشارٌ وأبو نواس وابن الرومي هم من شعراء المذهب البغدادي المقدمين ومن أهل بغداد . وكذلك ديك الجن الحمصي وأبو تمام والبحري والمنتبي وأبو فراس والمعري كانوا من أتباع المذهب الشامي ومن أهل الشام . غير أن مسلم بن الوليد والشريف الرضي كانا ببغداديين على المذهب الشامي . ومثلهما كان المنتبي عراقي الأصل من الكوفة ولكنه شامي المذهب . ثم إن أبا تمام والبحري كانا من أهل الشام ومن أتباع المذهب الشامي مع أنهما قضيا الجانب الأوفر من حياتهما الأدبية في العراق .

موجز خصائص المذهب الشامي

في ما يلي موجز للآراء المبسوطة في الصفحات السابقة منسوقة نسقاً ظاهراً:

١ - شكل القصيدة : إطالة القصيدة وتعدد الأغراض فيها ، والقصيدة الشامية تبدأ عادة بالنسيب .

٢ - تثقيف الشعر : العناية بالأبيات بتنقيحها .

٣ - التأنيق والتصنيع : العناية باللفظ والتركيب والإكثار من البديع ، مع الحرص على ألا تخلو قصيدة ولا بيت من أبيات قصيدة من هذا التصنيع ما أمكن^١ .

٤ - الإيغال في التشبيه والاستعارات الى ما يشبه الرمز حتى ليكادُ يغمض المعنى وتختفي الصورة البلاغية .

٥ - جمع المعاني الكثيرة في الايات القليلة ، والوقوف على المعنى الواحد بالتقليب له على وجوهه وبإقامة الأدلة على صحته ، وبضرب الأمثلة .

٦ - لزوم الجدل أو التظاهر به على الأقل . فقلما يميل الشاعر الشامي الى اصطناع المرح واللهو وقلما يحسنهما في شعره .

٧ - إدخال فنون العلم في الشعر ، فالشاعر الشامي شاعر مثقف تظهر ثقافته في شعره وهو يطوي شعره على اشارات الى اغراض من اللغة والنحو والأدب والفقه والمنطق والفلسفة والفلك وما إليها .

٨ - يلتزم الشاعر الشامي في حياته وشعره مسلكاً معيناً يحاول ان يفرضه في صلاته بالناس ويصبر على المشاق ويتشدد في المصائب . وكان معظم الشعراء الشاميين يتشيعون لآل البيت .

٩ - الشاعر الشامي شاعر مقتدر ينظم الشعر في جميع الاغراض التي يريد بها . اما الطبع عند فقليل البروز .

(١) استشهد الجرجاني (الوساطة ٣١) بقطعة في الغزل لابي تمام « لم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة طابق (فيه) وجانس واستعار فأحسن » .

١٠ - يؤلف المديح الجزء الأوفر من ديوان الشاعر الشامي . ثم ان خصائص المديح تغلب عنده على سائر فنونه . وهو يجيد الفخر ، وربما اجاد الرثاء ووصف المعارك لإجادة كبيرة . ثم إنه لا يجيد الهجاء ، وقلما برع في الغزل . وكذلك تكثر الحكمة عند الشاعر الشامي كثرة ظاهرة . اما المجون فلا يكاد يظهر عنده .

١١ - الاكثار من الاعلام الجغرافية ، إما بالوقوف على الاطلال تقليداً لشعراء الجاهلية ، أو تملحاً بذكرها ، أو اعتماداً عليها لتبيان التنقل وتقييد الحوادث .

١٢ - الاكثار من ذكر الاشارات التاريخية : رجال التاريخ والحوادث والمعارك والانساب وما إليها .

ولا ريب أبداً في أن الشعراء الشاميين يتفاوتون في هذه الخصائص اقتصاداً وإسرافاً . وقد يشترك الشاعر الشامي والشاعر البغدادي في بعض هذه الخصائص .

نظم ابي تمام :

كان في ابي تمام ابطاء^١ (في نظم الشعر) ، وكان يكره نفسه على قول الشعر اكراهاً ؛ فلا غرو ان ظهر ذلك على شعره^٢ ؛ كان يفعل ذلك ليقترس المعنى البعيد او الاستعارة التي يتخيلها ، او التجنيس الذي يطلبه . وربما نصب القافية التي تروقه وجهه في سوق البيت اليها ، مع ان ذلك مخالف لمذهب الشعراء المطبوعين . ان البيت يجب ان يأتي بقافيته ؛ على ان الشعراء الذين يجمعون القوافي اولاً^٣ ثم يبنون عليها الايات ليسوا قليلين .

وابو تمام من الذين يُعَنَوْنَ بتهديب شعرهم ؛ فمن شواهد ديوانه على ذلك :
- اليك أرحنا عازب الشعر ، بعدما تمهل في روض المعاني العجائب^٣ .

(١) الاغاني ١٢ : ٦٧ .

(٢) الممددة ١ : ١٣٩ .

(٣) خ ٤٣ ؛ راجع المختارات .

— نشرٌ يسيرٌ به شعرٌ يَهْدِبُهُ فِكْرٌ يَجُولُ مَجَالَ الروحِ في الجسدِ ١
— أوَّلِي المديحِ بأنَّ يكونَ مَهْدَبًا ما كانَ منه في أغرِّ مَهْدَبِ ٢ .
وهو يريد بذلك ان يُبلغ شعره الغاية :

— سأجهد حتى أبلغ الشعرَ شأوه ، وإن كان لي طوعاً ولستُ بجاهد ٣ .
— سَيَّرْتُ فيكَ مدائحاً فتركتُها غُرُراً تروح بها الرواةُ وتغتدي ٤ .

نحن نعلم ان ابا تمام نصح للبحثري في اتباع خُطَّة في النظم تُخرج شعره مسبوکاً ، ولا ندرى اذا كان قد اتبعها هو فكانت له مذهباً ؛ او انها موعظة محض . وعلى كل فان فيها أن ينهض الشاعر في السَّحَر بعد ان يكون قد أخذ لنفسه قسطاً من الراحة ؛ ويكون خلياً من همٍّ أو غمٍّ . ثم ليَجعل النسيب رفيقَ اللفظ رشيقي المعنى . وليكن مدحه مُظهِراً مناقبَ الممدوح مشرفاً مقامه ؛ وليجتنب في كل ذلك المعاني المجهولة والالفاظ الرزية ٥ ؛ ثم ليتصد الى ما استحسنته الماضون وليترك ما اجتنبوه . بعدئذ خصه بهذه النصيحة الثمينة : « واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى نظمه ٦ » .

هذه الوصية تصدق على ما نرى في قصائد شاعرنا ولكنها تخالف الرواية التي يتمسك بها ادباء كثيرون ٧ من انه رُوي عن بعض الشعراء ان ابا تمام انشده قصيدة احسن في جميعها الا في بيت واحد . فقال له : « يا ابا تمام ، لو أُلقيت هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب » ؛ فقال له : « انا والله أعلم منه مثل ما تعلم ؛ ولكنَّ مثلَ شعر الرجل عنده مثلُ اولاده : فيهم الجميل والتبيح ،

(١) خ ٤٩٢ .

(٢) خ ١٤ .

(٣) خ ١٩ لست بجاهد : مجهد نفسي (متعباً) في قول الشعر .

(٤) ١٣٧ .

(٥) راجع المديح ، في ما يلي .

(٦) ملخصة ، راجع العمدة ١ : ١٣٩ .

(٧) الاغاني ١٥ : ٩٦ .

والرشيد والساقت ؛ وكلهم حلوا في نفسه . فهو وان احب الفاضل لم يبغض
الناقص ، وان هَوِيَ بقاء المتقدم لم يهو موت المتأخر . » .

التصريح والتوشيح

لم يكن بنا حاجة الى ذكر التصريح هنا لولا انه سيقودنا الى البحث في التوشيح .
لقد جرى الشعراء على تصريح قصائدهم : التزامهم القافية في العَرُوض والضَرْب
من المطالع كقولهم :

— قفا نبك من ذكرى حبيب ومنز (ل) .

بسمط المولى بين الدخول فحوم (ل) .

— الا هُبِّي بصحنك واصْبَحَ (ينا) ولا تُبقي خموراً الاندر (ينا) .
— دع عنك لومي ، فان اللوم لاغر (اء) ، وداوني بالتي كانت هي الد (اء)
وعلى هذا سار ابو تمام في جميع قصائده المهمة الا قصيدة واحدة جعل
مطلعها :

سلام الله عدة رمل (خبت) على ابن الهيثم الملك (اللباب) ^١ .

ومع ان « المصَّرَع ادخل في الشعر واَقْوَى من غيره » ^٢ فقد تساهلوا في
المقطعات احياناً لاعتقادهم ان القصائد فقط يجب ان تُصَّرَع . وعلى هذا ايضاً
سار ابو تمام . ولكنه كان يصَّرَع احياناً مطلع البيتين والثلاثة ^٣ .

التوشيح

استحدث المتأخرون من شعراء الاندلس فناً « سَمَّوه بالموشح ينظمونه
اسماتاً اسماطاً واغصاناً اغصانا ، يكثرون من اعاريضها المختلفة ... ويلتزمون

(١) ديوان ، الاسود ١ : ١٤٦ ، خ ٥٥ .

(٢) العدة ١ : ٩٩ ، راجع ايضاً اختلاف العلماء على ماهي القافية الى ص ١٠١ ثم ص ١١٤ .

(٣) راجع الديوان خ ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، الخ .

قوافي عند تلك الاغصان^١ ... »

وقد ورد لأبي تمام أبيات فيها تقسيم أو تسهيم يشبه ماورد في الشعر الذي يعد طلبعة للتوشيح ، قسم فيها أبو تمام الأشرطة أقساماً متساوية أو شبه متساوية والتزم القافية في آخر كل جزء من أقسام الأشرطة . وفي ما يلي أبيات لأبي تمام تجري هذا المجرى^٢ :

— يقول فيسمع . ويمضي فيسرع^٣ ، ويضرب في ذات الاله فيوجع .
— جبال طواليع ، جبال فوارع^٤ ، غيوث هواميع ، سيول دوافع .
— انا الحسام ، انا الموت الزوام^٥ ، انا الحرب الضرام ، انا الضرغامة العتد .
ايام سيفك مشهور : وبحرك مسجور ، وقرنك مقصور ، له الطول .
ألا سبيل ندى . الا سبيل بلى ؟ لو كان حياً لأضحى للندى سبل .
يعطي فيجزل^٦ ، او يدعي فينزل^٧ ، أو يؤثي لمحمل اعباء فيحتمل^٨ .
— ومن فاحم جعد ، ومن قمر سعد ، ومن كفل نهد ، ومن نائل ثمد .
وألصق شيء بهذا الموضوع وزن جديد ليس من البحر الستة عشرة في أبيات هي^٩

(١) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٣) ٥٨٣ .

(٢) للمؤلف دراسة حديثة في الموشح وتطوره أثبت موجزاً لها في كتابه « المنهاج في الادب العربي وتاريخه » (الجزء ١ ، ص ٢٦٣ - ٢٧٢) ، ولكن لا سبيل الى المحي به شيء منها هنا ، ولا الاشارة الى هذه الكلمة المعارضة .

(٣) الابيات التالية ترد في الديوان خ ، ص ١٩١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٣ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ مرتين ، ١٢٧ على التوالي .

(٤) الديوان ٤٤٣ . - وقد وردت هذه الأبيات في ديوان أبي نواس (مخطوطة برلين ٢٠١ أ) مع شيء من الاختلاف في الرواية . وكذلك ورد لأبي نواس نفسه ما يشبهها (مخطوطة برلين ٢٠٣ ، راجع ديوان أبي نواس ، مصر ١٨٩٨ ص ٣٤٦) :

سلاف دن كشمس دجن كدمع جفن كخمر عدن .
طبيخ شمس كلون ورس ربيب فارس حليف سجن .

وللشاعر معروف الرصافي (ت ١٩٤٥ م) قطعة هي (ديوان ، مصر الطبعة الرابعة ١٣٧٢ هـ

- ١٩٥٣ م ص ٤٢٨)

سمعت شمرأ للعندليب تلاه فوق النصفن للطبيب ،

فلاحظ أنها من البحر نفسه ولكنها ليست موشحة من حيث القوافي .

ثَقِيل رَدَف دَقِيقْ خَصْر ، شَقِيق شَمْس نَتِيج بَلَدْر .
 بَدِيع حَسَن رَشِيق قَلْد ، مَلِيعْ خَلْد نَقِي ثَغَر .
 قَضِيب بَانَ عَلِيْهِ بَلَدْر ، مِثَال حَسَن عَرُوسْ خَلْدَر .
 يَا خَصْرُ ، قَدْ كُنْتُ ذَا اَصْطَبَارْ فِي الْحَبِّ حَتَّى هَتَكَتْ سَتْرِي .
 نَمَتْ دَمُوعِي عَلَى عَزَائِي ، اِذَا غَابَ عَنِّي جَمِيل صَبْرِي .
 وَاحْسِنِي لَمْ اَجِدْ لَهُ غَيْرَ بَيْتٍ وَاحِدٍ فِيهِ كَلِمَةٌ عَامِيَةٌ ¹ :

الَا بَكَرْتَ مَعْذُورَةً حِينَ تَعْذَلُ تَعْرِفَنِي (مَلْعِيش) مَا لَسْتُ اَجْهَلُ .
 وَتَسْتَطِيعُ اِنْ تَرَى شَيْئاً مِنَ اللَّحْنِ الَّذِي اخَذَهُ عَلَيْهِ الْآمَدِي فِي الْمَوَازِنَةِ ² .
 وَلَعَلَّهُ ، اَعْجَاباً مِنْهُ بِطَائِنَتِهِ ، اسْتَعْمَلَ « ذُو » الطَّائِنَةِ بِمَعْنَى الَّذِي مَرَّتَيْنِ :
 اِذَا اَنْتَ وَجَّهْتَ الرِّكَابَ لِقَصْدِهِ تَبَيَّنَتْ طَعْمُ الْمَاءِ « ذُو » اَنْتَ شَارِبُهُ ³
 - اَنَا « ذُو » عَرَفْتُ ، فَانْ عَرَتِكَ جَهَالَةٌ فَأَنَا الْمُقِيمُ مَقَامَةَ الْعُذَالِ ⁴ .

(١) ديوان ٢٤٥ - مَلْعِيشُ أَصْلُهَا « مِنْ الْمَيْشِ » نَحَتَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْعَامَّةُ تَخْفِيفاً لِلْفِظِ مِثْلُ « أَيشْ »
 (أَي شَيْءٍ) وَ« لَاشِ » (لَاي شَيْءٍ) . وَقَدْ يَدْخُلُ الْاَدْبَاءُ عِدْداً مِنْ هَذِهِ الْاَلْفَاظِ فِي شِعْرِهِمْ
 وَنَثَرَهُمْ تَمْلِحاً ، كَمَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ (دِيوان ٣٠١) :
 كَيْفَ أَصْبَحْتُ ؟ لَا عَدَمْتُ صَبَاحاً صَالِحاً ، يَا مُحَمَّدُ بْنُ قُرَيْشٍ .
 أَنْسَ نَفْسِي ، كَيْفَ اسْتَجَزْتَ اطْرَاحِي ؟ فَيْسَ ذَا ، سَيِّدِي ، وَذَاكَ لَايْشُ ؟
 وَيَرَى بَعْضُهُمْ أَنَّهَا فَصِيحَةٌ وَلَكِنَّهَا لَفِيَّةٌ ، مِثْلُ بَلْعَبْرٍ وَبَلْحَارِثٍ وَبَلْهَجِيمٍ مَكَانَ بَنِي
 الْعَبْرِ وَبَنِي الْحَارِثِ وَبَنِي الْمَجِيمِ .

(٢) الْمَوَازِنَةُ ١٢ وَمَا بَعْدَهَا ، أَعْيَانُ الشِّعْمَةِ ١٩ : ٩٥ - ٩٧ .
 (٣) الدِّيوان ٤٥ - ذُو الطَّائِنَةِ مَعْنَاهَا « الَّذِي » ، وَهِيَ مِنْ بَقَايَا اللَّهْجَةِ الْحَمِيرِيَّةِ (الْعَرَبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ ،
 لُغَةُ الْيَمَنِ) ، رَاجِعِ الْمُخْتَصَرِّ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ تَأْلِيفِ اغْنَاطِيُوسِ غُوَيْدِي ،
 ص ٦ . وَ« ذُو » هَذِهِ تَلْزِمُهُمَا الْوَاوُ فِي الرِّفْعِ وَالنَّصَبِ وَالْخَفْضِ (شَرْحُ التَّبْرِيزِيِّ ١ : ٢٣٣) .
 (٤) الدِّيوان ٢٤٦ .

المتعصبون له والمتعصبون عليه

لم يعرف الأدب العربي شاعراً أثار جدالاً صحيحاً في حياته كأبي تمام . اذ اندفع الادباء الى ديوان الشاعر ينشرون حسناته او سيئاته ، ويجادلون فيها حقاً وباطلاً .

عرفنا رواة الأدب يفضلون امرأ القيس على سائر شعراء الجاهلية ، او يرفعون زهيراً فوق النابغة ، او يحكمون لأبي نواس على مسلم بن الوليد او لمسلم على ابي نواس في جعل عارضة واحكام عامة قد تستهويك فتصدقها او لا ترضيك فتعمر بها غير آبه ولا حافل ؛ وكذلك كان شأن الناس في الانتصار للحرير والفرزدق والاخلط . اما الصراع حول مقام ابي تمام فلا يمكنك ان تشهده مكتوف اليدين ولا تستطيع ان تقول إن الناس كانوا يتجادلون في لا شيء .

قد يسبق الى الذهن ان الناس انقسم رأيهم في المتنبي ، أو انه كان للمتنبي خصوم ، وأنه شغل الناس ؛ لكننا اذا درسنا الأحوال التي نشأت فيها خصومة الناس للمتنبي وجدناها تختلف عن تلك التي اثارت الجدل في شعر ابي تمام : وجدنا الذين يناهضون ابا تمام يناهضونه بشاعر معين هو البحتري ؛ ثم يجعلون الشعارين مدار البحث ، ومثار الجدل .

المتحاملون على أبي تمام

اذا احببت ان تهتدي الى السر في شدة الحملة على ابي تمام بين الشعراء من

معاصريه خاصة فخذ رواية ابي الفرج الاصفهاني^١ « ما كان احد من الشعراء يقدر ان يأخذ درهماً بالشعر في حياة ابي تمام . فلما مات اقتسم الناس ما كان يأخذه ... » ولم يكن هؤلاء الشعراء نفرألاً عدد لهم او لا نبوغ فيهم ؛ فقد قال ابن رشيقي^٢ : « وليس في المولدين اشهرُ اسماً من الحسن ابي نواس : ثم حبيب والبحري ، ويقال لهما اخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ... » واما البحري ، وهو اشهر المولدين بعد ابي تمام فقد اعترف بتقديم صاحبه فقال : « ان ابا تمام للرئيس والاستاذ . والله ، ما اكلت الخبز إلاّ به » - « وكان اصل نباهة البحري ان صار الى ابي تمام في حِمص فعرض عليه شعره فاستحسنه ابو تمام ، وكتب الى اهل معرة النعمان وشفع له اليهم ... »^٣ - ثم لم تُعرف للبحري نباهةٌ وشهرة حتى مات ابو تمام .. اما الآمدي فينكر ان يكون البحري اتصل بأبي تمام اتصالاً من يستفيد او يتوصل الى وجاهة و نباهة^٤ .

١ - ثم ان العلماء ذكّلوا أشعارَ الأوائل ولم يحفلوا بالمحدثين فجعلوا الاجابة عن أشعارهم فعمدوا الى الطعن عليهم ، وخصوصاً أبا تمام لأنه أقربهم عهداً وأصعبهم شعراً^٥ .

ومن أشهر الذين ناصبوا أبا تمام العداء في حياته دِ عِبل بن علي الخُزاعي (ت ٢٤٦ هـ) كان يثلبه ويكذب عليه ويضع عليه الاخبار وينسبه الى سرقة معاني الشعراء^٦ . وقد ادّعي دعبل ايضاً أن أبا تمام كان يسرق منه^٧ . وبلغ من تعصبه على أبي تمام انه أنشد يوماً شعراً ثم سئل رأيّه فيه فقال : « هو : والله ، أحسن من عافية بعد ياس » . فلما قيل له : « إنه لأبي تمام » . قال : « لعله سرقة ! »^٨

(١) الاغاني ١٥ : ٩٨ .

(٢) العمدة ١ : ٦٣-٦٤ .

(٣) الاغاني ١٨ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٤) الموازنة ٣-٤ .

(٥) راجع اخبار ابي تمام ١٤-١٥ .

(٦) أخبار أبي تمام ١٨١، ١٨٢-١٩٩، ٢٠٠-٢٤٤ ، راجع ٢٠٢ .

(٧) أخبار أبي تمام ٦٣-٦٤ غ ١٠١-١٠٢ . (٨) غ ١٥ : ١٠٢ .

ولكن لما توفي أبو تمام عاد دعبل فمدحه ^١ .

وكان من أعداء أبي تمام أيضاً إبراهيم بن المدبر (ت ٢٧٠ هـ) ، كان يتعصب على أبي تمام ويحطه عن رتبته ، ويستجيد شعره ولكن لا يوقيه حقه ^٢ . وكان ابن المدبر أديباً شاعراً ومن ذوي الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال في الدولة العباسية . وقد كان صديقاً للبحري معجباً به وبشعره ، وكان البحري يمتدحه ^٣ . وكذلك كان ابن الاعرابي ، أحد أئمة اللغة ، شديد العصبية على ابي تمام ، قال مرة عن شعر أبي تمام : « إن كان هذا شعراً ، فكلام العرب باطل » ^٤ ، بقصد لِمَا فيه من التكلف .

٥ أنصار أبي تمام وخصومه المتأخرون

بعدئذ مضى الأدباء يؤلفون في فضائل أبي تمام وفي مثالبه . فمن الكتب التي ألفت في فضائل أبي تمام ^٥ كتاب أخبار أبي تمام للصولي ، وأخبار أبي تمام والمختار من شعره للسميسطائي ، وكتاب للمرزباني ، وأخبار أبي تمام ومحاسن شعره للخالديين وكتاب سرقات البحري من أبي تمام لأبي ضياء النصيبي ^٦ . ومن الذين ألفوا في مثالب أبي تمام أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وأبو العباس أحمد بن عبيد الله القطريلي ^٧ ورجل اسمه عبد الكريم .

وغبر زمن لم يكن فيه بين يدي الادباء والدارسين سوى كتاب الموازنة للآمدي . ولقد فطن بعض المؤلفين لتحامل الآمدي على ابي تمام ومحاباته للبحري فقال

(١) أخبار أبي تمام ٢٠٢ .

(٢) أخبار أبي تمام ٩٧ ، ١٧٥ .

(٣) أخبار البحري ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٤، ١٥٧ .

(٤) أخبار أبي تمام ١٧٥-١٧٦ ، راجع ١٧٧ ، ثم ٢٤٤ وأخبار البحري ١٤٧ .

(٥) الفهرست (القاهرة) ١٩٠-١٩٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٤١ .

(٦) الفهرست ٢١٣ .

ابن النديم : « ان في الآمدي تحاملاً على ابي تمام » ، ونسبه الشريف المرتضى الى الغلو في انتقاد ابي تمام ^١ . ويخبرنا ياقوت ^٢ ذلك بتفصيل واف فيقول : ولأبي القاسم (الامدي) تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها ، منها كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري ... وهو كتاب حسن وان كان قد عيب عليه في مواضع منه ، ونسب الى الميل مع البحري فيما أورده والتعصب على ابي تمام فيما ذكره ... فانه جد واجتهد في طمس محاسن ابي تمام وتزيين مزدول البحري ... « وياقوت لا ينكر فضائل البحري بل يقول : « لو انصف (الآمدي) وقال في كل واحد بقدر فضائله لكان في محاسن البحري كفاية عن التعصب بالوضع من ابي تمام » . وفي العام ١٩٣٧ صدر كتاب أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ^٣ فأصبح بين يدي الدارسين حياة أبي تمام وشعره - لحسن حظ أبي تمام وحسن حظ الأدب - مصدر يمثل وجهة نظر المنصفين لأبي تمام في وجه موازنة الآمدي .

دفاع أبي الفرج

لابي الفرج الاصفهاني دفاع عن ابي تمام يتكافأ فيه الأدب الرفيع والخلق النبيل . قال ابو الفرج ^٤ :
« وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضل على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ،

(١) الشهاب في الشيب والشباب (قسطنطينية ١٣٠٢هـ) ص ٤ وما بعدها .

(٢) معجم الادباء ٥٩:٣ .

(٣) نشره وحققه وعلق عليه خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي

(القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦-١٩٣٧م) . حينما كنت في ألمانيا

عثرت على هذه المخطوطة في المكتبة العامة في برلين (رقم مخطوطات شرقية ١٩٣٢ - ٢٣)

فاستخرجت لها صورة وعكفت على دراستها . ففي يوم من الأيام رأيت في القسم الشرقي من

مكتبة برلين السيد نظير الاسلام يعمل على المخطوطة نفسها وأخبرني أنه يعمل على المخطوطة

بلعملها أطروحة له ثم قص علي قصة أدبيين مصريين عرفا بالمخطوطة وكادا يسبقانه في نشرها .

بعدئذ سأله أن يضم جهوده الى جهوده .

(٤) الاغانى ٩٦:١٥ ؛ ٦٧:١٢ (بولاق ١٢:٧٠) .

ويستعملون القِبحَ والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم أنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل وعلم ثاقب . وهذا مما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر ويجعلونه ، وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معائبهم . سبباً للترفع وطلباً للرئاسة . وليست اساءة من اساء في القليل واحسن في الكثير مسقطه احسانه . ولو كثرت اساءته ايضاً ثم احسن لم يُقل له عند الاحسان اسأت ، ولا عند الصواب اخطأت ! والتوسط في كل شيء اجمل ، والحق احق ان يتبع ...

« ... وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون ، — وان جدوا — آثاره ؛ وما رأي الناس بعده الى حيث انتهوا له في جده نظيراً ولا شكلاً ... وكان في ابن مهرويه تحامل على ابي تمام لا يضر ابا تمام هذا منه ، وما اقل ما يقدر مثل هذا في مثل ابي تمام . »

مهاجاته الشعراء

هجا أبا تمام شعراء كثيرون ، فرد أبو تمام على بعضهم ولم يلتفت الى بعض . من هؤلاء جميعاً^٢ دعبل بن علي ومخلد بن بكتار الموصلي وعبد الصمد بن المعتدل الشاعر البصري وشاعر اسمه الوليد . ومنهم خالد الكاتب وعبد الله الكاتب ومحمد بن يزيد ، ويوسف السراج الشاعر المصري وعتبة بن أبي عاصم ، ومحمد بن وهب الحميري الشاعر ومحمد بن الحسن الشاعر .

(١) راجع أخبار أبي تمام ٢٤٥ ، ورثا ابن مهرويه أبا تمام (ص ٢٧٩) .

(٢) راجع في ما يلي كله : الاغاني ٣٤:٢١ ؛ وفيات ١٥٠:١ ؛ العمدة ٧٠:١ ؛ ديوان

خ ٤٨٥-٤٨٧ ، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٤ الخ ؛ أخبار أبي تمام ٢٣٥، ٢٣٤-٢٤٣ ،

. ٤٢١-٤٢٢ .

آثاره وأثره

لا إخالني اعرف شاعراً مؤلفاً قبل العصر العباسي ؛ اما في العصر العباسي فقد كان من الشعراء المُقْلين كَتَّابٌ (في الدواوين) . من هؤلاء الشعراء : عبد الله بن المُقَفَّع (الكاتب المنشئ) ، محمد بن عبد الملك الزيات ، سليمان بن وهب ، عمرو بن مسعدة ، احمد بن المُدَبَّر ، احمد بن يحيى البلاذري المورخ ، والخالديان محمد وسعيد ؛ وغيرهم ممن هم اقل شهرة^١ ؛ ومن هؤلاء ايضاً بيشربن المُعْتَمِر^٢ لأنه « نقل من الكتب من معاني شتى الى الشعر » . اما بعد ابني تمام فهناك البحري ، وابن المعتز ، والسري الرفاء ، وابو العلاء المعري ؛ فهم مؤلفون بالمعنى الذي نفهمه اليوم .

وأشهر الشعراء المؤلفين . حاشا أبا العلاء المعري الشاعر المكثّر وعبدالله بن المقفّع الشاعر المقلّ ، أبو تمام الطائي . ذكر ابن النديم^٣ لأبي تمام أربعة مؤلفات هي : كتاب الحماسة ، كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، كتاب الاختيارات من شعر القبائل ثم كتاب الفحول . وقد عُنِيَ السيد محسن الامين^٤ بتعداد

(١) الفهرست ٢٣٦-٢٣٩، ٢٤٠ وما بعدها

(٢) الفهرست ٢٣٠-٢٣١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ؛ في أعيان الشيعة (١٩ : ٤٨٩) خمسة مؤلفات ، وذلك وهم (راجع تحت ، الكلام على الحماسة الصنرى) .

(٤) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦-٤٩٨ ؛ راجع أيضاً حركة التأليف عند العرب ١ : ٩٥-١٠٤ ، في ما يتعلق بكتاب الحماسة وحده .

هذه المؤلفات وبأقوال مؤرخي الأدب فيها وفي أمثالها عناية فائقة . وفي ما يلي
٠ صف موجز لهذه المؤلفات :

١ - ديوان الحماسة ، أو كتاب الحماسة ، أو الحماسة الكبرى^١ :
زار أبو تمام عبد الله بن طاهر والي خراسان ، وكان يقيم في نيسابور ، ومدحه
ثم عاد وشيكاً . وفي أثناء رجوعه اعترضه الثلج عند مدينة همدان - وكان الشتاء
في ذلك العام شديداً^٢ - فمال الى صديق له هنالك اسمه أبو الوفاء بن سلمة ريثما
يذوب الثلج فيستطيع أن يتابع سيره الى العراق .
وكان عند أبي الوفاء بن سلمة خزانة كتب قيّمة فانصرف اليها أبو تمام وجمع
من دواوين الشعر التي كانت فيها كتاب الحماسة وغيره فيما قيل . وقد أختار
أبو تمام في « ديوان الحماسة » نحو سبعمائة وثمانين قطعة لنحو أربعمئة
 وخمسة وستين شاعراً من الشعراء المقلين ولا سيما المغمورين منهم ، سوى
المجاهيل^٣ .

في « ديوان الحماسة » نحو عشر أبيات مفردة^٤ ، ثم هنالك بضع مختارات
تألف كل واحدة منها من ثلاثة أشطر من الرجز^٥ . ولكن معظم المختارات
تألف من مقطعات يراوح عددها بين بيتين وبين عشرة أبيات . وفي الحماسة أيضاً
مقاطع قليلة تزيد أبياتها على عشرة وتقل عن عشرين . أما المقاطع التي يزيد عدد

(١) راجع فوق ، ص ٣٢ ؛ هبة الأيام ٩ ، ١٣٨ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٦ - ٤٩٠ ، حركة

التأليف عند العرب ١ : ٩٥ - ١٠٢ . GAL. Suppl. I 136 ff.

(٢) اوائل ٨٢٢٢ = اوائل ٨٣٧ .

(٣) بعض مقاطع الحماسة منسوبة هكذا : قال بعض بني بولان من طيء - قال أعرابي قتل أخوه
ابن له - قال رجل من بني تميم - وقال آخر - قال بعض بني أسد - قالت امرأة من طيء -
قالت غيرها - قال أعرابي - قال بعض المدنيين الخ . ويبلغ هؤلاء المجاهيل نحو مائة وخمسين
شاعراً يمكننا أن ننسب نحو ثلاثين منهم على وجه الايقان أو الظن .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٥) ديوان الحماسة ٢ : ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ .

أبياتها على عشرين فهي ست : قصيدة السموأل بن عاديا : « اذا المرء لم يندس
من اللوم عرضه »^١ وقصيدة المنخل بن الحارث الشكري : « ان كنت عاذلتني
فسيري »^٢ ، وكل واحدة منهما اثنان وعشرون بيتاً. ثم هنالك قصيدة العديل
ابن الفرخ العجلي : « ألا يا اسلمي ، ذات الدماليج والعقد »^٣ ، وقصيدة يزيد
ابن الحكم الثقفني يعظ ابنه بدرأ : « يا بدر ، والامثال يضر بها لذي اللب الحكيم »^٤ ،
وكل واحدة منهما ثلاثة وعشرون بيتاً. وتأني بعدئذ قصيدة تأبط شرا : « ان
بالشعب الذي دون سلع... »^٥ . وهي ستة وعشرون بيتاً. أما أطول مقاطع
الحماسة اطلاقاً فهي قصيدة زياد بن حمّال بن سعد^٦ :

لا حبذا أنت ، يا صنعاء ، من بلد ولا شعوب - هوى مني - ولا نقم^٧ ،
فانها أربعة وأربعون بيتاً .

واختار أبو تمام في الحماسة مقاطع لجميع الشعراء المقلين والمكثرين ،
والمشهورين والمغمورين ، والقدماء والمحدثين ، وان كان جل اهتمامه بالمقلين
المغمورين القدماء . أما المشاهير فضمت الحماسة منهم المهلهل وطرفة وعمرو بن
كلثوم وعنترة والناغبة في الجاهليين ، وحسان والخنساء والفرزدق والاختل
وجميل بن مَعمر في الاسلاميين ، وأبا العتاهية والعباس بن الاحنف ومسلم بن
الوليد ثم بكر بن النطاح المعاصر لأبي تمام من المحدثين .

والمفروض أن يكون أبو تمام قد اختار في الحماسة مقطوعة واحدة لكل شاعر

(١) ديوان الحماسة ١ : ٣٦-٤٠ .

(٢) ديوان الحماسة ١ : ٢٠٨-٢١١ .

(٣) ديوان الحماسة ١ : ٣٠٨-٣١٣ .

(٤) ديوان الحماسة ٢ : ٤٠-٤٥ .

(٥) ديوان الحماسة ١ : ٣٤٨-٣٥٣ .

(٦) ديوان الحماسة ٢ : ١٤٤-١٥٤ .

(٧) صنعاء : حاضرة اليمن ، وشعوب بفتح الشين (القاموس ١ : ٧٨) مكان في اليمن ، قصر

عال أو متنزه ذو بساتين ورياض في ظاهر صنعاء . فقم (بضم النون) : قرية في اليمن

(القاموس ٤ : ١٨٣) ، بلدة في اليمن ، او جبل عال فيها - ليس فيك ، يا يمن ،

شيء أحبه ، لا صنعاء ولا شعوب ولا فقم .

استجد شعره ، ولكن الذين اختار لهم قطعتين أو ثلاثاً لسوا قليلين . أما الذين اختار لهم اربع مقطوعات أو خمساً أو ستاً فانهم قليلون جداً . فمن الذين اختار لهم ست مقطوعات حاتم الطائي وعروة بن الورد وهما جاهليان ، ثم موسى بن جابر الحنفي وهو شاعر اسلامي .

وتنقسم الحماسة عشرة أبواب ، هي عشرة فنون من الشعر : الحماسة - المراثي - الأدب (الحكمة) - النسيب - الهجاء - الاضياف والمديح - الصفات (الوصف الحسي) - السير والنعاس - المُلح (النكت والفكاهة والاحماض والمجون) - مذمة النساء . وقد سمي أبو تمام هذا المجموع كله باسم الباب الأول منه « الحماسة »^١ ، وهو أطول الأبواب وأهمها في هذا المجموع القيم . واشتهر كتاب الحماسة لأبي تمام شهرة غطت على شهرة كل مجموع آخر شبيه به . فإذا قلنا اليوم « ديوان الحماسة » فإننا نعني ديوان الحماسة لأبي تمام . وقد دل ديوان الحماسة هذا على سعة اطلاع أبي تمام وغزارة علمه بالشعر وحسن ذوقه في الاختيار حتى قيل إن ابا تمام كان في اختياره لديوان الحماسة أشعر منه في شعره^٢ . ومن أوجه الأهمية لديوان الحماسة أننا نجد فيه أشعاراً لا نعرفها في مكان آخر .

ولقد عد السيد محسن الأمين شروح ديوان الحماسة فوجدها أربعة وثلاثين شرحاً^٣ بعضها شروح عامة كشرح الامام المرزوقي المتوفي سنة ٤٢١ للهجرة ، وشرح الخطيب التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢ للهجرة . ومنها أيضاً شروح خاصة

(١) الحماسة ، في الاصل ، الشدة في الدين والقتال ، ثم هي الشجاعة (راجع القاموس ٢: ٢٠٨) . والحماسة أيضاً هي الشعر الذي يقال في القتال وفي التجلد في المصائب والقسوة وقلة المبالاة وصلابة النفس في أي فن من فنون الشعر جاءت هذه الخصائص (راجع شرح الحماسة للتبريزي) .

(٢) خمسة شعراء جاهليون ، للمؤلف ص ٢٧، ٢٥ .

(٣) أعيان الشيعة ١٩: ٤٩٠-٤٩٤ ، راجع حركة التأليف عند العرب ٩٨-٩٩ . اما أحمد أمين وعبد السلام هارون فقد احصيا نحو ثلاثين شرحاً (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١١: ١ - ١٥ من التقديم) . ولعلها كرواً اسم الصولي مرتين (رقم ١٣١١ وجملا وفاته سنة ٨٣٣٥ مرة سنة ٨٤٧٦) .

تتناول أوجهاً معينة من هذا الديوان القيم : فهناك المبهج في شرح أسماء رجال الحماسة لابن جني ، ومنها رسالة في ضبط أعلام الأماكن في ديوان الحماسة لأبي هلال العسكري .

٢ - الحماسة الصغرى وتعرف أيضاً باسم الوحشيات ١ :

جمع أبو تمام هذا الكتاب من شعر الشعراء العرب (أي القدماء) ورتبه على عشرة أبواب هي أبواب الحماسة الكبرى نفسها . ويبدو أن الحماسة الصغرى قصائد طوال . ووهم السيد محسن الأمين مرة ٢ فجعل الوحشيات كتاباً مستقلاً غير الحماسة الصغرى .

٣ - كتاب الفحول ، أو كتاب فحول الشعراء ، أو كتاب اختيار شعراء الفحول ٣ :

هذا المجموع مقاطع من شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين على الانواع ، وينتهي بابن هرمة .

٤ - كتاب الاختيار من شعر القبائل : ويسميه السيد محسن الأمين « الاختيار القبائلي الأكبر » ويذكر أنه رآه * ؛ ولعله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء .
٥ - الاختيار القبائلي الأصغر ، اختار فيه أبو تمام مقاطع من محاسن أشعار القبائل . ومعظمه لغير المشهورين ٥ .

٦ - اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة وفيه أشعار للمشهورين ولغير المشهورين من القدماء والمتأخرين . وهو يبدأ بأشعار الغزل ٨ .

(١) وفيات الاعيان ، مقدمة الحامسة (فرايتاغ) ،

الاجاني ١ : ٣٤٦ ، الحاشية ١ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥ .

(٢) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٨٩ .

(٣) الفهرست ١٦٥ ، أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٥-٤٩٦ ؛ وفيات (مطبعة الوطن) ١ : ٢١٤ .

(٤) الفهرست .

(٥) الفهرست ١٦٥ ؛ أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٦) الفهرست ١٦٥ ؛ وفيات ١ : ٢١٤ .

(٧) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

(٨) أعيان الشيعة ١٩ : ٤٩٦ .

مقلدو أبي تمام

وقلد أبا تمام نفرٌ من الشعراء والأدباء والنقاد في جمع مجاميع من الشعر يُعرف كل واحد منها باسم « الحماسة » أيضاً : وقد وصل إلينا من هذه المجاميع ٢ :

١ - حماسة البحري - البحري (ت ٥٢٨٤ = ٨٩٧م) تلميذ أبي تمام وكان يتشبه به وينحو نحوه ٣ ، فألف « كتاب الحماسة » على مثال حماسة أبي تمام ٤ .

على أن البحري عني بالاغراض - بالمعاني المفصلة : حمل النفس على المكروه ، مجاملة الاعداء ... الانفة ... ركوب الموت خشية العار ... مؤاخاة الكرام الخ ٥ ، لا بالفنون (الحماسة - المراثي : الهجاء ...) كما فعل أبو تمام .

٢ - حماسة الخالدين - الخالديان هما أبو بكر محمد وأبو سعيد عثمان أبنائ هاشم ، وكانا من أحياء القرن الهجري الرابع ومن الذين كانوا في بلاط سيف الدولة ٦ ، « لهما من الكتب حماسة شعر المحدثين » .

٣ - الحماسة العسكرية لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ - ١٠٠٥ م) .

٤ - حماسة أحمد بن فارس (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ) الأديب اللغوي المشهور ٧ .

٥ - الحماسة لأبي السعادات هبة الله بن علي الشجري العلوي (ت ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م) ، وتعرف بمختارات الشجري . هذا المجموع يضم أبوأباً يتناول بعضها فنوناً من الشعر كالمديح والمراثي ... ويتناول بعضها الآخر أغراضاً ومعاني

(١) أعيان الشيعة ١٩: ٤٩٦ .

(٢) راجع أعيان الشيعة ١٩: ٤٩٤-٤٩٥ ، حركة التأليف ١: ٩٩-١٠٤ .

(٣) معجم الادباء لياقوت ٧: ٢٢٧ .

(٤) الفهرست ١٦٥ ؛ (مطبعة الوطن) ١: ٢١٤ .

(٥) حركة التأليف ١: ١٠٠-١٠١ .

(٦) راجع الفهرست ١٦٩ ؛ حركة التأليف ١: ٩٨ ؛ « لها الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين

والجاهليين والمخضرمين في الكتبخانة الخديوية المصرية (فهرست الكتبخانة ٤: ٢٠٢) .

وقد طبع هذه الكتاب في القاهرة ، عام ١٩٥٨ (حققه وعلق عليه محمد يوسف) .

(٧) حركة التأليف عند العرب ١: ٩٨ .

- جزئية : فهو لذلك وسط بين حماسة أبي تمام وحماسة البحتري ^١ .
- ٦ - الحماسة ^٢ للأعلم الشنتمري الاندلسي (ت ٤٧٦ هـ) .
- ٧ - الحماسة لعلي بن الحسن المعروف بشميم الحلي (ت ٦٠١ هـ) ، وهي تتألف من أربعة عشر باباً .
- ٨ - الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج البصري (قتل ٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) .
- ٩ - الحماسة المغربية لأبي الحجاج بن محمد الاندلسي البياسي (ت ٦٥٣ هـ - ١٢٥٥ م) ، وهي حماسة كبيرة تقع في مجلدين . وقد كان تأليفها في تونس سنة ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) .

ديوان أبي تمام والشروح عليه

يبدو أن النسخة التي وصلت إلينا من ديوان أبي تمام هي النسخة التي صنعها علي بن حمزة الاصفهاني ^٣ ، وهي النسخة المتداولة في الطبع . هذه النسخة مرتبة على الفنون ^٤ ، وكل فن فيها مرتب على الحروف .

وقد كانت العناية بشعر أبي تمام كثيرة ، فقد شرحه نفر من المشاهير ^٥ .

ان أقدم الشروح التي وصلت إلينا وافية كاملة شرح أبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) . كان الصولي من المعجبين بشعر أبي تمام ومن المتعصبين له جمع نخبة صالحة من أخباره وشعره ثم شرح ديوانه . وشرح الصولي موجز مقتصر على معاني الابيات . ثم هو قليل التعرض لمسائل اللغة والنحو ، الا أنه يورد أحياناً

(١) مثله ١: ١٠٢-١٠٣ . وقد طبعت حماسة الشجري في حيدر اباد (الدكن) بالهند ١٣٤٥ هـ .

(٢) يظن ابن خلكان أنه كان يملك شرحاً للحماسة بقلم العلم الشنتمري في خمسة مجلدات (وفيات ، مطبعة الوطن ٣ : ٤٢٧) .

(٣) يذكر محمد عبده عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٤٤) من المقدمة أن نسخة الاسكوريال تبلغ ١٣٦ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً ، وهذا يجعل أبيات الديوان نحو

ثلاثة آلاف وخمسة مائة . (٤) راجع مطلع الفصل الثاني .

(٥) راجع مقدمة محمد عبده عزام لديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١ : ٢٠-٣١ .

أشياء من الأخبار تعين القارىء على فهم الايات التي تتعلق تلك الأخبار بها من قرب أو بعد . وشرح الصولي يتناول النصف الأول من الديوان .

وبعد الصولي في الزمن يأتي الامام الخارزنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ ، وهو من شراح ديوان أبي تمام المتقدمين ، غير أن أكثر شرحه قاصر على التفسير اللغوي .

ثم يأتي في هذه السلسلة أبو القاسم الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ، وهو الذي نصب الحرب لأبي تمام وشعره في كتابه « الموازنة » . وقد كان الآمدي من أنصار البحري . وفي شرح الآمدي كثير من النقد والجدل يحاول الآمدي أن يبرر بهما تحامله على أبي تمام ، وربما عمد الى تبديل رواية أو الى اختلاق رواية رأساً للحط من شعر أبي تمام .

ثم يأتي أبو علي المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ، وهو من المعجبين بأبي تمام المتعصبين له . والمرزوقي كثير العناية ، في شرحه ، بأسلوب أبي تمام يعتمد الذوق في استخراج المعاني ويحاول ان يصحح الروايات التي لا يرضاها بالمألوف من مذهب أبي تمام أو من مذاهب الشعراء ، وقلما لجأ الى ما روي في نسخ الديوان . وللمرزوقي كتاب الانتصار من ظامة أبي تمام^١ .

وكان أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) في عصر المرزوقي . وهو من أشد المعجبين بأبي تمام وبشعره ، شرح ديوان أبي تمام وسماه « ذكرى حبيب » ، اعجاباً بالتورية بين « حبيب » بمعنى المحبوب المعشوق وبين « حبيب » بن أوس (اسم أبي تمام) .

وشرح المعري لغوي في الدرجة الأولى ، وفيه استطراد كثير في اللغة وفي تفسير المعاني . والمعري يريد أن يكون كل قول لأبي تمام جميلاً ، فهو يدافع عن معاني أبي تمام بكل سبيل .

ثم يأتي الخطيب التبريزي (ت ٥١٢ هـ) تلميذ المعري . وشرح التبريزي

(1) Hss. (Berlin), Ahlw. 7539 (GAL I 85) .

لشعر أبي تمام يقوم في الأكثر على الجمع بين شروح المتقدمين والاتبان بشرح ديوان أبي تمام كاملاً .

ومن هذه السلسلة في اعقاب الدولة العباسية أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفى الاربلي المتوفى في الموصل في ١٦ رمضان من سنة ٦٣٨ (١٢٤١ م) له كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام في عشر مجلدات ^١ . وابن المستوفى يجمع شروح الشراح على شعر أبي تمام منذ أيام الصولي ، وهو عالم محقق أمين ينسب كل قول من أقوال الشارحين الى صاحبه ، وقد يعقب على هذه الأقوال ^٢ .

(١) وفيات الاعيان (مصر ، مطبعة الوطن ١٢٩٩ هـ) ٢ : ٢٠٦ - ٢١٠ .
(٢) محمد عبدة عزام (ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ : ٣٩ - ٤٣) .

فنون أبي تمام وأغراضه

ليس ديوان أبي تمام كبير الحجم بالإضافة الى دواوين أمثاله من الشعراء كأبي نواس والبحتري وابن الرومي وغيرهم ممن لمعوا في سماء الأدب العربي وحازوا أمارته على الدهر ، واتصلوا برجال العرب والاسلام في السياسة والاجتماع . وابو تمام ككل الشعراء العرب — اذا استثنينا نقرأ كالعباس بن الاحنف وعمر بن الفارض وأمثالهما — خاض في فنون الشعر جميعها ، ولكنه اكتسب شهرته بفنني منها : المديح والثناء . ومع ان شعره في الرثاء اقل حجماً من شعره في المديح فانه لا يقل عنه قيمة ، بل ربما فاقه .

يختص أصحاب الآثار على أن يجمعوا آثارهم في حياتهم . ومن الواضح أن آثارهم لا تتم عادة الا بتمام حياتهم . ومن هذا القبيل يجب أن نفهم الرواية عن عثمان بن المنثى القرطبي المتوفي سنة ٢٧٣ للهجرة (٨٨٦ — ٨٨٧ م) أنه « رجل الى المشرق وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه ^١ » ولما بدأ ابن النديم ^٢ تأليف كتابه « الفهرست » كان شعر أبي تمام لا يزال مفزاً ، غير مجموع جمعاً منسقاً على طريقة ما ، فقدّره بنحو مائتي ورقة ، أي أربعة

(١) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لمحمد بن يوسف الازدي المعروف بابن الفرضي ، جزمان ، القاهرة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م ، ٣٤٦:١ .

(٢) ابن النديم من تأليف كتاب « الفهرست » سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ - ٩٨٨ م) ، وتوفي يوم الاربعاء لمشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ (أيلول ٩٩٥) .

آلاف بيت ١. ثم جاء أبو بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٠ للهجرة ٢
فعمله مرتباً على الحروف في نحو ثلاثمائة صفحة ٣ ، أي ستة آلاف بيت . وكذلك
صنعه علي بن حمزة الاصفهاني ٤ على الانواع .

وبمراجعة الديوان يتضح لنا أن تقدير ابن النديم كان قريباً من الصواب . فاذا
نحن اعتبرنا الديوان * وجدنا أنه يضم نحو ٦٧٣١ بيتاً موزعة كما يلي ، على وجه
التقريب : باب المديح ٤٣٤٧ بيتاً ، باب الرثاء ٦٦٧ بيتاً ، باب العتاب ٢٥٦ بيتاً
باب الوصف ١٧٧ بيتاً ، باب الغزل ٥٥٧ بيتاً ، باب الفخر ١٥٥ بيتاً ، باب
الوعظ ٤٦ بيتاً ، باب الهجاء ٥٢٦ بيتاً .

وأغراض أبي تمام المفرقة في الأبواب السابقة — ولا سيما في بابي المديح
والرثاء — كثيرة جداً . فمما يدل على كثرتها والاجادة فيها ما ورد لأبي تمام من
المقاطع المختلفة المنشورة في «كتاب الزهرة» لأبي بكر محمد بن داوود
الاصفهاني . وموضع الشاهد في ذلك أن كتاب الزهرة مؤلف في الحب والغزل
وأحوالهما ، وأبو تمام ليس من فرسان هذين الميدانين . فاذا كان شاعرنا قد تناول
هذه الاغراض التي ليست من جوانب عبقريته بمثل هذا اليسر والسعة والاجادة ،
فما بالك بالاغراض التي تقوم عليها عبقريته !

اختار ابو بكر الاصفهاني في كتابه « الزهرة » مقاطع قصاراً تبلغ عشرة
آلاف بيت نصفها في أحوال الحب وما يتصل بها لشعراء قدماء ومُحدثين

(١) الفهرست ١٦٥ . يذكر ابن النديم (الفهرست ١٥٩) أن الورقة تضم عشرين بيتاً من الشعر .

(٢) الفهرست ١٥١ .

(٣) الفهرست ١٦٥ .

(٤) الفهرست ١٦٥ .

(٥) فسر ألفاظه اللغوية ووقف على طبعه محيي الدين الخياط . طبع بمناظرة والتزام محمد جمال

(بيروت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م) - راجع تاريخ طبع الديوان بحساب الجمل على الصفحة

« يو » ، للشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ حسين الحبال . وقد أغفل محيي الدين الخياط إيراد

جانب من هجاء أبي تمام الذي يمس بالأدب (الديوان ٤٨٥) . و يبدو أيضاً أن الأبواب

الآخرى تنقص عدداً آخر من الايات .

ثم فرقها في مائة باب . ولكن لم يطبع الى اليوم من كتاب الزهرة الا نصفه فقط ^١ . وكان الاصفهاني قد شرط على نفسه أن يورد المختارات مجردة من التعليق الا اذا كان فيها ما يزيد على غيره في الحسن والجلوة زيادة ظاهرة ^٢ . ثم انه تشدد فلم يبد استحسنه الا عند ايراد ثمان وأربعين مقطوعة كان لأبي تمام وحده تسع منها ^٣ . أما مجموع الأبيات التي اختارها الاصفهاني من شعر أبي تمام، في النصف الأول من كتاب الزهرة ، فتبلغ مائة واثنين وسبعين بيتاً تولّف سبعاً وخمسين مقطوعة تتفرق في تسعة وعشرين باباً من أبواب الكتاب ^٤ .

١ - المديح

لا يستطيع دارس ان يعتمد في نقد « المديح » على مدائح الشاعر ابداً ؛ فهي لا تدل غالباً على المادح ولا على الممدوح دلالة صادقة . لأن حماسة الشاعر تزيد أو تنقص حسب زيادة امله او نقصه في نوال الممدوح . وكثيراً ما رأينا شاعراً يمدح شخصاً ثم يعاتبه ثم يهجوه ؛ ومن هؤلاء ابو تمام .

عرف ابو تمام كيف يصرف مدحه ، فلم ينتفع في ايامه شاعر بدرهم ^٥ ؛ واذا علمنا ان المدح إرضاء الممدوح فحسب غفرنا كثيراً من ذنوب ابي تمام وأهملنا اكثر ما يأخذه به بالنقاد .

كان الناس في غمرة من الثقافة الفارسية يؤثّون اوجههم شطرها في أكثر امور دنياهم ، فلم يكن نصيب الأدب أقلّ من نصيب غيره حتى أصبحت بغداد على الحقيقة قطعة من بلاد الفرس . ثم كانت نكبة البرامكة . وفورة الزندقة .

(١) النصف الاول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان داود الاصفهاني ،

اعتنى بنشره الدكتور لويس نيكول البوهيمي بمساعدة الشاعر الاديب ابراهيم عبد الفتاح طوقان (طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٣٢ م - ١٣٥١ هـ) .

(٢) كتاب الزهرة ٧ ، أشار الاصفهاني الى عدد من المعاني القبيحة في بابها ، ص ٢٦ .

(٣) كتاب الزهرة ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ .

(٤) داجع فهرس كتاب الزهرة ، ص ٣٧٥ .

(٥) الأغاني ١٥ : ٩٨ .

وصلف الشعوبية ، وفنته بابل ، وحجي الأتراك فمال الناس - في الظاهر على الأقل - عن الفرس ميلة واحدة واستيقظت فيهم الروح العربية وحتوا الى البادية وأوانها من جديد ؛ مع أن الشعراء لم يكونوا قد انصرفوا عنها قط ، خصوصاً في أماديهم .

يمتاز مديح ابي تمام بأربعة مظاهر احتاز بها حقوق الشعراء جميعاً .

(أ) الاشادة بالقومية العربية والدين الاسلامي : فهو يستمد منهما تاريخاً وعظمة وشهامة ينثرها في مدائحه ، وقد استطاع من اجل ذلك ان يفوز باعجاب بني العباس مع احتفاظه بحب آل البيت . ولا ننس ان الميل الى بني علي كان جريمة يومذاك .

من ذلك قوله في مدح المأمون :

لما رأيت الدينَ يخفقُ قلبه ؛
أوريتَ زندَ عزائمٍ تحت الدُّجى
فنهضتَ تسحب ذيلَ جيش ساقه
حتى نقضت الروم منه بوقعة
في معرك ، أما الحِمام فمفطر
ما كان للإشراك فورة مشهد
لم يُقرَ هذا السيفُ هذا الصبرَ في
ومدح الواثق فقال :

يا ابن الخلائف : ان بردك ملوّه كرم ، يدوب المزنُ منه : ولتين :

(١) تغطرس : تكبر وتطاول وظلم . عرام : شدة وشراسة .

(٢) الحام : الموت . الحام مفطر : يأكل من المحاربين منهم . والكاء (الابطال ، المحاربون) صيام قاتمون على حذر ومسكون عن كل شيء (عن الطعام وعن كل شيء غير القتال) . الهوة : الغبار الذي يشبه الدخان ويكون في المعارك عادة .

(٣) ما صبر الناس ، بالسيف بأيديهم ، مثل هذا الصبر في حرب ما الا انتصر الاسلام .

نور من الماضي عليك ؛ كأن
يسموبك السفتاح ، والمنصور ، وال
فرسان مملكة : أسود خلافة
قوم غدا الميراث مضروباً لهم
قد أصبح الاسلام في سلطانها ؛
نور عليه ، من النبي ، مبين .
مهدي ، والمعصوم ، والمأمون .
ظل المهدي غاباً لهم وعرين .
سُور عليه من القرآن ١ حصين .
والهند بعض ثغورها والصين .

وليس أحسن في هذا المقام من الاكتفاء بالاشارة الى قصيدة « فتح الفتوح » ٢ .

وقريب من هذا قوله في مدح ابي سعيد الثغري بعد وقعة بابك :

تالله أدري أالاسلام يشكرها
يوم به أخذ الاسلام زينته
يوم يجيء ، إذا قام الحجاب ، ولم
لم تبق مشرقة الا وقد علمت -
فاعذر حودك فيما قد خصصت به ؛
من وقعة ، ام بنو العباس ، ام أدد ٣
بأسرها ، واكتسى فخراً به الأبد ؛
يذممهُ بدرٌ ولم يُفصح به أحد ٤ .
إن لم تنب - أنه للسيف ما تلدُ .
ان العلى حسنٌ في مثلها الحمد !

(ب) استخدام الحوادث القديمة والحديثة : اذا كان لها علاقة بالممدوح أو
بآله أو بقبيلته أو بقومه ، ليرفع بها من شأنه ويشهر مناقبه ويظهر مناسبه ويبين
معالمه وشرف مقامه . ان أبا تمام لا يغفل عن حادثة كبيرة يذكرها أو صغيرة
يجلو أوجهها . وهذا يمكننا أحياناً من تعيين تاريخ قصائده .

مدح أبو تمام ابا دلف العجلي فقال مشيراً الى قومه ٥ .

إذا افتخرت يوماً نعيم بقوسها ، وزادت على ما وطدت من مناقب ،
فأنتم بندي قاري أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب .

(١) القرآن (بتسهيل الهزرة) لغة في القرآن .

(٢) راجع في المختارات : السيف اصدق انباء من الكتب !

(٣) القسم المنفي تقديره (والله اني لا ادري ...) ، ادد : قبيلة المملوح .

(٤) يوم الحساب : يوم التيامة ؛ بدر واحد غزوتان من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) راجع المختارات .

محاسنُ من مجدٍ متى تَقَرَّنوا بها محاسنَ أقوامٍ تكنُ كالمعائب .
ومدح ابو تمام محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي فقال فيه ١ :
نرمي بأشباحنا الى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه .
نجمُ بني صالح ؛ وهم أنجم ال عالم من عُجمه ومن عربيه .
رھط النبي ، الذي تَقَطَّعُ اس باب البرايا سوى سبيه !
وانظر الآن كيف يحاول ابو تمام ان يجلو نسب خالد بن يزيد الشيباني في اجمل
لهاب ، ويكسوه من المجد أغلى ثياب (خ ٩٨) .

مطر ابوك : ابو أهلة وائل ؛ ملأ البسيطة عُدّة وعديداً .
اكفأوه تلد الرجال ؛ وإنما ولد الختوف اسوداً ٢ وأسودا .
ورثوا الأبوة والحظوظ ؛ فأصبحوا جمعوا جدوداً في العلى وجدوداً ٣ .
ومشوا أمام أبي يزيد وحوله مشياً ، يهْدُ الراسيات ، ويثدا ٤ !
واذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ، ومبدى غارة ومُعيدا
أيقنت ان من السّماح شجاعة تُدْمِي ؛ وأن من السّماحة جدوداً ٥ .
(ح) فخامة الألفاظ والتراكيب : يحبّ ابو تمام من الألفاظ ما ملأ الاسماع
ومن التراكيب ما شغَلَ الفكرَ . ثم يحكي حولها أقوالاً وآراءً يستعيرها من
قوى الطبيعة المختلفة كالمنطق والبحر والنار والحياة والموت والحرب ... وبعدئذ
يتحبّكها بحكمة عرّفها أو اخترعها .

لما تغلب الجيش الاسلامي على بابك مدح الشاعر احد قواده : ابا سعيد

(١) خ ٥٢ .

(٢) الاسود جمع اسود وهو الانعوان ذكر الانثى (الهيئة) .

(٣) الجدود الاولى : الاسلاف ، والثانية : الحظوظ .

(٤) الراسيات : الجبال . ونيد : الذي فيه صوت عال ، أو فيه رزاة وتأن .

(٥) السّماح والسّماحة : البذل ، وقصد الشاعر بالكلمة الاولى بذل النفس في الحرب ، وبالثانية
بذل المال .

محمد بن يوسف الثغري فقال :

وفي ارشق الهيجاء ، والخليل ترتحي
عططت ، على رغم العدى ، انف بابك
فإلا يكن ولى بشلو . فقد
راك سديد الرأي والرمح في الوغى
وليس يجلي الكرب رمح مسدد
بأبطالها في جاحم متوقد^١
بعزمك عط الاتحمي المعضد^٢
هناك ، فقد ولى بعزم مقدد^٣
تأزر بالإقدام (فيها) وترتدي .
إذا هو لم يؤنس برأي مسدد !

وأفخم من هذا قوله في عبدالله بن طاهر : :

اليك جزعنا مغرب الملك كلما
الى ملك لم يلق كلكل بأسه
الى سالب الجبار بيضة ملكه ،
فوالله لو لم يلبس الدهر فعله
وسطنا ملاصت عليك سبابه^٤
على ملك الا وللذل جانبه^٥ ؛
وآمله غاد عليه فسالبه^٦ .
لأفسدت الماء القراح معائبه^٧ .

(*) راجع المختارات ايضاً .

(١) ارشق حصن المسلمين خرج اليه يابك ليمطو على مال ارسله المعتصم للانشين ؛ جاحم متوقد : جمر شديد الاشتعال .

(٢) شققت عزمه كما يشق الثوب المخطط طولا (لسهولة ذلك) .

(٣) ان لم تركه متقطع الاعضاء (قتيل) فقد تركته خائر العزم (مفلولة جيوشه)

(**) راجع المختارات ايضاً .

(٤) قطعنا التقدم الغربي من الامبرطورية العربية ، فكنا كلما نزلنا في ارض رأينا فيها من آثارك ما يستوجب الثناء عليك .

(٥) لم تحارب ملكاً الا ذل .

(٦) هو يسلب ملك الملك الجبار ؛ ومعنفيه : طالب رفده (عطائه) يسلبه ماله .

(٧) لو لم تنتشر افعاله في الدهر كله لكانت معائب الدهر قد افسدت كل شيء حتى الماء الصافي .

ويا ايها الساري فسر غير حاذر جَنَانٌ ظلامٌ ، او ردىّ انت هائبه ،
فقد بثّ عبدالله خوفَ انتقامه على الليل حتى ما تدبّ عقاربُه !
يقولون : ان الليثَ ليثٌ خفية نواجذُه مطرورةٌ ومخالبُه ؛
وما الليثُ كلُّ الليث الا ابنُ عثرة يعيش فَوَاقَ ناقةٍ وهو راهبه ٢ .

(د) احتفاظه بمركزه الشخصي : يضرب ابو تمام في الأرض الى ممدوحيه ،
فاذا وصل الى ابعدهم مكاناً هان عليه ان يرجع صفر اليدين منه على ان ينال رفته
ويحمل في سبيل ذلك شيئاً من المنة ، او يبدي قليلاً من التذلل ٣ . واذا انشد فانما
ينشد جالساً ؛ فاذا اتفق ان طرب الممدوح فوقف ٤ وقف هو ايضاً . وقد سبق
القول في انه كان يرفع نفسه الى مركز الممدوح او فوقه احياناً ، ويرفع شعره
فوق النوال الذي يأخذه .

* * *

أما طول القصيدة وقصرها ونوع لغتها والتشابه فيها والاستعارات ، حتى
القافية فكانت كثيراً ما تختلف باختلاف الممدوح ؛ وسرى انه مدح ادباء وشعراء
كمحمد بن عبد الملك الزيات الشاعر الوزير ؛ وابي دلف العجلي الذي اخذ عنه
الادباء والفضلاء والشعراء المجددون ، وقد كان له صنعة في الغناء ايضاً ؛ وعلي
ابن محمد ... بن بسام ، وكان أديباً شاعراً ؛ وعلي بن الجهم الشاعر البغدادي
المشهور ٥ ؛ وغيرهم . فهو أحرى أن يُجود في مدحهم . ثم لا استغرب انا أن

(٥) وسطه ومغله .

(٢٤١) يعتقد الناس ان الاسد هوساكن الاجمة ، الظاهرة انيابه واظانته ؛ ولو عقلوا لقالوا ان
الاسد (الشجاع) هو من يذنب الى عبد الله بن طاهر ثم يستطيع ان يعيش بعد ذلك مقدار
فَوَاقَ الناقة (مسافة ما بين حلبتين) لأن الخوف من عبد الله بن طاهر يقتله .

(٣) راجع ص ٢٧ - ٢٨ .

(٤) الاغاني ١٥ : ١٠٠ .

(٥) الاغاني ٩ : ١٠٤ - ١٢٠ .

يمدح ابوتمام أبا المغيث موسى بن ابراهيم الرافقي^١ بخمس قصائد قوافي ثلاث منها
ثاء وسين ، وضاد ويحشر فيها : نبيث ، دثوث ، ميث ، شوث ، لويث ،
قدموس ، شوس ، كردوس ، اريض ، نخيضر ، قبيضر دحيضر . انيضر ... ؛
فالممدوح امير في الشام بدوي . ولا اظنك تعجب اذا رأيت هذه الكلمات الغريبة
في مدحه لآل طوق من امراء عرب الشام^٢ :

شجعاء جبرتها الذميل تلوكه أصلاً اذا راح المطي غيرا^٣ ؛
اجد اذا وث المهارى ارقلت رَقلاً كتحريق الغضا حثاثاً^٤ ؛

(١) كان ابو المغيث في أيام أبي نواس فتي يكتب الحديث ، وقد شيب به ابونواس (ديوان ابي
نواس ، مخطوطة برلين ٢٤٣ أ : يا سمي المدعو من جانب الطور ... (راجع ديوان ،
طبعة آصاف ، مصر ١٨٩٨ ، ص ٤١٠ في موسى :
يا سمي الذي كلم الله ... ، وأدنى مكانه تقريباً .

(٢) ديوان خ ٦٥ ، ٦٤ .

(٣) شجعاء : طويلة ، مبسوطة الجسم وذلك من الصفات الحميدة في الحيوان ، ثم هي نشيطة.
الجرة (بكسر الجيم وتشديد الراء) : ما تخرجه الدابة من بطنها وتجتريه (تعيد مضغه) .
الذميل : السير السريع . تلوكه : تمضغه ، تمض عليه وتديره في فمها . أصل (بضم
الهمزة والصاد) جمع أصيل : العشية ، الزمن الذي يسبق غروب الشمس بنحو ساعتين .
راح : رجع في المساء ، بلغ المساء . المطي جمع مطية : الدابة المعدة (بتشديد الدال)
للكوب والاسفار . غراث (جمع غرثان و غرثي) : جياح . - هذه الناقة التي أركبها
أنا في سفري مبسوطة الجسم نشيطة ، تسرع في السير . والاسراع في السير هين عليها
لأنه طبيعة فيها (كالاجترار الذي هو طبيعة فيها أيضاً) ثم هي قادرة على السير الطويل
تستمر في سيرها السريع طول النهار . فاذا جاء المساء ظلت هي تسير بنشاط ، بينما سائر
المطي تكون قد تعبت (قد نفذت قوتها بنفاذ ما في بطنها من الطعام الذي تجتريه) . والبيت
التالي توضيح وتفسير لهذا البيت .

(٤) أجد : صابة ، متينة البناء . وثى يني : تعب . المهارى : الخيل الفتية ، الصغيرة السن .
أرقل : أسرع ، وهو يصعد في الجبل . الغضا : نوع من الشجر يصنع منه فحم
جيد . حثاثات : سريع . - اذا تعبت المهار الفتية (من السير في السهل) فان ناستقي
هذه تظل نشيطة قادرة على الاسراع في صعود الجبال . ويكون ارقالها هذا شديداً متوالياً
كلاصوات التي يحدتها شجر الغضا وهو يحترق .

طلبت فتى جُشَم بن بكر مالكا :

ضَرَّغَامَهَا وَهَزَبَرَهَا الدِّلْهَاتَا^١

لولا اعتمادك كنت في مندوحة عن برقعيد وأرض باعينا^٢ .

اما اذا قلبت الديوان فوصلت الى مدائح الوزير الشاعر محمد بن عبد الملك الزيات فسترى أمثال « وصف القلم » او « ديمة سمحة القياد سكوب » . ولا أحب ان اسير بك في الديوان بين مدائح الخلفاء والأمراء والقواد والفقهاء ندرس خصائصها معاً فترى ان ابا تمام كان يصرف المديح حسب حاجته . ثم لا توقن ان ما قلته لك قاعدة محكمة . لا ، انها ككل القواعد لها شواذها ، وانما الشذوذ برهان على القاعدة .

١- ممدوحو أبي تمام

يبلغ عدد ممدوحى ابي تمام ستين - اكثرهم من العرب^٣ ينتشرون في الهيئة الاجتماعية بين الخلفاء : كالمأمون والمعتصم ، وبين الكتاب : كرجل اسمه ابو زيد كان كاتباً لعبدالله بن طاهر . وترى هنا قائمة مفصلة بأسماء الممدوحين مع مقامهم الاجتماعي وعدد القصائد التي مدحوا بها ، مثبتاً بعد

(١) طالبت : قصدت . الفتى : السيد البطل في قومه . جشم بن بكر قبيلة الممدوح . مالك هو مالك بن طوق الذي يمدحه الشاعر . الضرغام : الاسد الفحل الشديد . الهزبر : الاسد الضخم الشديد الصلب . الدلّات : الاسد السريع .

(٢) لولا اعتمادك : لولا الاعتماد عليك والامل في عطايك . كنت في مندوحة : كان لي غنى ، لم أحمل (بتشديد الميم المكسورة) نفسي مشقة هذا السفر الى برقعيد وباعينا (هذان موضعان في جزيرة ابن عمر ، في شمالي الشام والعراق) ، كنت في غنى عن كثرة التلّواف في الارض .

(٣) انظر ايضاً امراء الشعر ص ٢٢٩ .

اسمائهم^١ .

(أ) آل البيت المالك وأسلافهم — علي بن ابي سالب وآله المأمون (٢) ،
المعتصم (٩) ، الواثق^٣ ، احمد بن المعتصم^٢ ، محمد بن عبد الملك بن صالح^١ ،
الفضل بن صالح^١ .

(ب) وزراء الدولة — يحيى بن ثابت^١ ، الحسن بن سهل^٢ ، وهما من
وزراء المأمون ؛ محمد بن عبد الملك الزيات^٦ .

(ح) القواد — خالد بن يزيد بن مزيد^٧ ، ابنه محمد^١ ؛ ابو سعيد محمد
ابن يوسف الثغري^{٢٩} ، آل حميد الطوسي^١ ، الافشين حيدر بن كاوس^١ ،
جعفر الخياط^١ : وابو دلف العجلي (٥) .

(د) الأمراء ، ورجال الدولة والقبائل — عبدالله بن طاهر امير خراسان^٤ ،
آل طوق امراء عرب الشام : مالك بن طوق^٨ ، عمر بن طوق^٨ ؛ ابو المغيث
الرافقي^٥ ، اسحق بن ابراهيم المصعبي^٤ ، القاضي احمد بن ابي دواد^{١٣} ،
القاضي حبيش بن المعافى التنوخي^١ .

(هـ) رجال الاسر الكبرى — آل وهب (ولوا الوزارة ، ولكن بعد ابي
تمام) : سليمان (٣) والحسن (١٢) ؛ علي بن مرة وابنه الحسن^٢ ، احمد بن
عبد الكريم الطائي^٢ ، داوود بن داوود الطائي^٢ ، عمر بن عبدالعزيز الطائي^١
محمد بن شقيق الطائي^١ : عياش بن لهيعة الحضرمي^٣ .

(و) الشاعر ابو العباس نصر بن منصور بن بسام^٢ ، الشاعر علي بن الجهم^١ ،
محمد بن حسان الضبي^٤ ، غالب بن عبد الحميد الصغدري^٤ ، محمد بن الهيثم بن
شيانة^٧ ، ...

(١) العدد المحصور بقوسين فيه شك ينشأ من نسبة القصيدة اليه او إلى غيره . قارن هذه ما ذكره
الدكتور الاسود (١ : ٣١) وبقائمة الاستاذ المقدسي (امراء الشعر ١٧٥ - ١٧٧) ويزاد
عليها ما سيرويه الدكتور الاسود في الجزء الثاني وليس في طبعة الخياط .

أما سائر الممدوحين فهم متفاوتو المنزلة وقد خصهم الشاعر بقصيدة قصيدة ،
ومنهم من كان نصيبه اثنتين ، او ثلاثاً في النادر .

٢ - الفخر

الفخر ان يمدح الشاعر نفسه او آله او قومه ثم يُشيد بذكورهم . وبضاعة ابي تمام في الفخر الخالص قليلة جداً واكثرها فخر بطيء ، ولعله قال اكثره في مصر قبل ان تقبل عليه الدنيا . ولا اعتقد ان في فخره شيئاً لا ينطوي على شكوى مرة ؛ وهذا الباب يفيدنا تاريخاً اكثر مما يفيدنا فنّاً .

اقبلت الدنيا على ابي تمام وزادت ثقته بنفسه فانتقل بالفخر الى قصائد المديح ينثره عند المناسبات ، وخصوصاً اذا كان الممدوحون طائنين : كآل عبدالكريم وآل حميد الطوسي ؛ او من عرب الجنوب الذين منهم بنو طيء كالتقاضي أحمد ابن ابي دُوَاد الايادي ، وعياش بن طليعة الحضرمي . وحسبك ما علمت من ذلك عند الكلام على خصائصه . ومن فخره ايضاً ^١ .

وهل خاب من جذماه في اصل طيء : عديّ العديين القلّمس ، او عمرو ^٢ .
لنا جوهر لو خالط الأرض اصبحت . وبُطْنانها منه وظُهرانها تبر ^٣ .
مقاماتنا وقف على الحِلْم والحِجَى : فأمردنا كهمل ، واشيينا حبر ^٤ .

(١) ديوان خ ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) جذماه من اصل طيء : أبوه وأمه كلاهما من قبيلة طيء . عدي : عدي بن نصر بن ربيعة والد الملوك المناذرة ملوك الحيرة . عديّ العديين : اصل العديين المنسوبون الى عدي هذا . عمرو هو عمرو بن عدي أول ملوك الحيرة من المناذرة وأمه رقاش (بفتح الراء) بنت جذيمة (يفتح الجيم) . القلمس : في القاموس (٢ : ٢٤٢) أن القلمس رجل كذا . أي من نساء الشهور (من الذين كانوا يمينون الاشهر ويحرمون بعضها ، أي يحرمون الحرب فيها) .

(٣) الجوهر : اصل العناصر . - يقول أبو تمام : لو مزجنا نحن ، بني طيء ، بالناس كلهم لأصبح الناس كلهم أشرافاً عظماً (لو كان بنو طيء عنصرأ طبيعياً ثم مزج هذا العنصر بمادة الارض كلها لأصبحت الارض كلها تبراً - ذهباً) .

(٤) الحلم : سعة الصدر والحكمة . الحجى : العقل . الخبر العالم ، الفقيه .

إذا زينة الدنيا من المال اعرضت
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى ؛
فأزَيْنُ منها عندنا الحمد والشكر .
فليس لحى غيرنا ذلك الفخر .
وفخر أبو تمام بقومه ونفسه فأنشد ١ :

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم^١ وسُمِّيَ فيهم وهو كهل^٢ ويافع^٣ .
مضوا ؛ وكان المكرمات لديهم^٤ - لكثرة ما أوصوا بهن - شرايع .
هم استودعوا المعروف محفوظا مالنا فضاع ؛ وما ضاعت لدينا الودائع^٥ .
إذا ما اغاروا فاحتوا ما لم^٦ معشر اغارت عليهم - فاحتوته - الصنائع^٧ ،
فكم شاعري قد رامني فقد عتته^٨ بشعري ؛ فأسمى وهو خزيان^٩ ضارع^{١٠} :
كشفت قناع الشعر عن حر وجهه فطيرته عن فكره وهو واقع^{١١} .
بغر^{١٢} يراها من يراها بسمعه ، ويدنو إليها ذو الحجي وهو شامع^{١٣} .

(١) ديوان خ ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) استرضع الجود فيهم : بنو طيء أرضعوا الجود ور بوه (فأخذ صفاته منهم) .

(٣) أوردنا أسلافنا مالا كثيرا وأوصونا بالمعروف (الكرم) فبالفنا نحن في الكرم حتى أنفقنا جميع المال ، ولكن الكرم بقي فينا بعد ذهاب المال .

(٤) على أن بني طيء أهل حفاظ وشجاعة إذا اضطروا إلى غزو قبيلة فإنهم يستولون على جميع أموالها ، فإذا عرف أصحاب الحاجات بذلك وفدوا على بني طيء فمنحهم بنو طيء كل ما كانوا قد غنموه في غزوتهم .

(٥) قدعته بشعري : ضربته به (هجوته) . خزيان : مقهور . ضارع : ذليل .

(٦) كشفت قناع الشعر عن حر وجهه : أظهرته على حقيقة (برهنت دلي أنه ليس شاعرا وإنه هو يتكلف قول الشعر) . طيرته عن فكر : شتت فكره ، أذهله . واقع : باق في أرضه لا يستطيع مبارحتها لشدة ذوله .

(٧) الأنز : البيض (يتصمد بتمصائد غر ، أي بارعة جيدة) . يراها من يراها بسمعه : الذي يفهمها (إذا سمعها) يترك معانيها الجياد . ويدنو إليها ذو الحجي وهو شامع : تصل إليه وهو في المكان البعيد : تنتشر في كل مكان .

يودّ وداداً أن أعضاء جسمه اذا أنشدت - شوقاً اليها - المسامع^١ .

٣ - الرثاء

يجب ان اقدم البحث في رثاء ابي تمام بالرواية الآتية^٢ : بعد ان فرغ ابو تمام من انشاد قصيدته في ابي دلف العجلي « على مثلها من اربع وملاعب » ، قال (له ابو دلف) : انشدني قولك في محمد بن حميد (كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر) ... فأنشدته (القصيدة) فقال : والله ودّدت انها فيّ ؛ فقال (ابو تمام) : بل افدي الامير بنفسي وأهلي ، واكون المقدّم . فقال : بل انه لم يمت من رثي بهذا الشعر .

* * *

رثاء ابي تمام اقل تكلفاً من مدحه وأرق عاطفة . وفي رثائه يظهر لنا ان ذلك الجبار على الخطوب - القاسي في الشدائد رقيق الحس ، وثيق الوداد . ثم هو لا يفقد رشده عند المصيبة ، ولا يشتبه رأيه فيمضي في التفجع ويصفّ ما يدل على التأوه في مبالغات لا جدوى تحتها . انه يبالغ ، ولكن في استعارات وكنيات وتشابيه كما يفعل في مدحه ؛ ثم يبقى على هدوئه فيستطيع طرق الأغراض على نحو ما ترى في بعض اماديجه . ألا تعجب حينما تسمعه يرثي ابنه بقوله^٣ :

كنت عزيزاً به كثيراً ؛ وكنت صبّاً به ضئيلاً .
دافعت - الا المنون - عنه والمرء لا يدفع المنونا .
يُدِير في رَجْعِهِ لـانا يمنع الموت ان يُبِينا^٤ .

(١) يطرب ذو العقل هذه القصائد حتى يتمنى لو أن كل عضو في جسمه اذن حتى يسمع هذه القصائد بجميع أعضائه . الوداد تكون بفتح الواو وكسرهما وضمة .

(٢) الاغاني ١٥ : ٩٩-١٠٠ ؛ ديوان خ ٤٠-٤٣ .

(٣) ديوان خ ٣٩١ .

(٤) الرجوع : مرض الموت (راجع القاموس ٢٨ : ٣ س) . أن يبينا : أن يفصح ، أن يقول كلاماً مفهوماً .

وكثيراً مما ورد في ديوانه في الرثاء موسوم بهذا الطابع ؛ فمن ذلك قوله يرني
أبا نصر محمد بن حميد الطائي ١ :

أَصَمَّ بكَ النَّاعِي ، وَان كَانَ أَسْمَعَا ؛ وَاصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقْعَا ٢ .
فَقِيَ ، كَلِمَا ارْتَادَ الشَّجَاعُ مِنَ الرَّدَى

مَقَرَّآ - غَدَاةَ الْمَأْزِقِ - ارْتَادَ مَصْرَعَا ٣ .

إِذَا سَاءَ يَوْمًا فِي الْكَرْيَةِ مَنْظَرٌ تَصَلَّاهُ : عَلِمَا أَنَّ سِيحْسُنَ مَسْمَعَا ٤ .
فَإِنْ تُرْمَ عَنْ عَمْرِ تَدَانِي بِهِ الْمَدَى - فَخَانُكَ ، حَتَّى لَمْ تَجِدْ فِيهِ مَنَزْعَا ٥ -
فَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ لَأَقَى ضَرْبِيَّةً فَقَطَّعَهَا ، ثُمَّ انْتَفَى فَتَقَطَّعَا ٦ .

• • •

رثاء آل حميد الطوسي

اجاد ابو تمام في رثاء بني حميد الطوسي خاصة حتى كان من أمر ذلك
الرواية التي بدأنا بها هذا البحث . ونحن نرى ان رثاءه لآل حميد يختلف من سائر

(١) ديوان خ ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٢) ان الذي نادى بنعيك (بجبر موتك) جعل الذين سمعوا صمًا (لهول ما سمعوا منه) .
مغنى الجود : مسكن الجود . بلقع : خراب . - افقرت الارض من الجود .

(٣) اذا حاول الشجاع أن يفر من المعركة الشديدة مضى هو الى تلك المعركة بقدم ثابتة وهو
منرك أنه سيموت فيها .

(٤) هو يعلم أنه كلما كانت المعركة أشد كان ذكر الذي يخوضها في الناس أحسن . تصل : تعرض
للنار بحمسه . أن : مخففة من « ان » (انه) . يحسن : فعل مضارع مرفوع لتجرده عن
الناصب والجازم .

(٥) ان ترم ، ان تقتل ، اذا قتلت . عمر تداني به المدى : عمر قصير . المنزع : المكان في
وتر القوس يوضع عليه السهم ثم يجذب قبل اطلاق السهم . - كانت المعركة أشد مما يستطيع
المحارب ، مهما كان شجاعاً ومقتلراً في الحرب ، أن ينجو من الموت .

(٥) لقد كنت كالسيف الذي ضرب به جهم قاس جداً ، فقطع ذلك الجهم ولكنه ارتد من شدة
الضربة على نفسه ثم انكسر .

رثائه . أليس عجيباً ألا يكون لأبي تمام في بني حُميد سوى قصيدة واحدة في المديح^١ ثم يكون له في رثائهم ثمانى قصائد أكثرها على قِصَرِ بعضها عن عيون قصائده في الرثاء^٢ ؟

يظهر ان علاقة ابي تمام بآل حُميد كانت صداقة أكثر منها منفعة ؛ وكانت إعجاباً بأعمالهم وإكباراً لحِفَظهم ، وقد كانوا لذلك أهلاً . وما قصيدة « كذا فليجل » سوى صورة لنفس محمد بن حميد ؛ نعرف ذلك من كتب التواريخ . روى ابن الأثير في أنخبار عام ٢١٤ هـ ما يلي^٣ :

« ... كمن رجال بابك بين الصخور ؛ فلما صار رجال محمد (بن حميد الطوسي) يصعدون في الجبل ، وصاروا على مقدار ثلاثة فراسخ ، انحدر بابك اليهم فيمن معه فانهمز الناس . فأمرهم أبو سعيد (الثغري) ومحمد بن حميد بالصبر فلم يفعلوا ، ومروا على وجوههم ، والقتل يأخذهم . وصبر محمد بن حميد مكانه وفر من كان معه غير رجل واحد . وسارا يطلبان الخلاص ، فرأى (محمد) جماعة وقتالاً ، فقصدهم فرأى الحرمية يقاتلون طائفة من أصحابه . فلما رآه الحرمية قصدوه لِمَا رَأَوْا عليه من حسن هيئته ، فقاتلهم وضربوا سيفه ؛ ثم اكبوا عليه فقتلوه » .

هذه هي الحادثة التي استحقت الخلود في قصيدة من قصائد ابي تمام فاذا هي^٤ :
كذا فليجل الخطبُ ، وليقدح الأمرُ ؛ فليس لعين لم يَفْضِ ماؤها عُذر .
ومن أجمل مقطوعات ابي تمام في الرثاء ثلاثة أبيات قالها في القائد الطائي جعفر الخياط ، هي (خ ٣٨٧) :

رَحِمَ الله جعفرأ ؛ فلقد كا (م) ن أبيأ ، وكان شهماً رحيماً .

(١) جعل امراء الشعر القصائد في مديح آل حميد ستاً (ص ١٧٦) ؛ ولم يذكر الدكتور

الاسود شيئاً من ذلك (ص ٣١) عند الكلام على ملحوي ابي تمام .

(٢) ديوان خ ٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ مرتين .

(٣) ابن الأثير ٦ : ١٦٨ - ١٦٩ في أيام المأمون .

(٤) راجع المختارات .

مثل الموت ، بين عينيه . والد (م) لَ ؛ فكلّا رَأه خَطْباً عظيماً .
ثم ثارت به الحميّة قِدماً فأمات العدى ، ومات كريماً !
وكثيراً ما يذهب شاعرنا الى ضرب الأمثال واستجماع الحكمة في الرثاء ،
كقوله في محمد بن الفضل الحِمَيري (خ ٣٥٣) :

جفّ دَرّ الدنيا ؛ فقد أصبحت تك (م) تال ارواحنا بغير حساب .
لو بدت سافراً أهينت ؛ ولكن شغف الناس حسنُها في النِقاب .
ان ريبَ الزمان يُحسن ان يُه (م) يدي الرزايا الى ذوي الاحساب !
او قوله في رثاء ابنين لعبدالله بن طاهر ماتا في يوم واحد (خ ٣٨٠) :

ان الفجیعة بالرياض ، نواضراً ، لأجل منها بالرياض ، ذوابلاً .
لهتفي على تلك الشواهد منهما لو أمْهلت حتى تكون شمائلاً^١ .
واذا رأيت من الهلال نموّه ايقنت أن سيصيرُ بدرّاً كاملاً !

* * *

لم يرث ابو تمام من الذين مدحهم الآ خالده بن يزيد بن مزّيد ، واسحق بن
ابي ربيعي ، وعبد الحميد بن غالب ، والآ بني حميد^٢ . وقد عزى ابا سعيد
الثغري بولده له^٣ . اما الذين رثاهم من غير هؤلاء الذين لم يمدحهم فبضعة عشر
شخصاً منهم أقارب بعض المدوحين . ولم يرث ابو تمام المعتصم بقصيدة مستقلة ،
بل ادخل رثاءه في تهنئة ابنه الواصل بالخلافة .

نمر في ديوان ابي تمام بطائفة من الأبيات رثى الشاعر بها بعض آله واخوانه ،
فاذا قرأتها لم تشك قط في أن الشاعر تسيل نفسه لوعة وأسى ، وان الاسى كان
من نفسه في قرارها . اما رثاؤه لغيرهم فكان قسم منه يشبه ما تقدم ويشفّ عن

(١) الرزايا جمع رزية : المصيبة . ذوو الاحساب : اصحاب الاعمال المجيدة .

(٢) الشواهد : العلامات ، الدلائل . الشائل : الخصال ، العادات .

(٣) ديوان خ ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٥٤ ؛ وراجع ايضاً رثاء بني حميد .

(٥) خ ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٥١ .

عاطفة متأصلة ، وقسم منه يشف عن عاطفة مكتسبة تكاد تعرفها من قوله في رثاء
خالد بن يزيد بن يزيد :

وكنّا جميعاً شريكَي عِنان ، رضيعَي لَبانٍ ، خليلي صفاء .

وكنّت اراه بعين الجلال وكان يراني بعين الإخاء^١ .

وكثير من شعره في الرثاء على هذا النمط ؛ وقد أجاد في سائر مرثياته اظهارَ
الأسى ، وان لم يكن يحسه احساسه في رثاء ولده الوحيد . اما انه « كان يتخذ موت
الميت سبباً ليعرب عن أحزان نفسه لأنه من اولئك الذين صحب الحزن نفوسهم^٢ » ،
فحكم يصيب هوى من نفوس الذين تعمقوا في دراسة ابي تمام ، ولكن يعترضهم
في سبيل اعتقاد ذلك قلة الرثاء في ديوان الشاعر . ثم اذا نحن كابدنا وجاهدنا
واستشهدنا لاثبات هذا الرأي لم نخرج بغير ما ألفناه عند جميع الشعراء المداحين
الرثائين من انهم يتصنعون الأسى احياناً ، وكان بعضهم يعد قصائد المديح والرثاء
قبل امد ، فاذا فوجئوا بإنعام على رجل او بموته لم يحتج احدهم الا الى بضعة
أبيات فيها اسم الممدوح او المرثي وفيها ذكر المناسبة ... ثم لنختم هذا البحث
بقول ابن رشيق : وابو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء^٣ .

٤ - العتاب

يختلف عتاب ابي تمام من عتاب ابي نواس^٤ . فان ابا تمام لم يعاتب الا على
تأخر رفقته ؛ لذلك كان من المنتظر ان تكون معاتباته كلها ، على قلتها^٥ ، في الذين
مدحهم . ولكن قد شذ له عن ذلك نحو ثلاث قطع : واحدة عاتب رجلاً
فيها في نبيذ - وهو رفقته ايضاً - واخرى عاتب فيها الحسن بن وهب لأنه يميل

(١) خ ٣٥٠، ٣٤٧ .

(٢) مردم ، شعراء الشام ص ٥٣ .

(٣) العمدة ٢ : ١١٩ .

(٤) ابونواس ٦٤ .

(٥) ديوان خ ٣٩٤ - ٤١٢ .

الى غلامه ، وثالثة في صديق قطعه ...

يتّبع ابو تمام في عتابه طريقته في مدحه فهو فيه خشن الملمس . والعتاب يحتاج الى نعومة ؛ وهو فظّ في سَوّقه ، والعتاب يحتاج الى مناسبة ؛ فشاعرا يقول مثلاً :
ابا دُلف^١ ، لم يبق طالب حاجة من الناس غيري ، والمحل جديد .
يسرك اني أبُتُ عنك مخيبا ، ولم يُرَ خَلَقٌ من جدّاك يخيب^٢ !
ولا اظنك تجهل مقام ابي دلف من ابي تمام وقصيدته فيه « على مثلها من أربع ملاعب » . وعتاب أبو تمام القاضي أحمد بن ابي دؤاد بقوله^٣ :

اعلم ، وانت المرء غير معلّم ؛ وافهم — جعلت فداك — غير مفهّم .
ان اصطناع المرء ما لم تُولِه مستكملاً كالبرّد ليس بمعلّم !
فعتابه ، على ما ابصرت ، منفّر يزيد في الصد ولا يبقي على الود ، الا ما كان من مثل عتابه لأبي سعيد الثغري ، وهو نادر ، نحو قوله :
انما البشر روضةٌ ؛ فإذا كا (م) ن ببذل فروضةٌ وغدير^٥ .
فاقسّم اللحظَ بيئتنا ، ان في الله (م) ظ لعنوان ما يُسجِن الضمير^٦ .

٥ - الوعيد والهجاء

يعاتب الشاعر الممدح تذكرة بصلته واستدرااراً ليديه ، فاذا قنط من نواله انقلب اليه بهجوه . الا ان نفرّأمن الشعراء يميلون في أول الأمر الى الوعيد والانذار قبل ان يخطوا الى الهجاء : يفعلون ذلك في اثناء مدح او عتاب . من هذا القبيل ما

(١) راجع ديوان خ ٣٩٥ .

(٢) آب : رجع

(٣) ديوان خ ٤٠٨ .

(٤) البرد : ثوب من حرير . معلّم : فيه علامات او نقوش . ليس بمعلم : قليل القيمة .

(٥) البشر : البشاشة وطلاقة الوجه ، المرور بالذين نلقاهم .

(٦) جن : ستر .

انتهى به ابو تمام قصيدتين له في مدح ابي المغيث الرافقي ^١ :

وكن كريماً تجدُ كريماً في مدحه ، يا ابا المغيث .
— وغداتين^٢ كيف غيب مدائحي ان ملن بي هممي الى بغداد .
ومن العجائب شاعرٌ ضاعت به همماته ، او ضاع عند جواد !

اما تعريضه في اثناء العتاب فمنه : (خ ٣٩٤ ، ٤٠٨)

وانك لا تسر بيوم حمد تسر به . ومالك لا يساء .
فان المدح في الأقوام ما لم يشيعُ بالجزاء هو الهجاء .
— سأقطع ارسان العتاب بمنطق قصيرُ عِناء الفكر فيه طويلُ
وان امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غيره لبخيل .
أفتشك بعد ذلك في ان هذا تحفُّزٌ للهجاء ؟

تناول الشاعر بهجائه نحو عشرين شخصاً فيهم ستة أشخاص كان قد مدحهم ؛
منهم عياش بن لهيعة ، وقد اختصه باثنتي عشرة قطعة قال واحدة منها بعد موته ؛
ومنهم ابو المغيث الرافقي هجاء بخمس مقطعات ؛ وله قطعة قطعة في مالك بن
طوق ، وصالح بن عبدالله الهاشمي واسحق بن ابراهيم المصعبي . وقبل عرض بهجاء
احد بني حميد ولم يهجه لمكان اسرته .

اصطدم ابو تمام بشعراء كثيرين في مصر وفي العراق بعضهم مشهور كدعبل
ومحمد بن ابي يزيد ، وبعضهم اقل شهرة . وهناك بضع قطع أخرى في اشخاص
مختلفين .

• • •

لا أعتقد ان أبا تمام نال بهجائه مثلاً قريباً أو بعيداً ، فبعض شعره في هذه
الناحية عادي ، وسائرهُ أدنى مرتبة . انه لم يتبع طريقاً معروفاً يصل به الى
غايته فهو لم يعمد الى ما يترك هجاءه اعلى بالقلب والصق بالنفس وأسرع الى الحفظ ؛

(١) ديوان خ ٦٧ ، ١٣٥

ولا بلغ به من الحقيقة والمرارة ما يوجع حقاً ، وان كان قد افحش وأقذع في بعضه . لذلك ترى كثيراً من هجائه اشبه بالمديح ، حتى انه لو كان مديحاً لما انحطّ عن شعره الراقي . تأمل ذلك في هجائه عتبة بن ابي عاصم ^١ :

دِمْنٌ تَجْمَعُ النوى في رَبْعِها وتفرقت فيها السحاب الفُرُقُ ^٢ .
ففرقت عيني دماً فيها الى ان خيلت مهجتي التي تترقّق .
هيممُ الفنى في الأرض اغصان المني غُرست ، وليست كل حين تورق .
فهذه من أعلى طبقات المعاني . ولكنها لا تصلح في معرض هجاء . ومثل ذلك قوله ^٣ :

يكفيك حزناً أنْ عَقَلْكَ ذاهب يبكي عليك . وان جهلك يضحك !
ويندر في ديوانه مثل قوله في عياش بن لميعة ، هجاء يطويه على تهكم صحيح ومعان قريبة وصور بارعة ^٤ :

صدق مقالته ان قال ، مجتهداً : « لاوالرغيف ! » فذاك البرُّ من قسمه ^٥ .
وان هممت به فافتيتك بخبزته ؛ فانها قطعة من لحمه ودمه .
قد كان يعجبني . لو ان غيّرته على جرّادقه كانت على حرّمه ^٦ !
هذه احدى نواحي هجاء ابي تمام لأن له في الاقذاع بضاعة غير قليلة ^٧ .
ولكن هذه البضاعة ليست في الدواوين التي بين ايدينا فقد أغفل الحياط ما يمس

(١) ديوان خ ٤٩٩ .

(٢) « اماكن كثر فراق اهلها مرة بعد مرة منذ زمن طويل .. »

(٣) ديوان خ ٥٠١ .

(٤) ديوان خ ٥٠٦ .

(٥) البر (بالضم) : القمح . يقول : عياش بن لميعة يقدر البر (القمح ، الطعام) قدراً عظيماً ويقدمه حتى أنه يقسم به .

(٦) الجرّدة : الرغيف . الحرم بضم ففتح جمع حرمة بالضم : الاهل ، الزوجة ، المرأة ...

(٧) لقد غفل الحياط فاثبت في نسخته ابياتاً تلمح فيها الاقذاع لمحا لاشك فيه . راجع ص ٤٨٦ س ٧ ،

٤٨٨ ؛ ٤٩٥ هجاء عبدالله الكاتب ؛ ٤٩٣ س ١٥ - ١٨ ،

الآداب ١ ، وكذلك لا نطمع ان نراها في « شرح ديوان ابي تمام » ٢ .

٦ - الوصف

يجب ان نقسم هذا البحث قسمين : الوصف الخالص اي الذي قيل في الوصف خاصة ، والوصف الذي جاء في اثناء المديح . ثم يجب ان نعلم ان باب المديح وان اسلوب ابي تمام فيه يغلبان على كل باب من ابواب الديوان .

تجيش نفس ابي تمام بصورة من صور الطبيعة او بمشهد من مشاهد الاجتماع فلا يكاد وصف ذلك يخرج من فيه الا مقيداً بالصناعة اللفظية ، ممزوجة بعناصر من الشكوى والفخر وما اليهما ؛ فوصفه هنا حقيقة ولكن بلا ألوان جذابة ولا صدق في النقل عن الطبيعة . فمن ذلك قوله في غمامة ممطرة ٣ :

كاشيعة ألتفتت على النقيب . آخذة بطاعة الجنوب ٤ .
لما بدت للأرض من قريب تشوقت لوبلها السكوب ٥
تشوق ٦ المريض للطبيب ، وطرب المحب للسحب ؛
لذيذة الريق مع الصبيب . كأنما تهمني على القلوب ٦ !

(١) ديوان ٤٨٥ .

(٢) للدكتور . الاسود ، راجع ص ٣١ ؛ ولم يصل طبع ديوان ابي تمام بعد الى باب المهجاء .

(٣) ديوان خ ٤١٤ .

(٤) الشيعة : أتباع مذهب اسلامي يقال له المذهب الامامي أو المذهب الاثنا عشري . يرى الشيعة أن الإمام علياً ، كرم الله وجهه ، كان يجب أن يكون الخليفة الاول بعد الرسول مباشرة وأن تستمر الخلافة بعده في عقبه . وهم يعملون هذا الرأي أصلاً من أصول المذهب . النقيب : نقيب الاشراف العلويين : منصب أحدث في العصر العباسي ، وصاحبه هو الرئيس الديني للشيعة (يريد أن يقول : ان هذه النعمة متراكمة كثيفة مجتمعة كما يجتمع الشيعة حول نقيبهم) . آخذة بطاعة الجنوب : مطيعة للريح الهابية من الجنوب ومتجهة من الجنوب الى الشمال (ملوثة بالمطر) .

(٥) تشوق : اشتاق ، مال برغبة شديدة . وربما كانت الكلمة « تشوق » : تطلع وتطول لينظر .

الويل : المطر الغزير . السكوب : المنصب باستمرار .

(٦) لذبة الريق : طيبة (تشربها الارض بسرعة مع الصبيب : مع كثرة انصبابها وهطولها =

اما النوع الثاني فصور بلا حقيقة ابداع فيها الشاعر لِمَا رَقَشَهَا به من الجناس والطباق وبعيد التشبيه او قريب الاستعارة تبعاً للقصيدة التي استقرت فيها، كوصف لِحمر أو وصف القلم خاصة فإنّ فيه شيئاً من الحقيقة في كثير من بعيد الخيال ولطيف التجنيس .

وأما الاوصاف التي يجيدها شاعرنا فأوصاف المعارك والحروب . هناك تشعر حقيقة ان شعور ابي تمام يغمرك ويستولي عليك فتتصل نفسك بنفسه . ولا بدع ان وصف ابو تمام معركة عمورية وأجاد، فلقد شاهدها بنفسه . واذا قرأت له وصفه الخيل في الحرب ^١ :

واذا كان عارضُ الموت سحاً خضلاً بالردى اجشّ هزيماً ^٢ ،
في ضرام من السوغي واشتعال تحب الجو منهما محموماً ،
واكتست ضُمّر الجياد المذاكي من لباس الهيجا دماً وحميماً ^٣
في مكرّ تلوكها الحرب فيه ؛ وهي مقورة تلوك الشكيما ^٤

= (لأن الأرض عطشى محتاجة الى المطر) . كأنما تهمني (تسقط) على القلوب : تدخل الاطمئنان على القلوب لثقة القلوب بأن تلك النعمة ستقضي على القحط وتأتي بالخصب .

(١) ديوان خ ٢٩٣ .

(٢) العارض : السحاب المقبل . عارض الموت : هول المعركة . سحاً : غزيراً متصلاً (شديداً) .

خضلاً : مبتلاً (المعركة تحمل معها موتاً أكيداً للذين فيها) أجشّ : خشن الصوت (ذو رعد قوى = يدخل الرعب على القلوب) . الهزيم : صوت الرعد الشديد الذي ينبجس معه

المطر من النسيم (يقصد : هذه المعركة تحمل الى المحاربين الخوف الشديد مع الموت الاكيد) .

(٣) الجياد جمع جواد : الحصان . الضمر جمع ضامر : التحيل الحصر ، وفي القاموس (٢ :

٧٦) الضامر : الفرس الدقيق الحاجبين . المذاكي من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها (بعد

جراحها التي أصيبت بها في المعارك) سنة اوستنان (كناية عن اختبارها في الحرب) . الحميم :

الماء الحار (العرق المنصب من الخيل) .

(٤) مكر : مجال الهجوم في المعركة . تلوكها الحرب فيه : تملكها (الخيل تحارب في مكان ضيق

والسلاح يعمل فيها تقطيعاً فكان الحرب تملك المتحاربين بأضراس لها) . مقورة : منتنية على

نفسها (لضيق المكان) . تلوك الشكيم : تملك (تعض على) الشكيم (الحديد التي في

طرف الالجام والتي تكون في فم الحصان) كناية عن الفضب والشدة في القتال) .

ايقت انك ترى تلك الجياد تخوض الغمار امام عينيك وقد ضاقت حومة
الوغى بالفرسان وصبر الفريقان ، والموت يتناول الأبطال غير آبه للنتيجة !..

وصف القلم

من قصيدة يمدح ابو تمام فيها محمد بن عبد الملك الزيات^١ :
لك القلم الأعلى ، الذي بشباته
تُصاب ، من الأمر ، الكلّي والمفاصل^٢ .
لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ ،
وأرْيُ الجنى أشتارتهُ ايدٍ عواسل^٣ .
له ريقة طلٌّ ، ولكنَّ وقعها ،
بآثاره في الشرق والغرب ، وابل^٤ .
فصيحٌ اذا استنطقته وهو راكب^٥ ؛
واعجمٌ ان خاطبته وهو راجل .
اذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ ، وأفرغت
عليه شعابُ الفكر وهي حوافل^٦ ،
اطاعته اطرافُ القنا ؛ وتقوّضت
لنجواه ، تقويضَ الخيام ، الجحافل^٧ .

(١) راجع ص ٢٥٧-٢٥٨ (٢) الشاة : الحد ؛ اصاب الكلّي والمفاصل : احكم الاصابة .
(٣) اللعاب : الريق ؛ الارى : العسل ؛ الجنى : القطف او ما يقطف ؛ اشتار : استخرج
العسل خاصة ؛ العواسل : المستخرجة للعسل - ان قللك ينفث مرة سماً ، ومرة يأتي بالشهد والعسل .
(٤) ريقه طل : قليل الرطوبة (بالجبر) ولكن اثره وابل (مطر شديد) .
(٥) اذا ركب الاصابع (تناولته الاصابع) كان فصيحاً (كتب الانسان ؛ ونظم الشعر الخ)
(٦) صورة لتناول القلم بالاصابع وتزاحم الافكار في رأس الاديب وهو يكتب .
(٧) الاوامر التي تصدر مكتوبة الى الآفاق تعليمها الرماح (تبدأ الحرب او تنتهي) ، وبها تتقوض
(تنهزم) الجحافل (الجيوش) .

إذا استعززَ الذهنَ الذكيَّ وأقبلت اعالیه ، فی القرطاس ، وهي أسافل^١ ،
وقد رفذته الخنُصران ، وسددت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل^٢ .
رأيتَ جليلاً شأنهُ ، وهو مُرْهَفُ ضنًى ؛ وسمينا خطبُهُ وهو فاحل^٣ .

٧ - الغزل والنسيب :

لا ريب في ان هذا الباب في ديوان ابي تمام ادنى فنونه مرتبة عن مستوى مديحه . « ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وإنما يقع له التافه اليسير في خلال القصائد »^٥ لما علمت من خصائصه واسلوبه . وإذا كانت الصنعة قد اكسبت مديحه فخامة واصابة مرمى فانها قد افسدت وصفه وغزله ونسيبه . وسواء عليك أرايتَ غزله البحت او غزله في ثنايا المديح . فانما الذي يروحك منه تلك التشايبه والاستعارات التي قنص بها معانيه الغريبة ، أما العاطفة فلا . وأحسن الغزل ما أثار العاطفة لا ما أجهد العقل .

* * *

لأبي تمام غزلان : مؤنث يكاد يقصره على مطالع قصائده في المديح ؛ ومذكر لا تكاد ترى سواه في باب الغزل عنده . فهو اذن ، ان تكلف الغزل أتى به مؤنثاً لقبح الغزل المذكر في المدائح ؛ وان جرى على هواه اكثر من الغزل المذكر حتى تنكر ان يكون سبيله غير ذلك . وكيفما قلبت في غزله الخالص فلا ترى فيه سوى شهوة تحرقه يودُّ أن لو يطفئها عند كل حبيب . وكل عزة نفس في حياته العامة وفي مديحه يضيعها في حياته الخاصة وفي غزله . لم يُعرف ابو تمام بحبيبة لها اسم معين ولا عُرِفَتْ له من لها اسم معين . وكذلك

(١) إذا استعان القلم بالذهن ثم انحى على الورق .

(٢) رفذ : سند

(٣) رأيت امره عظيماً مع انه هو قصبة دقيقة (رقيقة من السقم) .

(٤) راجع الفرق بين الغزل والنسيب في « ابو ذؤامس » للمؤلف (منشورات الشرق الجديد ،

اعلام الفكر العربي ، رقم ٤) ص ١٣٦ .

(٥) العمدة ٢ : ٩٥ .

نجد في غزله المذكر بضعة اسماء له نحو اصحابها عاطفة عارضة لا تلبث ان تستقر حتى تنتقل ثائرة تبحث عن هو جديد .

اما نسيه . او غزله ايضاً ، في اثناء ابيات المديح فيجب ألا نشك ساعة في انه صناعة اكثر منه عاطفة ؛ وان كان يستهويك كقوله ^١ :

السالبات امرأ عزيزته بالسحر ، والنافثات في عُقْدِه ^٢ .

ليسْ ظِلِّينِ : ظلّ امنٍ من الدهر ، وظلاً من لهوه ودّده ^٣ .

أو قوله ^٤ :

— كأن الدمع يُنثر من نظام على تلك المحاجر والحدود ^٥ .
تريدن المزيد ؛ وليس عندي —

وراء محل حبك — من مزيد !

ومع انه لم يحسن النسيب فقد أحسن التخلص منه الى المديح احياناً .

واذا كانت اخلاق ابي تمام على ما ذكرنا فمن البديهي ان يكون له مُجون .
سوى ان ناشري ديوانه قد اهملوا ذلك البتة ^٦ .

نموذج من غزله

لا آكلُ التفاح ، عمري ، ولو جنيته لي من جنانِ الخلود ^١ .

(١) ديوان خ ٩١ .

(٢) النافثات في العقد : الساحرات . كانت الساحرة تمسك خيطاً بيدها وتتمنى ما تشاء ان يصيب المسحور من ضرر ثم تعقد في الخيط عند كل امية لها عقدة وتنفث فيها (وتنفخ عليها) .
راجع القرآن الكريم ايضاً (سورة الفلق ، السورة ١١٣) .

(٣) الدد : اللعب .

(٤) ديوان خ ١٠٨ .

(٥) يشبه الدموع المنحدرة على الحديد كاللؤلؤ الذي ينتثر اذا انقطع النظام (الخيط الذي يسلك فيه اللؤلؤ) . المحجر (موضع العين في الوجه) .

(٦) ديوان خ ٤٨٥ .

والله لا أتركه للقلى : لكنني اتركه للخدود !

* * *

عَقَّتْ محاسنه عندي ١ إساءته ، حتى لقد حَسُنْتُ عندي مساويه .
هذا مُحِبُّكَ أدمى الشوقُ مهجته ؛ فكيف تُنكر ان تَدْمى مآقيه ؟

* * *

اي شيء يكونُ احسنَ من صب اديب مُتَيِّمٍ بأديب ؟
كادَ ان يكتُبَ الهوى بين عينيه ه كتاباً : « هذا حبيبُ حبيب ! ٢ »
غيرَ أني لو كُنْتُ اعشَقُ نفسي لتَنَغَّصْتُ عيشها بالرقب .

* * *

قد قَصَرْنَا دونكَ الابصار خوفاً ان تَدُوبَا .
كلما زِدْنَاكَ لحظاً زِدْنَا حُسناً وطيباً .
مرضتُ الحَظَّ عينيه ك فأمرضتُ القلوبا .
ما نُريدُ الشمسَ والبدر ر اذا كنت قريبا ؟

* * *

اجعلي في الكرى لعيني نصيباً ، كي تنالَ المكروهَ والمحجوبَا .
أشركي بين دمعِ عيني ونومي ، واجعلي لي من الرُقَادِ نصيباً .
كُنْتُ أهوى البيضَ الحسانَ ، فقد اصبح حُبِّي عن غيرها محجوبَا .
قربتها المني ، وباعدتها النأ ي ، فأضحت مني بعيداً قريبا .
ان تكن مقلتي ، اذا غبتِ ، تستو لي عليها الدموعُ (حتى تَوُوبَا) .
فلکم نظرة ، تُسرَّ بهما من لك ، لها روعةٌ تشقُ القلوبا .

(١) في كتاب الزهرة (ص ٥٤) : عمت محاسنه عني .

(٢) حبيب الاول : محبوب ؛ والثانية اسم ابي تمام .

الحكمة :

كُونْ حَكَمَةً أَبِي تَمَامٍ ثَلَاثَةُ أُمُور :

أ - علمه وسعة اطلاعه ،

ب - كثرة تجواله ،

ج - الثقافة الراهنة .

فأما علمه وسعة اطلاعه فقد مكّنه من ان يحيل فكره في تراث الأولين وآراء الشعراء فيستخرج أحسنها ، او يصقل بعضها او يشتق منها نواحي جديدة . من أجل ذلك اتهمه الأملدي بسرقات كثيرة ^١ . والحق ان ابا تمام حاول ان يزيد هذه المعاني التي أخذها إما بالغوص على أوجهها ، او بكسوتها من الصنعة حلة مجيدة ، وقد احسن في كثير منها : وبعض حكم أبي تمام تجري مجرى الأمثال . ولعلّ الأبيات التي تضرب أمثالاً من شعر أبي تمام لا تقل في عددها عن الأبيات التي تضرب أمثالاً من حكم المتنبي ^٢ ، مع العلم بأن أبيات المتنبي الحكيمة أشهر في الآفاق وأسير على الألسنة . ومع أن أبا تمام لم يعيش سوى ثلاث وأربعين سنة قمرية (١٨٨ - ٢٣١ هـ) ، فانه بلغ من النضج مبلغاً عظيماً مما جعل حكمه تقع موقع الصواب وترزق شيئاً من السيرة على الألسن . فمن حكمه الجياد المشهورة :

| | |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| واذا تأملتَ البلاد رأيتها | تُثري كما تُثري الرجال وتُعدم . |
| - فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد ، | ولا المجد - في كف امريء - والدراهم . |
| - لاشيء ضائرٌ عاشقٍ ؛ فاذا نأى | عنه الحبيب فكل شيء ضائره . |
| - اني تأملت النوى فوجدتها | سيفاً على صبر الهوى مسلولا . |
| - ما ابيض وجه المرء في طلب الغنى | حتى يسود وجهه في اليد . |
| - ومما كانت الحكماء قالت | لسان المرء من خدام الفؤاد . |

(١) الموازنة ص ٢٣ - ٥٤ ، راجع ص ٤٧ .

(٢) راجع اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٣ . وقد جرد محسن الامين عدداً كبيراً من حكم ابي تمام وامثاله (اعيان الشيعة ١٩ : ٢١٤ - ٢٣٠) .

- وقد تألف العين الدجى وهو قيدها ،
 - لا تنكري عطّل الكريم من الغنى
 - وزعمت ان الرزق يطلب اهله
 - اذا عُنيت بشأؤ قلت إني قد
 - ما آب من آب لم يظفر بخاجته ،
 - وارجى شفاء السم والسم قاتل .
 - فالسيل حرب للمكان العالي .
 - لكن بحيلة مُتعب مكدود .
 - ادركته ادركتني حرفة الأدب .
 - ولم يغب طالب بالنجح لم ينجب .
 ولا ريب أبدأ في أن هذا النوع اعلى انواع حكمه ، وأي حكمة تبلغ في اصابة
 المرمى وسهولة التعبير إلى قوله :

نقلُ فؤادك حيث شئت من الهوى : ما الحب الا للحبيب الأول !
 كم منزل في الأرض يألفه الفتى ، وحينيه ابدأ لأول منزل .
 فهذه تستحق ان تسير على وجه الدهر ، اذا استعملنا تعبير ابن رشيق . واما
 حكمه المستمدة من الثقافة الراهنة فكثيرة الصنعة كثيرة التكلف بعيدة عن اسس
 « المثل السائر » . لا يفهمها الا النحاة ، أو الفقهاء ، أو العلماء او الفلاسفة .
 ومن أجل ذلك ايضاً كان يُتهم بقول ما لا يفهم كقوله في الخمر مضمناً اشارة
 نحوية :

خرقاءُ يلعب بالعقول حبايها كتلاعب الأفعال بالاسماء :
 وقوله في العطاء ، وفيه إشارة الى آي من القرآن الكريم ١ :

الود للقريبى ، ولكن عُرِفهُ للأبعد الأوطان دون الاقرب .

وعندي ان هذه لا تدعى حكمة ولكنها مجازاة لزمن شهد الثقافات المختلفة
 من عربية اسلامية او فارسية ويونانية وهندية فأراد ان يقيده معرفته لها بأبيات
 شعره : فكان يضربها أمثالا . ولكنه لم يصب دائماً .
 غير ان من أحسن اقواله في الحكم واختراعه في المعنى قوله الذي اكتسبه
 من اختباره الخاص لا من الثقافات الشائعة ، والذي ساقه في ألفاظ فصيحاً

(١) الشورى (٤٣) : ٢٣ ؛ البقرة (٢) : ٨٣ ، ١٧٧ ، النساء (٤) : ٣٦ ؛ وغير هذه .

وتراكيب سهلة جداً ، بالإضافة الى أسلوبه العام ، فأكسبه بذلك سيرورة على الألسن :

— واذا اراد الله نشرَ فضيلة طُوِيَتْ ، اتاح لها لسانَ حَسود .
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبُ عَرَف العود^١ .
— وطول مقام المرء في الحَي مُخلَق لديباجتيه . فاغترب تنجدد^٢ .
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس . ان^٣ ليست عليهم بسرمد .
— لا تنكري عطل الكريم من الغنى .

فالسيل حرب للمكان العالي .
وتنظري خبب الركاب ينصّها محيي القريض الى مميت المال^٣ .
— ليس الغي بسيد في قومه ، لكنّ سيد قومه المتغابي^٤ .
— سكن الكيد فيه ، إنّ من أء ظم لارب ألاّ تُسمى اريسا^٥ .
— واذا رأيت من الهلال نموّه أيقنت أن سيميرُ بدرأ كاملاً .
— ينال الفنى من عيشه وهو جاهل ، ويكدي^٦ الفنى في دهره وهو عالم .
ولو كانت الأرزاق تأتي على الحجي هلكنّ ، اذن ، من جهلهن البهائم .
— أولى البرية حقاً أن تؤاسيه وقت السرور الذي واساك في الحزن .

(١) العود خشب ذكي الرائحة (له رائحة طيبة شديدة) .

(٢) راجع شرح البيتين في المختارات .

(٣) لا تستغري أن يكون الكريم فقيراً ، فان السيل يجرد رؤوس الجبال من التراب ويجمع ذلك التراب في الاودية (شبه الرجل الكريم بالجبل العالي بين قومه وبين الناس ، ثم شبه السائلين وطالبي الحاجات بالسيل لكثرةهم وتبايعهم) . ولكن انتظري الغنى لي ولك حينما تغب (تركض) بي الركاب (الابل) ينصّها : يجهدّها في السير والسر . محيي القريض : باعث الشعر (أقدر الشعراء ، يقصد الشاعر نفسه) . مميت المال : باذل المال بكثرة (أكرم الكرماء) .

(٤) المتغابي : المتظاهر بالغباء وهو شديد الذكاء .

(٥) الارب (يكسر الحزمة وسكون الراء) : الدهاء .

(٦) يكدي : يفتقر .

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الحشِن^١ .
وبدأ الجرجاني مقدمته في كتاب « الوساطة » بالكلام على التنافس والتحاسد
والتحامل فلم ينكرها ، بل عدها من أسباب ما يكشف عن الفضل ويلفت النظر اليه .
ثم ذكر قول ابي تمام - من غير ان يذكر أبا تمام - :

وإذا اراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حمود !
واتبع هذا البيت بقوله : « صدق ، والله ، وأحسن ! »

ثم علق على هذا كله بسبعة أسطر شرح فيها المعاني التي تدور في فلك هذا
الموضوع والتي أوجزها ابو تمام كلها في بيت واحد^٢ .

الزهد

كان الشاعر احياناً - أما في العصور المتأخرة فدائماً - ينظم في ابواب الشعر
من جميع البحره وعلى جميع قوافيه . فاذا رأينا زهداً لأبي تمام فليس معنى ذلك انه
تزهد ، فهو لم يبلغ السن التي تلجىء الانسان الى أن يحاسب نفسه على اعماله السالفة ،
فقد مات في أوائل كهولته او في اواسطها على اكبر تقدير . ولم نعلم عارضاً اتفق
لابي تمام يدفعه الى الزهد كما كان شأن ابي نواس . وليس لابي تمام في هذا الباب
جيد ولا جديد .

وأما الأبيات الستة والأربعون التي اثبتتها الخياط^٣ فهي ركيكة جداً لا يعقل
ان تصدر عن مثل ابي تمام كقوله (ديوان خ ٤٨٣) :

وأخلص^٤ لدين الله صديقاً ونية ، فان الذي تخفيه يوماً سيظهر .
فلا بد يوماً ان تصير لحفرة بأثناها تطوى الى يوم تنشر .

(١) الموطن الحشِن : أيام الضيق والفقر .

(٢) الوساطة ١ .

(٣) ديوان خ ٤٨٢ - ٤٨٤ .

ومن كلام أبي تمام على كهولته ^١ وانتشار الشيب في رأسه ^٢ مما دعا الغواني إلى
النفرة من بعد طول الانس ^٣ :

جرت في قلوب الغانيات لشيبتي قشعريرة من بعد لين وإيناس ،

نرى انه قال هذه الابيات القليلة في أواخر ايامه ، وإن كان اسلوبها يدل على
انها يجب ان تكون من أول عهده بمعاناة الشعر . على ان الذي لا شك فيه ان
اسلوب هذه الابيات ركيك جداً بعيداً عن اسلوبه في آخر حياته الأدبية وفي
مطلعها .

* * *

هذا مجمل ما يمكن ان يقال في شاعر ملأ عصرأ ، وترك بعده دويأ ؛ شاعر
مثل الاسلام والقومية أجمل تمثيل ، ووقف ديوانه على جلو عظمتها الحق في
شعر متين .

حق لشعر ابي تمام ان يُحب فهو شعر مملوء بالمعاني ، مزدحم بالصور
الجميلة ، مرصوف رصفاً متقناً يدل على براعة لم يظفر بها كل شاعر ؛ بل لم
يظفر بها احد سوى حبيب بن اوس . انك لا تجد قصائد ابي تمام مزجاة ترفض
ايماناً جوفاء عن معان تافهة ؛ ولا اصواتاً مختلفة عن افكار غير مؤتلفة .

قد لا يطيب لك ان تحمل ديوان ابي تمام في نزهك ، او ان تقرأ منه في
سمرك ؛ ولكن اذا اعتزلت ضوضاء العالم ، وترفعت عن سفساف السوق ،
ومحاصر الجهال ثم اردت ديوان شعر تُسرح طرفك في آياته وفكره في ارجائه
فليس لك الا بضعة دواوين ، احدها — وقد يكون اعظمها شأنًا في ذلك — ديوان
ابي تمام .

(١) ديوان خ ٣٨٤ ، البيت ١٥ .

(٢) ديوان خ ٤٨٣ البيت ١٤٧٠٥ .

(٣) ديوان خ ٤٨٣ .

قد يأنف بعض الناس من مجالسة السوقه والشطّار والعيّارين كي يميز نفسه منهم امام الناس ولكنه يشركهم في كل ما يميلون اليه من لهو وحديث وقصص . فهو من أجل ذلك على الحقيقة منهم . تربطه بهم آصرة الذوق . وتلفه بنبعتهم علاقة النشأة الأولى . ومن الناس من لا يستسيغ شعر ابي تمام واضرا به احتجاجاً بصعوبته وتعقيدته ؛ ولو نسب ذلك الى تنافر الفطرة ومعاصاة الفكرة لكان قوله أقرب الى الصواب . وأجدر بالاعتبار .

مَخَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

مديح عبد الله بن طاهر

تولى عبد الله بن طاهر الشام للمأمون (٢٠٥ - ٢٠٧ هـ) ثم تولى السري (٢٠٧ هـ). وفي الخامس من المحرم من سنة ٢١١ (١٧ - ٤ - ٨٢٦ م) تولى مصر الى أن عينه المأمون على خراسان في رجب سنة ٢١٣ (خريف ٨٢٨). ولما اشتدت ثورة بابك الخرمي، وجه المأمون عبد الله بن طاهر الى قتال بابك (٢١٤ هـ).

ويبدو أن هذه القصيدة كانت أول قصيدة مدح أبو تمام بها عبد الله ابن طاهر (خ ٤٣ - ٤٦، ت ١ : ٢٢٣ - ٢٣٩) :
أهْنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبهُ ! فَعَزَّماً ! فقيماً أدرك السُّؤالَ طَالِبُهُ ١٠.

(١) العوادي جمع عادية : العدو ، المعتدى ، المبتدئ بالعداوة . والعدى والعادية في القاموس (٤ : ٣٦٠ ، السطر الثالث) : جماعة القوم يعدون (بفتح الياء وسكون العين : يركضون يسرعون) لقتال ، أو أول من يحمل (يهجم) من الرجال . يوسف : يوسف بن يعقوب ، والاشارة الى يوسف هنا وقعت على ما ورد من قصة يوسف في القرآن الكريم (السورة الثانية عشرة). الصواحب جمع صاحبة : الصديقة ، المحبة ، المتحبة . عزما : ثباتاً على ما تطلب ! قدماً : في الزمن القديم ، طالما . السؤل : المطلب . - يقول : هؤلاء اللواتي يتعرضن لي (من مصائب الدهر ومغرياته) يشبهن عوادي يوسف (عدواته على الحقيقة) وصواحيبه (المتحبات اليه ، وهن في الواقع أيضاً عدوات له ، لأنهن يردن منه ما يفضب الله) . =

إذا المرء لم تستخلص الحزم نفسه
 أعاذلي ، ما أحسن الليل مركباً !
 ذريني واهوال الزمان ، أفانها !
 ألم تعلمي ان الزمّاع على السرى
 دعيني على اخلاقي الصّمّ للشي
 فإنّ الحسام الهيندواني إنّما
 وقلقل نأى من خراسان جأشها
 فذروته للحادثات وغاربه ١ .
 وأحسن منه في الملمات راكبه ٢ .
 فأهواله العظمى تليها رغائبه ٣ .
 اخو النّجح عند الحادثات وصاحبه ٤ .
 هيّ الوقر ، أو سرب ترن نوادبه ٥ .
 خشونته ما لم تفلل مضاربه ٦ .
 فقلت : أطمئني ، أنضر الروض عازبه ٧ .

* * *

= والمعزة في أول البيت زائدة وليست للاستفهام . فاصبر فقد طالما أدرك الصابرون المثابرون
 من أولي العزم ما كانوا يطلبون .

(١) استخلص الرجل الحزم : بت في الأمور بمزيمة وحكمة معاً . فذروته (رأسه) للحادثات
 (للمصائب) وغاربه (كتفه) : فإن أمره جميعاً سيؤول الى الخيبة وسيؤدي به ذلك الى
 التلف والهلاك .

(٢) العاذلة : التي تلوم الانسان على فعل لا يرضيها . ما أحسن الليل - مركباً : ما أشق (أصعب)

السفر في الليل (كناية عن الزمن الشديد القاسي) . الملمات : الاحداث الشديدة والمصائب .

(٣) ذريني (دعيني ، اتركي) وأهوال الزمان (مع أهوال الزمان) أفانها (أقاتلها وأقتلها : أتغلب
 عليها واحداً بعد واحد) . تليها : تتبعها . الرغائب جمع رغبة : الامر المرغوب فيه .

(٤) الزمّاع (بفتح الزاي وكسرهما) : المضاع في الأمر . والزمّاع (بفتح الزاي) : الشجاع الجيد
 الرأي المقدم على الامور . أخو النّجح وصاحبه : الذي ينجح .

(٥) الأخلاق الصّم هي التي لا تسمع قول العاذل واللائم . للتي هي : حتى أنال التي هي
 الوفّر : الغنى . سرب ترن نوادبه : جماعة النساء يبكين في المأتم (الموت) . - ساصم سمعي
 عن كل لوم حتى أنال الغنى الذي أطلب أو أهلك .

(٦) خشونة السيف : مضاهة وشدة الضرب به (القطع والقتل) . تفلل مضاربه : يتشقق حده
 فلا يقطع كما ينتظر من السيف . - اتركي أهوال في السعي الى الغنى والمجد ما دمت
 شاباً (كالسيف الذي لم يتشقق حده بعد) .

(٧) قلقل نأى من خراسان جأشها : أقلق بعد خراسان قلب (امرأتى ، او عاذلي الشقيقة علي) .
 فقلت لها : اطمئي ، أنضر الروض (أحسنه واكثره عشباً) = أكثر تكسباً للمال بالشعر
 عازبه (البعيد عن المرعى لأنه لا يذهب اليه أناس كثيرون يقطعانهم - لا يذهب اليه شعرا
 كثيرون) .

وركّب كأطراف الأستة عرسوا
 لأمرٍ عليهم أن تتيمّ صدوره ،
 على كلّ رواد الملاط تهدمت
 رعتهُ الفيافي بعد ما كان حِقْبَةُ
 فأضحى الفلاقد جدّ في برّني نخضيه
 فكم جدّع وادٍ جبّ ذِروة غارب ،
 على مثْلِها ، واللّيلُ تسطو غياهبه ١
 وليس عليهم أن تتيمّ عواقبه ٢ ،
 عريكته العلياء وانضمّ حالِبُه ٣ ،
 رعاها وماء الروض ينهل ساكبه ٤ ،
 وكان زمانا قبل ذاك يُلَاعِبُه ٥ ،
 وبالأمس كانت أتمكته مَذانِبُه ٦

* * *

- (١) الركب : الجماعة المسافرين معاً . أطراف الأستة : نصال الرياح (الحديدة التي في رأس الريح) .
 عرسوا : قضوا الليل . على مثْلِها : على (ابل) مثل (أطراف الأستة) . تسطو غياهبه :
 يشتد سواده فيغطي على كل شيء . - كنا نحولا من طول السفر ومشاقه ، ومع ذلك فقد كنا
 نقضي الليل على ظهور الابل (بدلا من أن نزل مرة بعد مرة لننام ونأخذ قسطاً من الراحة) =
 كان سفرنا متصلاً ، وكذلك كانت الابل التي نركبها نخيلة من طول السفر ومشاقه .
 (٢) صدوره : أوائله . عواقبه : نهايته ، الغاية منه . - كنا في سفرنا الشاق نقصد أن نحقق
 هدفاً ، ولكننا لن نلام إذا لم يتحقق ذلك الهدف .
 (٣) رواد الملاط : متحرك أعلى الكتف ذات اليمين وذات الشمال في السير (وذلك من صفات
 الابل) . تهدمت عريكته العلياء : انخفض سنامه وذاب من السفر والتعب . وانضمّ حالِبُه ،
 يقصد : انضمّ حالِباه : قرب أحدهما من الآخر (كناية عن التحول والحوال) . والخالِب
 عرق في جانب البطن .
 (٤) رعتهُ الفيافي : اهزله السفر في الفيافي (القفار والاراضي الخالية) فكان الفيافي أكلت
 لحمه . الحِقْبَةُ : المدة من الزمن . رعاها وماء الروض ينهل ساكبه (يكثر فيه المطر) ،
 بعد أن كان قد رعى العشب في الاماكن المنخصة فسمن .
 (٥) وقد جدت الصحارى (لطول هذا السفر) في تذويب نخض (لحم) هذا الجمل . يلاعبه :
 يلعب فيه ويرتع (كان هذا الجمل من قبل يلاعب العشب في ذلك الروض لأنه كان شبعان
 لا يحتاج الى أكل ذلك العشب ، ثم هو مرتاح لايسافر احد عليه ، فكان يقضي وقته في ذلك
 الروض يلاعب عشبهُ .
 (٦) جدع الوادي : منعطفه ، طرفه . جب : قطع ، قص قطعة من الشيء . أتمك : أسمن . المذانب =

اليك جَزَ عَنَّا مَغْرِبَ الْمَلِكِ ، كَلَّمَا
فلو أن سَيَّرَ أَرْمَنَهُ فَاسْتَطَعْنَهُ
إلى مَلِكٍ لَمْ يُلْقِ كُلِّكَلٍ بِأَسِهِ
إلى سَالِبِ الْجَبَّارِ بِيضَةَ مَلِكِهِ ؛
وَأَيَّ مَرَامٍ عَنْهُ يَعْدُو نِيَّاطُهُ
وقد قَرَّبَ المرمى البعيدَ رجاؤهُ ،
وسَطَنَّا مَلَأً صَلَّتْ عَلَيْكَ سَبَاسُهُ ١ .
— لَصَاحِبِنَا شَوْقًا إِلَيْكَ — مَغَارِبُهُ ٢ .
على مَلِكٍ ، إِلَّا وَلِلذَلِّ جَانِبُهُ ٣ .
وَأَمَلُهُ ، غَادٍ عَلَيْهِ ، فَسَالِبُهُ ٤ .
عَدَا أَوْ تَقَلَّ النَّاعِجَاتُ أَخَاشِبُهُ ٥ .
وسَهَلَتِ الْأَرْضُ الْعِزَّازَ كِتَابَتِهِ ٦ .

= جمع مذهب (بكسر الميم وفتح النون) : ميل الماء . ~ رب سفر من طرف من
واد (نخوف) إلى طرف آخر يهزل جملاً كان بالامس قد سمن من خصب هذا الوادي .
ما يلاحظ أن أبا تمام قد كرر معنى واحداً في بضعة أبيات .

(١) جَزَع : قطع . مغرب الملك : الاقطار الغربية من الخلافة العباسية ، بلاد الشام في الأكثر .
وسطنا : أصبحنا في وسط ، وصلنا إلى . ملا : الأرض الواسعة . السبب : الأرض
القاحلة . صلت عليك سباسبه : شكرتك الأراضي التي كانت سباسب ثم أصبحت بفضلك عامرة .
(٢) لو كانت الأراضي تستطيع أن تسير لرافقتنا أراضي المغرب وجاءت معنا اليك إلى المشرق
لما سبق من احسانك إليها (كان عبد الله بن طاهر والياً على الشام وعلى مصر أيضاً — راجع
مقدمة القصيدة) .

(٣) الكلكل : الصدر . بأسه : بطشه .

(٤) الجبار : الملك العظيم . بيضة ملكه : عاصمة بلاده . والبيضة كل شيء يدافع صاحبه عنه .
أمله : الشخص الذي يأتي إليه يطلب معونة . غاد : آت باكراً (إذا جاء باكراً) . سالبه :
مستول على أمواله . — أنه بقوته وبطشه يسلب الملوك ممالكهم ، ثم هو حليم كريم إذا
جاءه في الصباح الباكر شخص عادي يطلب منه معونة يسيرة أعطاه كل ما يملك (فكانه
سلبه كل شيء يملكه) .

(٥) المرام : المراد ، الغاية ، الهدف . يعدو بالشيء : يتجاوز به عن قصده ، يصرفه عن قصده .
النياط : العلائق . تقل : تقطع ، وهنا معناها : تذلل . الناعجات : النياق السراع .
الاخاشب جمع أخشب : الأرض الغليظة . — ليس (في الأرض) مرام تقوم دونه العوائق
أو تهلك الأبل قبل أن تصل إليه يمكن أن يصرفنا عن البلوغ إليه (جميع أنواع العوائق ،
بعده المكان ووعورة الطريق وسوى ذلك لا يمكن أن يصرفنا عن زيارة عبد الله بن طاهر لمدحه) .
(٦) العزاز : الصلب من الأرض . الكتاب (هنا) : الجيوش . — رجاؤه (الثقة بكرمه)
قد قرب علينا كل بعيد ، كما أن جيوشه كانت قد ملكت جميع السبل وأمنها فأصبحت الاسفار
كلها سهلة على جميع الناس .

إذا انت وجهت الركابَ لقصدَه
جديرٌ بأن يستحييَ اللهَ باديًا
سما للعلی، من جانبیہا کلّیہما،
فنوّلَ حتی لم یجد من یُنیلَه ،
وذو یَقْطَأتِ مستمرٍ مریرُها
وأینَ یوجّهُ العزمَ عنهُ ، وانما
أرى الناسَ مِنهاجِ الندى بعد ما عَفَتْ
ففي کلّ نجدٍ فی البلاد ، وغائرٍ،
تبینتَ طعمَ الماءِ ذو أنتَ شاربه ١.
به ، ثم یستحيي الندی ویراقبه ٢.
سموّ عُبَابِ الماءِ جاشت غواربه ٣؛
وحارب حتی لم یجد من یحاربه ٤ .
إذا الخطبُ لاقاه اضمحلت نوائبه ٥.
مرائی الأمورِ المُشکلاتِ تجارِبُهُ ٦.
مَهایعُهُ المثلی ومَحَتَّ لَواحِبِهِ ٧.
مواهبُ منه ، وهي لیست مواهبه ٨.

- (١) ذو : الذي (بلهجة طیه ، وهي مبنية على السكون ، تلزمها الواو في جميع حالات الاعراب) . تبینت طعم الماء ذو أنت شاربه : أدركت أن الماء الذي شتربه عذب (قبل أن تصل الى عبد الله بن طاهر تعلم سلفاً أنك ستنال عنده حظوة وستنال منه خيراً كثيراً) .
(٢) بادیا : مبتدئاً . الندى : الكرم . يراقبه (يراقب الندى) : يخاف أن ينفضب الندى .
لم ينصب الفعل « يستحيي » في المرة الثانية لضرورة الشعر . — یخطر فی باله أن يدفع لسأله مبلغاً كبيراً جداً ثم يرى أن هذا إسراف قد یغضب الله . غیر أنه يرى بعد ذلك أنه إذا دفع أقل من المبلغ الذي خطر له أساء إلى الكرم والمروءة .
(٣) عباب الماء : الماء الكثير المتسع . جاشت : هاجت واضطربت . الفوارب : جمع غارب : ما علا من الموج .
(٤) نول : أعطى .
(٥) المريرة : الفتلة من الحبل إذا قتل فتلاً شديداً . ذو یقطات مستمر مریرها : هو دائم الیقظة . اضمحل : تلاشى .
(٦) مرائی جمع مرآة . — ان الحزم یوجب ألا یذهب أحد إلا إلیه ، وذلك لأن تجاربه واسعة جداً تعرف حلول جميع المشاكل (کأن تجاربه مرایا تظهر فيها الأمور على حقیقتها) .
(٧) عفا : احمى ، ذهب أثره . المهيع : الطريق الواسع المطروق (الذي یسير علیه الناس) .
المثل : الظاهرة المفضلة على کل شیء آخر . (مع الثوب : تهرأ وذهبت معالته) . الاحب : الطريق الواضح الظاهر . — أرى الناس منهاج الندى : دهم على طريق الكرم .
(٨) النجد : ما ارتفع من الأرض ، الهضبة . الغائر : ما انخفض من الأرض : الوادي (أي فی کل مکان) . مواهب لیست منه وهي مواهبه : أنواع من الإحسان لم یفعلها هو ولكن فعلها أناس تملوا فعلها منه ، فکأنها أصبحت من فعله هو .

لَتُحْدِثْ لَهُ الْآيَامُ شُكْرَ خَنَاعَةٍ
فَوَاللَّهِ ، لَوْلَمْ يَلْبَسِ الدَّهْرَ فَعَلَهُ
وَيَا أَيُّهَا السَّارِي فَسِرْ غَيْرَ حَازِرٍ
فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتِقَامِهِ
يَقُولُونَ : « إِنْ اللَّيْثُ لَيْثُ خَفِيَّةٍ ،
وَمَا اللَّيْثُ كُلُّ اللَّيْثِ إِلَّا ابْنُ عَثْرَةٍ »
تَطْيِبُ صَبَاً نَجِدَ بِهِ وَجَنَائِبَهُ ١
لَأَفْسَدْتَ الْمَاءَ الْقَرَارَحَ مَعَابِهِ ٢
جَنَانَ ظَلَامٍ ، أَوْ رَدَى أَنْتَ هَائِبَهُ ٣
عَلَى اللَّيْلِ ، حَتَّى مَا تَدِبَ عَقَارِبُهُ ٤
نَوَاجِذُهُ مَطْرَرَةٌ ، وَغَالِبُهُ ٥
يَعِيشُ فَوَاقِ نَاقَةٍ ، وَهُوَ رَاهِبُهُ ٦

• • •

وَيَوْمَ إِمَامِ الْمَوْتِ دَحْضُ وَقَفَّتِهِ ،
جَلَوَتْ بِهِ وَجْهَ الْخَلِيقَةِ ، وَالْقَنَا
وَلَوْ خَرَفَ فِيهِ الدِّينُ لِأَنْهَالِ كَاتِبِهِ ٧
قَدْ اتَّسَعَتْ ، بَيْنَ الضُّلُوعِ ، مَذَاهِبُهُ ٨

-
- (١) لتحدث له الأيام شكرًا : فلتشكره الأيام . شكر خناعة : أي وهي (الأيام) خناعة ، ذليلة ، مجبرة على هذا الشكر ، إذ لولاه لما كان كرم ولا كانت الأعمال المجيدة ، حتى أن فضله وإحسانه تعدى البشر إلى الموجودات كلها ؛ فطيب الصبا (الريح الشرقية) وطيب الجنوب (بفتح الجيم : الريح الجنوبية) من إحسانه هو أيضاً .
- (٢) القراح : الخالص الصافي . معابيه : معائب الماء .
- (٣) الساري : المسافر في الليل . حاذر : هائب ، خائف . جنان ظلام : قلب الظلام ، شدته .
- (٤) لقد صارت العقارب تهاب سطوة عبده بن طاهر فلا تخرج من أوكارها لا نهراً ولا ليلاً .
- (٥) يزعمون أن الأسد (الحقيقي ، الصحيح) هو الأسد (الذي يسكن) خفية (غابة كثيفة الشجر) ، وتكون له أنياب ومخالب مطرورة (محددة)
- (٦) والواقع أن الأسد الذي يستحق هذا الاسم هو الذي يذنب (وهو في ملك عبده بن طاهر) ثم يستطيع أن يعيش بعد ذلك فواق ناقة (مدة ما بين حلتين) ، يقصد « مدة يسيرة » . أن الخوف من عبده بن طاهر سيقتل ذلك المذنب من غير أن يتعرض عبده بن طاهر له .
- (٧) دحض : زلق (بفتح الزاي وكسر اللام) تزلق فيه القدم ، يصعب الثبات فيه . أمام الملك : للدفاع عن الملك . الكاتب : الكتيب (الرمل الكثير المجتمع) . - لو خر فيه الدين : لو انهزم فيه جند الخليفة . لانهاه كاتبه : لزال الدين كله .
- (٨) جلوت :بيضت . اتسعت مذاهب القنا (الرماح) بين الضلوع : كثرت الجراح الكبيرة الواسعة (كثر القتل) .

شَقِيَّتَ صَدَاهُ ، وَالصَّفِيحُ مِنَ الطَّلَى
لِيَالِي لَمْ يَقْعُدْ بِسَيْفِكَ أَنْ يُرَى
فَلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ ، مُحَقَّةٌ :
لِيُعْلَمَ أَنَّ الْغُرَّ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ ،
كَوَاكِبُ مَجْدٍ ، يَعْلَمُ اللَّيْلُ أَنَّهَا
وَبَايَاهَا السَّاعِي لِيُدْرِكَ شَأْوَهُ ،
بِحَسْبِكَ مِنْ نِيلِ الْمَرَاتِبِ أَنْ تُرَى
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بَرَبْعَكَ رَحْلَهُ

رُؤَاءُ نَوَاحِيهِ عَذَابٌ مَشَارِبُهُ ١ ،
هُوَ الْمَوْتُ ، إِلَّا أَنْ عَفْوَكَ غَالِبُهُ ٢ .
« الْإِذَا هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَاسِبُهُ » .
غَدَاةُ الْوَعْيِ ، أَهْلُ الْوَعْيِ وَأَقَارِبُهُ ٣ :
إِذَا نَجِمَتْ بَاءَتْ بِصُغُرٍ كَوَاكِبُهُ ٤ .
تَرْحُزُ قَصِيًّا ؛ أَسْوَأُ الظَّنِّ كَآذِبُهُ ٥ .
عَلِيمًا بِأَنْ لَيْسَتْ تُنَالُ مَنَاقِبُهُ ٦ .
فَقَدْ طَالِبْتَهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهُ ٧ .

(١) شقيت صداه (عطشه) : شقيت ما في نفسه ، بلغت أمنيته . والصفيح جمع صفحة (السيف العريض) . رواء نواحيه (قد كثر الماء السائل على أطرافه : أكثر القتلى في الأعداء) عذاب مشاربه : حلو ماؤه (أن انتصارك على بابك الخرمي أدخل السرور على النفس فكأنها بعد العطش تشرب ماء عذبا حلواً) .

(٢) لم يقعد بسيفك أن يرى هو (أي سيفك) الموت : لم يكن يمنع سيفك مانع من قتل بابك الخرمي (وقد سححت لك الفرصة إلا أن عفوكم غلب سيفكم) سوى أن عفوكم تغلب في اللحظة الأخيرة على قدرتك . - يرى : فعل مضارع مبني للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير مستتر يرجع إلى «سيفك» . هو : توكيد للضمير المستتر في «يرى» . الموت : مفعول به ثان حققه النصب . ولكن الموجود في النسخة المطبوعة (خ ٤٦ ، ت ١ : ٢٣٩)

الموت بالرفع . واطن أن الناشرين قد قدرا (بتشديد الدال) «هو» بمعنى «انه» . (٣) الفر جمع أفر : أبيض (ذو مجد وحسب) . آل مصعب : أسلاف عبدالله بن طاهر . غداة الوعي : يوم الحرب . آل الوغى وأقاربه : القادرون الأبطال في الحرب .

(٤) أن الليل نفسه يعلم أنه إذا برزت كواكب آل مصعب في المجد ، فإن نجومه هو تبدو صغيرة (مجد آل مصعب أبرز وأوضح وأشهر من نجوم الليل) .

(٥) الشأو : المضمار ، الغاية . ترحز قصيا : ابتعد عن منافسته .

(٦) يكتفيك من الفضل أن يعلم الناس أنك تعرف أن فضائل عبدالله بن طاهر لا تنال (ليس بإمكان أحد أن يصل إليها) .

(٧) إذا نزل إنسان عندك فقد أصبح واثقا من فوزه بما يطلب .

رثاء محمد بن حميد الطوسي^١

في سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) ، في أيام المأمون :

كذافاً لِيَجِلَّ الْخُطْبُ ، وَلِيَفْدَحَ الْأَمْرُ . فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُدْرُ^٢ !
تَوْفِيَّتِ الْأَمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ، وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّقَرِ السَّقَرُ^٣ .
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ . وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذَخِرُ^٤ .
وَمَا كَانَ يَدْرِي مُجْتَنِدِي جُودِ كَفِّهِ ، إِذَا مَا اسْتَهْلَتْ ، أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ^٥ .

* * *

إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَّلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَانْتَهَرِ الثَّرَ^٦ .

(١) راجع فوق ص ١٢٥-١٢٦ .

(٢) جل : عظم . الخطب : الشأن ، الأمر : الحادث ، الشأن . فدح :

ثقل حتى يعجز الإنسان عن حمله أو احتماله . - إذا لم تكن المصيبة عظيمة كمقتل محمد بن حميد الطوسي فلا يقال لها : خطب جليل أو أمر فادح . لم يفيض ماؤها : لم يكثر بكائها .

(٣) توفيت الآمال : فقد الناس الأمل في تحقيقها . وأضرَبَ المسافرون عن سفرهم الذي كانوا قد عينوه في ذلك اليوم وفي ما بعده .

(٤) كان مالاً حاضراً للفقير ، وثروة مجموعة للذين سيحتاجون في المستقبل .

(٥) وكان إذا طلب أحد منه مالا أعطاه مبلغاً كبيراً ينسيه أن في الدنيا فقراً .

(٦) اننا نحتسب في سبيل الله (نرضى ما شاء الله من موت محمد بن حميد) رجلاً عطلت له

سبيل الله (توقف الجهاد بعد موته). انتهر الثمر : أصبحت حدود البلاد الإسلامية مهددة

(غير محروسة) . الفج : الطريق الواسع . الثمر : المكان الذي يخشى منه هجوم العدو .

فَتَى ، كلما فاضت عيونُ قبيلة
 فتى دهره شطرانٍ فيما ينوبه :
 فتى مات ، بين الطعن والضرب ، ميتةً
 وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه
 وقد كان قَوْتُ الموت سهلاً ؛ فردّه
 ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كانما
 فأُثْبِتَ في مُسْتَنْقَعِ الموتِ رِجله ،
 غداً غُدوةً والحمدُ تسجُ رِداًه ،

دَمًا ، ضَحِكْتَ عنه الأحاديثُ والذِّكرُ ١ .
 ففي بأسه شَطْرٌ وفي جودِه شَطْرُ ٢ .
 تقومُ مَقامَ النصرِ إنْ فاتَه النصرُ ٣ .
 من الضرب ، واعتَلَّتْ عليه القنا السُّمُرُ ٤ .
 إليه الحِفاظُ المُرّ والخَلْقُ الوَعْرُ ٥
 هو الكفَرُ يومَ الرّوعِ ، أو دونَه الكفرُ ٦ .
 وقال لها : « من تحتِ أخمصِكَ الحشرُ » ٧ .
 فلم ينصرفْ الا وأكفأه الأجرُ ٨ .

- (١) فاضت عيون قبيلة دما : نزل بتلك القبيلة مصيبة . ضحكت عنه الأحاديث والذكر : واسى تلك القبيلة بنفسه وماله حتى يتحدث الناس بحسن أخلاقه وبكثرة كرمه .
- (٢) ينوبه : يصيبه (يتعلق به) . - نصف أيامه في الحرب (الانتصار على الأعداء) ونصف أيامه في الكرم والإحسان إلى الناس
- (٣) تقوم مقام النصر إن فاتته النصر : إن الميته النبيلة التي ماتها تعد نصراً أكبر من النصر العادي المألوف عند الناس .
- (٤) ذلك لأنه لم يسقط في المعركة قتيلًا إلا بعد أن تشقق حد سيفه وبعد أن تكثرت رماح كثيرة وهو يقاتل بها .
- (٥) قد كان من السهل عليه أن ينجو من الموت (وكان هو قد انصرف فعلاً من المعركة ، ولكنه عرف أن الغرمة يقاتلون جماعة من رجاله فرجع ليدافع عنهم ، وكان وحده) .
- الحفاظ : الدفاع عن المحارم (عما يدخل في واجب الإنسان أن يدافع عنه من الدين والشرف) . الوعر : الصعب . الخلق الوعر : الخلق المستقيم الذي لا يتزحزح صاحبه عن موقفه واعتقاده .
- (٦) ورده أيضاً إلى الموت نفس تخاف أن يلزمه العار (العيب طول حياته) إذا لم ينجد بني قومه في القتال . وتحلف العربي عن نجدة أخيه في الحرب بعد كفره ، بل الكفر أقل منه .
- (٧) فأثبت في مستنقع الموت رجله : أدرك أنه مقتول لأنه وحده والأعداء كثيرون ، فصمم على أن يموت وهو يقاتل . وقال ، يا رجلي ، الحشر (البعث من الموت ودخول الجنة) تحت باطنك : قريب جداً .
- (٨) غدا غدوة (هجم هجمة واحدة) . والحمد نسج رداًه (لأنه كان مخلصاً في هجمته جاداً =

تردَى ثِيَابَ الموتِ حُمْراً ؛ فما دجا لها الليل إلاّ وهي من سُندسٍ خُضرٍ ١ .

* * *

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ ، يومَ وفاته ،
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَا ؛
وَأَنْتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ ؟ وَقَدْ مَضَى
فَتَى كَانَ عَذَابُ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ ،
فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ ، وَهُوَ حِمَى لَهَا ؛
نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ ٢ .
وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشَّعْرُ ٣ .
إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَشْهِدَا ، وَهُوَ الصَّبْرُ ٤ .
وَلَكِنْ كَبِيراً أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبِيرُهُ ٥ .
وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ ، وَهُوَ لَهَا جَمْرٌ ٦ .

= فلم ينصرف (لم يتوقف عن هجمته) إلا وأكفاهه الأجر (إلا لما مات ونال أجر شهيد في سبيل الله ، والشهادة في سبيل الله تدخل صاحبها إلى الجنة) .

(١) تردى ثياب الموت حمراً : مات مقتولاً (صبغ الدم الأحمر ثيابه) . دجا لها الليل : اسود الخيل لها : جاء عليها الليل (لما صار الليل) . ألا وهي من سندس خضر : ألا أصبحت من حرير أخضر (دخل الجنة لأنه مات شهيداً) . والثياب السندس الأخضر من لباس أهل الجنة (سورة الكهف : ١٨ : ٣١) .

(٢) بنو نهبان قومه . كأنهم نجوم فقدت بدرها (أشدها نوراً : أعظمها) . يحسن أن نفهم هذا البيت فهما بلاغياً لا فهماً فلكياً ، لأن البدر إذا غاب عن السماء كانت النجوم أشد لمعاناً .

(٣) ثاو : مدفون (ميت) . البأس : القوة والشجاعة في الحرب . جعل الناس يعزون به قومه . والصحيح أن الشجاعة والكرم والشعر (الذي فقد أعظم الممدوحين وأكرمهم) يجب أن تعزى به لأن موته كان مصيبة على هذه أكبر من المصيبة على أهله .

(٤) وكيف يستطيع أهله أن يصبروا عليه (يسلونه ، ينسون المصائب به) وقد مات الصبر معه في المعركة . قد مضى إلى الموت : ذهب وهو عازم على أن يموت .

(٥) عذب الروح : حسن المعاشرة متواضعاً . غضاضة : ذل وضعف في النفس . ولكن كبراً أن يقال به كبر : كانت نفسه تأبى عليه أن يقال عنه أنه متكبر فيتواضع قصداً ومن عند نفسه اختياراً .

(٦) سلبته الخيل : سلبته خيل العدو روحه (قتلتها) . وهو لها حمى : كانت الخيل في الحرب تحتمي به . بزته (غلبته) نار الحرب ، وهو لها جمر (هو الذي يسمر الحرب ، ولولاه لما كانت حرب) .

وقد كانت البيضُ المآثيرُ في الوعى
أمن بعد طمي الحادثاتِ محمداً
إذا شجرات العرف جذت أصولها ،
لئن أبغض الدهرُ الخوونُ ليفقده ،
لئن غدرت في الروع أيامه به
لئن ألبست فيه المصيبة طيئاً ،
كذلك ما نفلك تفقد هالكاً
سقى الغيث غيثاً وارت الأرض شخصه ،
وكيف احتمالي للغيوث صنعة
مضى طاهر الأثواب ، لم تبق روضة

بواتر ، فهي الآن من بعده بُترا .
يكون لأثواب الندى أبداً نشر ٢ ؟
ففي اي فرع يوجد الورق النضر ٣ ؟
لعهدي به ممن يحب له الدهر ٤ .
فما زالت الأيام شيمتها الغدر ٥ .
فما عريت منها تيم ولا بكر .
يشاركنا في فقده البدو والحضر ٦ .
وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر ٧ .
بإسقامها قبراً وفي لحده البحر ٨ ؟
غداة نوى الا اشتت أنها قبر .

- (١) البيض : السيوف . المآثير جمع مآثور : الذي في متنه علامة (دالة على جودة صنعه ، أو أنه ملك لقوم معينين فهم يتوارثونه لحدوته) . بواتر : قاطعة ، ذات فعل في الأعداء (لأنه هو الذي كان يضرب بها في الحرب) . فهي الآن من بعده بتر (جمع أتر) : مقطوعة ، مفلولة (إذ ليس في الناس بعده من يحسن القتال بها مثله) .
- (٢) الحادثات : الاحداث العظام ، المصائب . طمي الحادثات محمداً : اخفاؤه ، قتله . أثواب الندى : الكرم . نشر : افلهار (ليس بعد محمد بن حميد من يدعى كريماً جواداً بحق) .
- (٣) إذا قطعت الشجرة من كمها يبيس الورق في جميع أغصانها (محمد بن حميد كان شجرة الجود ، وجميع الاجواد كانوا فروعاً من تلك الشجرة ، فلما مات هودب الكرم منهم أيضاً) .
- (٤) إذا كذا الآن نبض الدهر لأنه خانه وغدر به وقتله ، فلقد طالما كنا نحب الدهر لأنه جاء به الى الدنيا .
- (٥) الروع : الحرب .
- (٦) يشاركنا في فقده : يشاركنا في الحزن عليه .
- (٧) الغيث الاولى : الماء الساقط من الغيم . والغيث الثانية : الرجل الكريم . وارت : سرت . شخصه : شبحه ، صوته المادية . وان لم يكن فيه (في الغيث الثاني) سحاب (برق ورعد) ولا قطر (ماء حقيقي) .
- (٨) الاحتمال : الامكان . صنعة : فضل . كيف يمكن للغيوم (الامطار الحقيقية) أن تسقي قبراً فيه بحر . البحر : الرجل الجواد الكريم .

ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ، ويغمرُ صرفَ الدهر نائلهُ الغمرُ^١ .
عليك سلامُ الله وقفاً ، فإني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليسَ له غمرُ^٢ .

(١) ثوى في الثرى : مكث في التراب ، دفن . الثرى الثانية : التراب الذي ينبت فيه النبات .
صرف الدهر : مصائب الدهر . النائل العطاء . الغمر : الكثير الذي يفرق كل شيء في نفسه . - كان عطاؤه واحسانه يغمران الفقر والمصائب حتى تختفي المصائب ويختفي الفقر .
(٢) وقفا : عليك وحدك .

مديح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي الحميدي

كان أبو سعيد الثغري هذا من الشجعان والقواد في أيام المعتصم ، ومن قواد حميد الطوسي . وقيل له أيضاً المروزي لأنه كان من أهل مرو . غير أنه اشتهر بلقب الثغري لأنه لزم الحرب في الثغور ، في الشام وخراسان ، فيما أحسب . وهو عربي من طي .

أما هذه القصيدة التي مدحه أبو تمام بها فقد قيلت — فيما يبدو — بعد مقتل محمد بن حميد ، كما نلاحظ في البيت العاشر ، وقبل مقتل بابك الخرمي ، كما نرى في البيت الحادي والعشرين وفي الابيات التي تليه .

غدت تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدٍ ، وغاد قتادا عندها كلُّ مرقَدٍ ¹ .
وأنقذها من غمرة الموت أنه صدودُ فراقٍ لا صدودُ تعمُدُ ² .
فأجرى لها الإشفاقُ دمعاً مورداً ، من الدَّمِ ، يجري فوق خدّ مورّد ³ .
هيّيَ البدرُ يُغنيها تودّدُ وجهها الى كلِّ من لاقت ، وان لم تودّد ⁴ .

(١) غدت (نهضت باكراً) تستجير الدمع (تستنجد بالدمع : تبكي) خوف نوى غد : خوفاً مما سيجره عليها الفراق في اليوم التالي (في يوم قريب) . القتاد : شوك . وأصبح كل فراش لها شوكاً (امتنع عليها النوم من الحزن) .

(٢) ولكن الذي أنقذها من الموت (حزنًا) أن صدود المحب (ابتعاده عنها وفراقه لها) كان اضطراباً ولوقت قصير ، لا هجراً مقصوداً دائماً .

(٣) أجرى الاشفاق (الخوف من الفراق) دمعاً مزوجاً بالدم (غزيراً مؤلماً) فوق خدّها المورد (الجميل) .

(٤) التودد : التحبب الى الناس . وجهها جميل يحبها الناس لجمالها من غير أن تتكلف هي التحبب إليهم .

ولسكنتي لم أحز وفراً مجمعاً .
 ولم تُعْظِي الأَيَّامُ نوماً مُسَكِّناً
 وطولُ مُقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقِ
 فاني رأيتُ الشمسَ زِيدَتِ حِجَةً ،
 حُلَّتْ بِرَبِّ البَيضِ تَدْمِي مَتُونُهَا ،
 لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِي مُحَمَّدٍ
 رَمَى اللَّهُ مِنْه بَابِكاً وَوُلَاتَهُ
 بِاسْمَحٍ مِنْ صَوْبِ الغَمَامِ سَمَاحَةً ،
 إِذَا مَا دَعَوْنَاهُ بِأَجْلَحِ أَيْمَنِ

فُزْتُ بِهِ ، الْإِشْمَالُ مُبَدَّدٌ ١ ،
 أَلَدْتُ بِهِ ، الْإِشْمَالُ مُشَرَّدٌ ٢ ،
 لِدِيَابِجَتِهِ ، فَأَغْرَبْتُ تَتَجَدَّدٌ ٣ ،
 إِلَى النَّاسِ ، إِنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ ٤ ،
 وَرَبُّ الْقَنَا الْمُتَّادِ وَالْمُتَقَصِّدِ ٥ :
 تَبَارِيحَ ثَأْرِ الصَّامِتِي مُحَمَّدٍ ٦ ،
 بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ ٧ :
 وَأَشْجَعَ مِنْ صَرَفِ الزَّمَانِ وَانْجِدٍ ٨ ،
 دَعَاهُ ، وَلَمْ يَظْلِمِ ٩ ، بِأَصْلَحِ أَنْكَدٍ ٩ .

(١) الوفرة : النوى . الجدد : المفرق . - لا يستطيع الإنسان أن يجمع ثروة إلا إذا فارق أهله ووطنه .

(٢) ولا أستطيع أن أنام مرة نوماً هادئاً هائناً مريحاً إلا إذا كنت قد قضيت قبل ذلك ليالي (وقتاً طويلاً ، مراراً) لا أذوق فيها النوم (لسفري المتواصل الشاق) .

(٣) أن طول مكث المرء في بلده يجعل العيون تألفه فيبتل إهتمام الناس به ، فتغيب عن بلدك مدة ، فانك إذا رجعت بعد ذلك اهتم بك أهل بلدك (لأنك ستبدو لعيونهم كأنك شخص جديد عليهم) . الديباجتان : الحدان .

(٤) السرمد : الدائم . - الناس يحبون الشمس لأنها تغيب وتطلع ، ولأن غيوم الشتاء تسمتها حيناً فيتشوق الناس إليها وإلى حرارتها .

(٥) البيض : السيوف . تدمى متونها : يجري الدم على جوانبها (لكثرة الضرب بها في الحرب) . القنا : الرماح . المتآد : المنحني (لأن الرمح الجيد لين ، فإذا طعن به شيء قاس ، كالدرع مثلاً فإنه ينحني) . المتقصِّد : المتكسر (إذا زاد انحنا الرمح من الطعن فإنه ينكسر) .

(٦) الصامتي محمد الاول : أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي ، وهو من بني الصامت . الصامتي محمد الثاني : محمد بن حميد ، وهو منسوب إلى بني الصامت أيضاً . - انتصر أبو سعيد الثغري على بابك الحرمي فأخذ بثأر محمد بن حميد الذي كان قد قتل في حرب بابك .

(٧) الولاة : الانتصار والاتباع . قاصمة الظهر : المميبة العظيمة . المشهد (هنا) : الموقعة ، المعركة .

(٨) الساحة الكرم . أشجع من صرف الزمان : لا يهاب شيئاً ولا يجبن عن خطر . أنجد : عظيم النجدة (الاسراع إلى معونة الذين يطلبون معونته) .

(٩) الجالح : انحرار الشعر عن مقدم الرأس خلقة ، وكان محموداً عند العرب ينفاهون به . والصِّلح =

فَتَى يَوْمَ بَذَ الْخُرْمِيَّةَ لَمْ يَكُنْ
 قَفَا سِنْدِ بَايَا وَالرَّمَا حُ مُشْبِحَةٌ
 عَدَا اللَّيْلُ فِيهَا عَنْ مَعَاوِيَةَ الرَّدَى ،
 لَعَمْرِي ، لَقَدْ حَرَّرْتَ يَوْمَ لِقَائِهِ ،
 فَإِنْ يَكُنِ الْمَقْدَارُ فِيهِ مُفْتَنَدًا ،
 وَفِي أَرْشَقِ الْهَيْجَاءِ ، وَالْخَيْلُ تَرْتَمِي
 بِهَيْبَةِ نِكْسٍ وَلَا بِمَعْرَدٍ ١ ،
 تُهْدَى إِلَى الرُّوحِ الْخَمِيٍّ فَتَهْتَدِي ٢ .
 وَمَا شَكَ رَبُّ الدَّهْرِ فِي أَنَّهُ رَدَى ٣ .
 لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُسْبِرْدِ ٤ ،
 فَمَا كَانَ فِي أَشْيَاعِهِ بِمُفْتَنَدٍ ٥ !
 بِأَبْطَالِهَا فِي جَا حِمٍ مَتَوَقَّدٍ ٦ ،

= سقوط الشعر من معظم الرأس ، وكان مذموماً ويتشاهمون به . - نحن كنا ندعو أبا سعيد الثوري « أبلج » تيمناً بذلك (وكنا على حق لأن أبا سعيد انتصر على بابك وأتباعه ورد عن المسلمين هزائم كثيرة) . وكان أعداؤه (أتباع بابك وأنصاره) يدعونه « أصلح » تشاؤماً بصلحه ، وكانوا أيضاً على حق لأنه هزمهم وقضى على آمالهم .

(١) بَذَ : غلب . الْخُرْمِيَّةُ : أصحاب بابك . الْهَيْبَةُ : الكثير الهيبة (الخوف) غيره . النكس : الضعيف . المعرد : الهارب (ليعتد عن الاخطار) .

(٢) قَفَا : خلف ، وراء (لعلها فعل ماضٍ) . سِنْدِ بَايَا : موضع في أذربيجان بالبذ . المشيح : المقبل عليك المانع لما وراء ظهره (كناية عن جرأة الهاجمين وكثرتهم) . تهدي (الرماح ، أي تصوب ، يشار بها) إلى الروح (إلى نفس المحارب حيث مقتله) . الْخَمِي : الغائب ، المستور المختفي (وراء جدار أو في درع ، وبشجاعة صاحبه) . فهتدي : تصيب (المقتل) وتقتل (كناية عن بصر أولئك المقاتلين بالحرب وتمرهم عليها) .

(٣) عَدَا اللَّيْلُ فِيهِ عَنْ مَعَاوِيَةَ الرَّدَى : صرف الليل في سِنْدِ بَايَا الموت عن معاوية (هرب معاوية من معركة سِنْدِ بَايَا مستتراً بظلام الليل فنجا من القتل) . معاوية (= بابك ؟) . وما شك ريب الدهر في أنه ردي : وما كان ريب الدهر (شدة تلك المعركة) يشك في أنه سيقتل في تلك المعركة .

(٤) لَعَمْرِي : أقسم بعمري (بديني) . لَقَدْ حَرَّرْتَ (لَقَدْ كَانَ بَامَكَانَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَتَجْعَلَ فِي قُلُوبِ أَتْبَاعِهِ حَرَارَةً ، أَيْ حَزْناً عَلَيْهِ) يَوْمَ لِقَائِهِ (في معركة سِنْدِ بَايَا) . لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ (علم الله السابق بطول حياة بابك) وَحْدَهُ (ولا شيء آخر غير القضاء والقدر) لَمْ يَبْرُدْ (لَمْ يَدْخُلِ الْبَرْدُ أَوْ الْأَطْمَشَانُ عَلَى قُلُوبِ أَتْبَاعِهِ لِأَنَّهُ نَجَا مِنَ الْقَتْلِ الْمُنْتَظَرِ لَهُ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ) . (٥) فَإِذَا كَانَ حِمَابِنَا نَحْنُ لِلْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ (في مقتل بابك) مُفْتَنَدًا (خَاطِئًا) ، فَانْ حِمَابِنَا فِي ذَلِكَ وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَشْيَاعٍ (بِمَجْنُودٍ) بِابِكٍ لَمْ يَكُنْ مُفْتَنَدًا .

(٦) أَرْشَقَ : حصن للمسلمين خرج إليه بابك ليسطو على مال كان الخليفة المعتصم قد أرسله إلى الأفشين (أن معرفة بابك بجميع ذلك المال من الأدلة على أن الأفشين كان يمالئ بابك ، وذلك مما دعا

عَطَطَتْ عَلَى رَغْمِ الْعِدَا عَزَمَ بِأَبْلَكِ بعزمك عطّ الاتحيمي المعضد^٥
فَالَا يَكُنْ وَلِيَّ بِشَلُوٍ مَقْدَدَ هناك ، فقد ولّى بعزم مقدّد^٢ .
وَقَدْ كَانَتْ الْأَرْمَاحُ أَبْصَرْنَ قَلْبَهُ ، فأرمدتها سترُ القضاء الممدّد^٣ .
وَمَوْقَانُ كَانَتْ دَارَ هِجْرَتِهِ ، فَقَدْ تورّدتها بالخيّل كل تورّد^٤ .
حَطَطَتْ بِهَا . يَوْمَ الْعُرُوبَةِ ، عِزَّهُ ؛ وكان مُقيماً بين نسر وفرقد^٥ .
رَأَى سَدِيدَ الرَّأْيِ وَالرَّمْحِ فِي الْوُغَى ، تَأَزَّرُ بِالْإِقْدَامِ (فِيهَا) وَتَرْتَدِي^٦ .

= المتعصم الى أن يرسل أبا سعيد الثغري الى حرب بابل عوناً للفاشين في الظاهر ورقياً عليه في الحقيقة . أرشق الهبياء على الاضافة للبالغة في شدة المعركة التي دارت حول أرشق .
الجاحم : الجحيم (النار العظيمة اذا كانت في مهواة أو مكان منخفض ، المكان الشديد الحر) . المتوقد : الشديد الاشتعال مع خروج لهب منه .

(١) عط : شق . الاتحيمي : الثوب المخطط (المنسوج بخيوط تختلف قوة) . المعضد : المملوح أنه الثوب الذي فيه خطوط نافرة في أصل نسجه . - يقول أبو تمام : « وفي معركة أرشق شققت عزم بابل (كسرت قوته المعنوية) بعزمك أنت ، على رغم العدا (على كثرة أتباعه) شق الاتحيمي المعضد (كما يشق الثوب المخطط في أصل نسيجه ، أي بسهولة) .

(٢) الشلو : كل جسم قطع منه شيء ويقتت منه بقية . مقدد . مقطع . هناك (أي في معركة أرشق) . - فالأ (ان لا) يكن ولي (مات ، قتل) بشلو مقدد (بجسم مقطع في المعركة) فقد ولي (انهزم) بعزم مقدد (بهمة مكسورة لا يفكر ان يعود بعدها الى قتال) .

(٣) وكانت رماح المسلمين قد أبصرت قلب بابل (صوبت الى مقتله) ، ولكن القضاء (طول عمر بابل المكتوب له في سابق علم الله) أرمد عيون تلك الرماح (جعلها مريضة رمداء لا تبصر ، اذ حال قضاء الله بين تلك الرماح وبين قلب بابل كأنه ستر حاجز) .

(٤) موقان : مكان في أرمينية . دار هجرته : المكان الذي هاجر (ابتعد اليه) حتى لا يصل اليه أحد . تورّدتها بالخيّل : دخلت اليها بخيّل كثيرة من كل جانب .

(٥) حططت عزه : خففت عزه ، أزلته من أعلى الى أسفل . يوم العروبة : يوم الجمعة . وكان (عزه من قبل) بين نسر وفرقد (النسر والفرقد نجمان في السماء) ، أي في مكان مرتفع لا يصل اليه أحد .

(٦) سديد الرمح : بارع في الاصابة بالرمح . تأزر بالاقدام وترتدي : تلبس الاقدام ازارا ورداء (كناية عن اقدامه وجراوته في كل موقف من مواقف الحرب) .

وليس يُجَلِّي الكربَ رمحٌ مُسدّدٌ
 فسرّ مطيعاً للعوالي ، معوّداً
 وكان هو الجلدَ القوّى ؛ فسلبته ،
 لعنمري ، لقد غادرتَ حِسِّيَ فؤاده
 وكان بعيدَ القعرِ من كلِّ مانحٍ ،
 ولا كذّجَ العُليا سمّت بك هِمةً
 اذا هو لم يُؤنس برأي مسدّد^١ .
 من الخوف والإحجام ما لم يعوّد^٢ .
 بحسن الجِلاد المَحض ، حُسْن التجلّد^٣ .
 قريبَ رِشاءٍ لَلقنا سهلَ مَوَرِد^٤ .
 فغادرتَه يُسقى ويُشربُ باليدِ * .
 طموحُ يروح النصرُ فيها ويغتدى^٥ ؛

(١) يحلّ : يحلّو ، يكشف . الكرب : الغم ، الشدة . رأي مسدّد (مصيب) - اذا كان هذا الرأي المصيب لا يصحبه رمح مصيب (معرفة بالحرب) - .

(٢) مر : جاز وذهب (فر ، هرب على وجهه) مطيعاً للعوالي (الرماح) : كأن الرماح حينما أشارت الى قتله (ولم يكن عمره قد نفذ بعد) قد أمرته بالفرار ففر . ثم ان هذه المعركة قد علمته الخوف من الحرب والاحجام (التأخر في مجال الحرب) وعودته ذلك كله ، ولم يكن من قبل يعرف شيئاً من ذلك .

(٣) الجلد : الشديد ، الصبور . الجِلاد : القتال والاثبات فيه . التجلّد : التصبر ، الصبر على المكروه . سلبته حسن التجلّد : جعلته لا يكتم خوفه وذعره .

(٤) الحسي : الماء القليل في منخفض يسير من الرمل . حسي فؤاده : ماء فؤاده (دم قلبه ، روحه) . قريب رِشاء : يستقى منه برِشاء (حبل) قصير . سهل مورد : يسهل على جميع الناس أن يستقوا منه (أن يقتلوا بابك) . - أصبح بابك بما أدخلت على قلبه من الخوف عاجزاً عن صد كل هاجم عليه .

(٥) بعيد القعر : عميق . المانح : الذي يمنح (يسحب الماء من البشر بالحبل) . كان بابك من قبل متيناً لا يصل أحد اليه ، كما لا يستطيع أحد أن يسحب الماء بالدلو من البئر العميقة جداً . فجعلته أنت قريباً هيناً على كل هاجم كأنه ماء على ظاهر الأرض يثرّب الناس منه بأكفهم (من غير حاجة الى دلو وحبل) .

(٦) الكذّج تعريب كده (من الفارسية) . كده (بفتح الكاف والذال) : البيت المنزل ، الكهف القرية . وقد تضاف الى اسم فيقال آتش كده : بيت النيران (معبد الفرس القديم) . وقياساً على ذلك نقول بابك كده : بيت بابك ، قلعة بابك ، عاصمة بابك ، الخ . ويفهم من البيت « وللكذّج العليا ... » أن بابك كان له عدد من الحصون ، وأن أبا سعيد الثغري استولى على القلعة العليا أيضاً .

وقد خزمت بالذُل أنف ابن خازم ، وأعيّت صياصيهما يزيد بن مزيد ؛
فقيدت بالإقدام مُطالِقَ بأسِهم ، وأطلقت فيهم كل حَتَف مقيّد ؛
وبالهُضْب من أبرشتويِم ودِروِزِ افادتلك منها المُرَهقاتُ مكارمها
وليلةً أبليتَ البياتَ بلاءه من الصبر في وقت من الصبر مُجحد^٥ .
فيا جولةً ، لا تجحديه وقاره ؛
ويا سيفُ ، لا تكفُرْ ؛ ويا ظُلْمةُ ، أشهدي^٦ .

(١) خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد : قائدان عباسيان كانا في المشرق أيضاً . الصياصي جمع صيصة : الحصن . خزم : علق الخزامة (بكسر الخاء : حلقة من الحديد أو الجلد أو الشعر تعلق في أنف البعير أو غيره من الحيوان لجره بها اذا كان شموساً) . - لم يستطع خزيمة بن خازم ولا يزيد بن مزيد أن يفتحوا الكدج ، وقصدها خزيمة بن خازم فرجع عنها مقهوراً .

(٢) جرأتك عليهم (في عقر دارهم) قيدت قوتهم وأبطلتها ، ثم انك بثت بها أنواع الختوف (جمع حتف : الموت) .

(٣) الهضب : ما ارتفع من الارض ، الاراضي المنبسطة في الجبال . دروز : اسم جبل . ابرشتويِم جبل بالبد من ارض موغان من نواحي اذربيجان كان بابك يأوي اليه (ياقوت - طبة القاهرة - ١ : ٧٤) .

سمت بك أطراف القنا : صعدت الى تلك الاماكن عنوة بالسلاح .

(٤) الموهقات : السيوف الرقيقة . المأثرة (بضم الثاء) : الفعل الجليل العظيم .

(٥) البيات : رسم خطة (سرّاً) لمهاجمة العدو في اليوم التالي . أبليت البيات بلاءه من الصبر : أعطيت رسم تلك الخطة حقه من الدرس والعناية والدقة ، ثم نفذت (في اليوم التالي) تلك الخطة بصبر على الحرب (بمشقة وتضحيات) . في وقت من الصبر مجحد : في وقت لا ينفع الصبر فيه . ومجحد صيغة ليست في القاموس .

(٦) الجولة : المبارزة ، الهجمة (في الحرب) . لا تجحديه وقاره : لا تنبي أنه كان وقوراً (ثقيلاً : ثابتاً ، هادئاً) جداً على الرغم من الاهوال التي كانت في تلك المعركة والتي كانت تنبي الانسان وقاره (فيجزع أو يبجن أو يستسلم أو يهرب) . يا سيف لا تكفر : لا تنكر فضله ، وأنه لولا شجاعة أبي يوسف الثغري ومعرفته بأصول القتال لما كان لك فضل . الظلمة : الليل أو المعركة الشديدة القاسية كأنها ظلمة الليل . اشهدي : اشهدي له بالمقدرة والنبات الخ .

ويا ليل ، لو أني مكانك بعدَهَا
وقائعُ أصلُ النصرِ فيها وفرعُهُ
فمهما تكن من وقعةٍ بعدُ لا تكن
محاسنُ اصنافِ المغنّينِ جمّةً ،
جلوتُ الدجى عن أذرييجانَ بعدَما
وكانت ، وليس الصبحُ فيها بأبيضٍ ؛
رأى يابك منك التي طلعت له
هزرت له سيفاً من الكيد ، إنما
يُسرّ الذي يسطو به وهو مُغمَد ،

لَمَّا باتَ في الدنيا بنومٍ مُسَهَّدًا .
إذا عُدَّدَ الاحسانُ أو لم يُعَدَّدِ ٢ .
سوى حَسَنَ ، مما فعلت ، مردّد ٣ ؛
وما قَصَبَاتُ السَّبَقِ الالمُعَبَّد ٤ .
تردّت بلون ، كالغمامة ، أربد ٥ .
فأُمتت ، وليس الليل فيها بأسود ٦ .
بنحس ، وللدن الحنيف بأسعد ٧ .
تُجَدُّ به الاعناقُ ما لم يُجَرَّد ٨ .
ويُفضح من يسطو به غير مُغمَد ٩ .

- (١) يا ليل ، لو أني كنت مكانك لكافأت أبا سعيد الثغري على ظفري في هذه المعركة بأن أمنحه نوماً عادياً طبيعياً لا يسهر سهراً فيه قلق أو تعب ثم جعلت ذلك له طول حياته الباقية .
- (٢) ان جميع الوقائع التالية ، اذا كان فيها نصر فيكون من أثر هذه المعركة ، سواء أكان النصر يحدث بخطّة واحدة (هي التي رتبها أبو سعيد الثغري) أو بخطط متعددة مختلفة .
- (٣) وكل معركة بعد معركتك هذه سيكون النصر فيها بتكرار خطتك الحكيمة التي ابتدعتها في هذه المعركة .
- (٤) للمغنّين المختلفين حسنات كثيرة ، ولكن معبد بن وهب المغني الاموي المشهور قد فاز في الغناء عليهم كلهم (وكذلك القواد لهم حسنات وانتصارات كثيرة في الممارك ، ولكن أبا سعيد الثغري أفضلهم كلهم) .
- (٥) جلوت الدجى : كشفت الليل (أبعدت الخطر) . تردت بلون كالغمامة أربد (كلون التراب) : ليست ثوباً (من الخوف والخطر) عمها كلها كما تعم الغمامة وجه السماء .
- (٦) وكانت أذرييجان تخاف بابك وأتباعه في وقت السلم ، فأصبحت بفضلك لانتخافه في زمن الحرب
- (٧) أدرك بابك الآن أن خطتك قد جاءت له بالنحس ، وأنها قد جاءت للإسلام بالسعد .
- (٨) حاربت بابك بالمكيدة التي تجد (تقطع) أعناق الأعداء وهي مكتومة غير ظاهرة ، لأنها لو ظهرت وعرفت لاحترس العدو منها فبطل فعلها .
- (٩) هذا السيف (أي المكيدة) يسر صاحبه الذي يستعمله وهو مغمَد (كناية عن ابتغاء المكيدة سرّاً) ، وهو يفضح صاحبه وينزل به الحية والضرر ، اذا ضرب به غير مغمَد : (اذا كان يعلن خطته في الحرب) .

واني لأرجو ان تقلد جیده قِلَادَة مصقول الذئباب مُهند ١
 منظمة بالموت ، يحظى بحلتها مقلدها في الناس ، دون المقلد ٢ .
 اليك هتكنا جُنع ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإئتمد ٣ .
 تُقلقلُ بي أدمُ المَهاري وشومها على كل نَشْر مُتَلَب وفدند ٤ .
 تُقلَّب في الآفاق صِلاً كأنما يُقلَّب في فكتيه شِقَّة مبرد ٥ .
 تَلافي جَدَاك المُجتدين ، فأصبحوا ولم يبق مذخور ، ولم يبق مجتدي ٦ .
 اذا ما رَحَى دَارَت أدرت ، سماحة ، رَحَى كل لإنجاز على كل موعد ٧ .

-
- (١) اني آمل أن تلبس بابلك الحرمي قلادة (عقداً) في جيده (عنقه) من سيفك (أن تقطع في المعركة المقبلة عنقه بسيفك) . الذباب : حد السيف .
 (٢) قلادة منظمة بالموت (جعلت حياتها من أسباب الموت) ، والذي يسر بها هو الذي يقلدها (يملقها في عنق غيره) لا الذي ينقلدها (يلبسها في عنقه) .
 (٣) جئنا اليك مسافرين في قلب ليل شديد الظلمة حقيقة أو مجازاً (من حاجة الى المال الذي في يدك) . الاثمد : الكحل .
 (٤) تقلقل (تنقلقل) بي : تحملني متنقلة بي في أطراف الأرض . أدم المَهاري وشومها : السمر والسود من المَهاري ، كما في القاموس (٢ : ١٣٧ ، السطر الخامس) . والمَهاري جمع مهر (بضم الميم) وهو ولد الفرس أو أول ما ينتج منه ومن غيره (كالابل مثلاً) ، والمقصود هنا الابل لا الخيل . النشز : المرتفع من الأرض . المتلَب : المستقيم (صعوداً ؟) .
 الفدند : الفلاة (الأرض الواسعة الخالية) النليظة .
 (٥) تقلب في الآفاق (تحمل من مكان الى مكان في أطراف الأرض) صلا (داهية ، يعني أبو تمام بالصل نفسه) . يقلب في فكيه شقة مبرد (يحيل في فمه لساناً كأحد حدي المبرد ، أي لساناً قديراً حاداً) .
 (٦) تَلافي (تدارك ، أعان ، ساعد) جدَاك (كرمك) المجتدين (طالبي الجدوى : العطاء) ، حتى لم يبق (لك مال) مذخور ولم يبق مجتد (محتاج يطلب مالا) .
 (٧) اذا ما رَحَى دَارَت : كلما دارت طاحون لطحن القمح وغيره (أو حرب) . أدرت سماحة : وزعت المال كرمًا منك في الناس (وكما أن الطاحون لا تتوقف عن طحن الحبوب ، فأنت أيضاً لا تتوقف عن بذل المال . ثم انك تمد كثيراً وتفي بجميع ما تمد ، كأنك تطحن الوعود بانجازها حالا ، كما تفعل الطاحون بالحلب الذي يلقي فيها) .

اتبتك لم أفزعُ الى غير مَفْزَعٍ ، ولم أنشدُ الحاجاتِ في غير مَنَشَدٍ ١ .
ومن برجٍ معروفٍ البعيد ، فانما يدي عولتُ - في النائبات - على يدي ٢ .

-
- (١) أفزع : ألبأ . المفزع : المكان يصلح لأن يلجأ الناس اليه . أنشد : أطلب . المنشد :
المكان الذي يمكن فيه تحقيق الحاجات .
(٢) وإذا كان الانسان يطلب المعروف من شخص بعيد (ليس بينه وبين ذلك الشخص قرابة
أو معرفة) ، فان احدى يدي قد عولت (اعتمدت) على يدي (الاخرى) فطلبت منها
(أنت طائي وأنا طائي مثلك ، فأنا اذن لا أطلب من أحد غريب) .

مديح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي

هو من قواد المأمون والمعتصم . كان كريماً وشجاعاً ، وكان أديباً مؤلفاً (ت ٥٢٢٥ = ٨٤٠ م) .

على مثلها : من اربعٍ وملاعبٍ ، أذيلتُ مصوناتُ الدموعِ السواكبِ ١ .
اقول لقرحانٍ من البينِ ، لم يُضِفْ رسيسَ الهوى بين الحشا والثرائبِ ٢ :
« أعينِي أفرقَ شملَ دمي » فاني أرى الشملَ منهم ليس بالمتقاربِ ٣ .
فما صار ، في ذا اليوم ، عدلكَ كله عدويّ ، حتى صار جهلكَ صاحبي ٤ .
وما بك لإركابي من الرشدِ مركباً ألا إنما حاولتَ رُشدَ الركائبِ ٥ .

(١) الربع : المنزل . الملب : المكان تدرج فيه الريح تمر عليه وتركه . أذيلت : أهينت .
— على مثل هذه الربوع (المجيدة) يحسن أن نذرف الدموع الكثيرة التي قد خزنت في
الحفون مدة طويلة .

(٢) القرحان : الذي لم يصبه مرض . قرحان من البين : لم يذق البين (البعاد) . الرسيس :
أول الحب . لم يصف رسيس الهوى : لم ينزل الحب بعد ضعفاً عليه (لم يعرف الحب بعد) .
الحشا : الجوف . الثرائب : عظام الصدر .

(٣) أفرق شمل دمي : أنثر دموعي المجتمع (أبكي) . منهم : من الاحباب .
(٤) العذل : اللوم . — لما أكثرت عذلي على حبي ظننتك عدوي حتى تبين لي أنك جاهل بأمري
وأمر الحب فمذرتك (كان جهلك صاحباً لي فشفع بك الي) .

(٥) الركائب : الحيوانات المستعملة في الركوب . — ان لومك لي ليس جباراً بي ومحاولة لردّي
عن الفتي (في مثل هذا الحب) الى الرشاد (الى الرجوع الى العقل والمنطق) ، ولكنك
أشفقت على الركائب التي طال وقوفها في هذه البادية ، فأنت قائد أبلى ولست هادي
بشر !

فكِلْنِي الى شوقي، وسِرْ سِرِّ الهوى الى حُرْقَاتِي بالدموع السوارب^١
أَمِيدَانْ لهوي ، من أتاح لك البلى فأصبحت ميدانَ الصبا والجنائب^٢ ؛
اصابتك ابكارُ الخطوب ، فشتتت هوائي بأبكارِ الظباء الكواعب^٣ .

* * *

وركب يساقون الركاب زُجاجةً من السير ، لم تقصِدْ لها كف قاطب^٤ .
فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى ، وصارت لها أشباحهم كالغوارب^٥ .
يُصرفُ مسراها جُذيلُ مشارقٍ - إذا آبه هَمٌّ - عُدِيقُ مغارب^٦ .

(١) أتركني وشوقي وسر أنت بالابل ، فان الهوى حيثنذ يحملني على البكاء الكثير فتسقط الدموع على حرارة حبي فتخففها (ان الحب الذي هو سبب حرقاتي سيكون أيضاً سبب الدموع التي ستطفئ تلك الحركات) .

(٢) ميدان لهوى : مسكني في أيام شبابي . أتاح : سبب . البلى : الخراب والهجر . الصبا : الريح الشرقية . الجنائب جمع جنوب (بفتح الجيم) : ريح الجنوب .

(٣) أبكار الخطوب : المصائب البكر (التي لم يوجد مثلها في الأرض بعد) . شتتت : أبعدت ، نفرت عني ، أبكار جمع بكر : العذراء . الظباء : الفزلان (كناية عن النساء الجميلات) . الكاعب : الفتاة اذا كعبت (اذا نهذ ثدياها واستدارا) .

(٤) ركب : جماعة يركبون الابل ويسافرون معاً . يساقون الركاب (الابل) زجاجة من السير : يسقونها مرة بعد مرة (يسوقونها باستمرار ويجهدونها) حتى كأنها من الجهد والتعب سكرى . لم تقصد لها كف قاطب : لم تمزج تلك الخمر بالماء (لم يرح اولئك المسافرين ابلهم في أثناء تلك الرحلة) .

(٥) الغارب : سنام الجمل . السرى : السفر في الليل . الشبح : الخيال ، صورة الشخص (اذا روى الشخص من بعيد فانه يظهر صغيراً غير واضح) . - أكلوا منها الغوارب بالسرى : أجهدوها بكثرة السفر والسير حتى ذابت أسنمتها (فكأنهم قطعوا أسنمتها وأكلوها) . وصارت لها أشباحهم (لأنهم هم أيضاً نخلوا من كثرة السفر وشدة التعب) كالغوارب : أصبحوا كأنهم أسنمة الابل .

(٦) يصرف مسراها : يقودها في طرق الاسفار الطويلة الصعبة المضللة . جذيل (رجل كثير الاسفار احتك بالبلادان وخبر طرقاتها وعاداتها) (والتصغير في « جذيل » للتعظيم) مشارق (من السفر في المشارق) . عذيق : رجل نخيل من كثرة الاسفار يشبه العذيق (النخلة)

يرى بالكعابِ الرّودِ طَلْعَةَ نائِرٍ وبالعرْمِيسِ الوجْناءِ غُرَّةَ آيِبٍ ١ .
 كأن به ضِعْفًا على كل جانبٍ من الأرض ، او شوقًا الى كل جانب ٢ .
 اذا العيسُ لاقت بي أبا دُلْفٍ ، فقد تقطع ما بيني وبين النواثب ٣ .
 هنالك تلقى المجدَ حيثُ تقطعت تماثمةً ، والجلودَ مُرْخَى الذواثب ٤ .
 تكاد عطاياه يُجَنُّ جنونُها ، اذا لم يعوذها بنغمة طالب ٥ .
 اذا حرَّكته هِزَّةُ المجدِ غيرت عطاياه اسماءَ الأمانى الكواذب ٦ .
 تكاد مغانيه تَهْشُ عِراضُها ، فتركبُ ، من شوق ، الى كل راكب ٧ .

- بحملها : هو نخيل كالنخلة ولكن له رأياً جميلاً مفيداً كثمر النخلة) . اذا آبه هم : اذا
 حزه أمر ، اذا فاجأه أمر ثم اشتد وصعب المخرج منه .
 (١) الكعاب : الكعاب (الحاشية ٣ من ص ١٦٧) . الرود : اللينة التامة . طلعه نائِر :
 هجوم رجل نائِر عليه (هو يكره الحسنة كما يكره الذي يهجم عليه ليقاتله ، لأن
 حب المرأة الحسنة يفري الانسان بالبقاء في الوطن وترك السفر) . العرمس : الناقة
 الصلبة . الوجناء : الشديدة غرة آيب : قدوم رجل من سفر (يحب رؤية الناقة الشديدة
 لأنها وسيلة السفر ، يحب السفر كثيراً) .
 (٢) كأن به ضِعْفًا (حَقْدًا) على كل مكان هو فيه فيريد أن يتركه ؛ وكأن به شوقاً (حباً)
 الى كل مكان فهو يريد أن يذهب اليه .
 (٣) العيس : النياق . النواثب : المصائب . - اذا وصلت الى أبي دلف فاني أخلص من
 المصائب (لا يبقى المصائب علي طريق : انه يزيل المصائب عني بكرمه) .
 (٤) تقطعت تماثمة : أصبح ناشئاً قد جاوز حد الطفولة (لأن العادة كانت أن تعلق التمام
 - الاحجية - في رقاب (الأطفال) . مرخي الذواثب : شاب وافي الشباب . - يقصد أن
 المدوح كان كثير الجلود أثيل (قديم) المجد .
 (٥) لا يكون مسروراً الا اذا جاء من يطلب رفته ، ولا ترضى عطاياه (أو لا يرضى عطاياه)
 الا وهو يرجو من السائل قبولها .
 (٦) اذا طرب عند مدحه بمجده القديم أعطى المادح مبالغ جسيمة (قد يمني المادح نفسه أمنية :
 نصف مليون ، مليون ... ، ثم يرى أن ذلك من كذب الأمانى : غير معقول) . بعدد
 يجد أن المدوح قد أعطاه أكثر مما كان قد شئى : فكان المدوح قد بدل اسم الاماني الكاذبة
 باسم الاماني الصادقة .
 (٧) المغنى : الدار ، المنزل . هش : ظهر البشر (السرور) على وجهه . العرصة : ساحة

إذا ما غدا أغدى كريمة ماله
يرى اقبح الأشياء اوبة آميل
واحسن من نور ، تفتحة الصبا ،
إذا أبحمت يوماً لجسيم ، وحولها
فان المنايا والصوارم والقنا
جحافل لا يتركن ذا جبرية
يمدون من ايدي عواصم
إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا

هدية ، ولو زفت لألام خاطب^١
كسته يد المأمول حلة خائب^٢
بياض العطايا في سواد المطالب^٣
بنو الحصن نجل المحصنات النجائب^٤
أقاربهم ، في الروع . دون الأقارب^٥
سليما ، ولا يجربن من لم يحارب^٦
تصول بأسياف قواض قواضب^٧
صدور العوالي في صدور الكتائب^٨

- (١) غدا : خرج من بيته باكراً . أغدى : أخرج . كريمة ماله : أفضل ماله . هدي : عروس .
- ييكرني كل يوم بالخروج من بيته ويهدي (يزوج ، يعطي) أفضل ماله لأي طالب يسأله .
ولو كان ذلك الطالب لثيماً وليس كفوئاً لماله (شبه المال بنت الممدوح والسائل بالخاطب
الطالب الزواج) - ألزم نفسه الجود في كل يوم لكل انسان اتفق .
- (٢) أقبح شيء لديه أن يرجع قاصده خائباً .
- (٣) وان الذي هو أحسن وأجل من تفتح الزهر في أيام الريح الشرقية الغليظة اعطاء الماز
الكثير لصاحب الحاجة الشديدة .
- (٤) إذا أبحمت : إذا أبحمت خيولها (استعدت للحرب) . لجيم : بنو لجيم بن صعب بن علي
ابن بكر بن وائل (قوم أبي دلف العجلي الممدوح بهذه القصيدة) . بنو الحصن نجل المحصنات :
ولد المحصنات (العفيفات) . النجائب جمع نجبية : الكريمة الأصل الحسبية (ذات
الاعمال الكريمة) والتي تنجب (بضم التاء) : تلد الأولاد النجباء .
- (٥) المنايا (جمع منية : الموت) والصوارم (جمع صارم : السيف) والقنا (جمع قناة :
الرمح) ، ان هذه الاسلحة تكون مع بني لجيم يوم الروع (في الحرب) أو أن هذه
هي أقارب بني لجيم في الحرب دون أقاربهم في النسب .
- (٦) الجحفل : الجيش العظيم . الجبرية : الكبر (بكسر الكاف) والتجبر . سليماً : معافى .
يجربن من لا يحارب : لا يسلبن (يأخذن) مال من لا يحاربهم .
- (٧) عواص : منيع (تدافع عن نفسها) . عواصم : موانع (تحمي غيرها) . قواض :
قاتلة . قواضب : قاذبة (ومعنى قواض ومعنى قواضب متقاربان) . صال : هجم .
- (٨) جابت : جالت ، شقت . قسطل الحرب : غبار الحرب . صدعوا : كسروا . صدور
العوالي : رؤوس الرماح . صدور الكتائب : صفوف الجيش .

إذا افتخرت، يوماً، تميمٌ بقوسِها ،
فأنتم ، بذئِ قارٍ ، أمالت سيوفكم
محاسنُ من مجدٍ ، متى تقرنوا بها
معالٍ تبادت في العلوكأنما
وقد عليمُ الأفشينُ ، وهو الذي به
بأنك لما استخذل النصرُ واكتسى
تجلتته بالرأي حتى أريتهُ

وزادت على ما وطدت من مناقب^١ ؛
عروشَ الذين استرهنوا قوسَ حاجب^٢ .
محاسنِ اقوامٍ تكنُ كالمعائب .
تحاول ثاراً عند بعض الكواكب .
يُصان رداءُ الملك عن كل جاذب^٣ ،
أهابي تسفي في وجوه التجارب^٤ .
به ، ميلَ عينيه ، مكان العواقب^٥ ؛

(١ و ٢) و طد : ثبت . المناقب : الخصال الحميدة . ذو قار موقع في أدنى العراق وقعت فيه معركة بين العرب والفرس فانتصر العرب على الفرس عام ٦١٠ م (أول سنة من بعثة محمد رسول الله) . أمالت عروشهم : قصت على ملكهم . قصة تميم وعجل في البيتين :

كان حاجب بن زرارة بن عدس (بضم العين والذال) قد نزل بقومه في أرض الحيرة . فاستدعى كسرى وفداً من بني تميم وشرط عليهم في سبيل بقائهم حيث نزلوا ألا يمتدوا على أحد من جيرانهم ، وطلب منهم على ذلك رهناً . فدفع حاجب بن زرارة قوسه رهناً على ذلك . وقد قبل كسرى القوس رهناً ، ووفى بنو تميم لكسرى بما كان قد شرطه عليهم ، وصار ذلك معدوداً في مناقب بني تميم .

ولما اجتمع العرب في ذي قار لمحاربة الفرس خاف بعض العرب من خوض معركة مع الفرس وأرادوا أن يفروا . غير أن حنظلة بن ثعلبة العجلي نصب خيمة وجلس قربها ثم قال : لا أفر حتى تفر هذه الخيمة . فعاد الناس كلهم وحاربوا الفرس وانتصروا عليهم . ثم جاء الاسلام وقضي على ملك الفرس .

(٣) الأفشين هو حيدر بن كاوس أحد قواد الخليفة المعتمد . به يصان رداء الملك عن كل جاذب : به يدفع الثائرون على الدولة (هو الذي يحمي الدولة من كل ثائر عليها) .

(٤) استخذل النصر : فقد جراته (بدأ المسلمون بالانهزام في حرب بابك الخرمي في جبال البذل في خراسان) . اكتسى (لبس) أهابي (جمع أهاب ، بكسر الهمزة : غبار) تسفي (تتور ، تهب) في وجوه التجارب (تمنع الحكيم المجرب من رؤية وجه الصواب) . — لما خان الحظ الأفشين ولم تنفعه شهرته الماضية وتجاربه الكثيرة في الحروب في أحرار النصر .

(٥) تجلته بالرأي (الخطاب لأبي دلف المدوح في هذه القصيدة) : علوته بالرأي ، بصرتة =

بأرشق ، اذ سألت عليهم غَمَامَةً
سللت لهم سيفين : رأياً ومُنْصَلاً ؛
وكنْتُ ، متى تَهَزَّزَ لَخَطْبٍ تُغْشِيهِ
فذكرُكَ في قلب الخليفة . بعدها .
فانْ تُنْسَ يَذْكُرُ ، أو يقلُ فيكَ حاسد
فأنت لديه حاضر ، غيرَ حاضر .
إليك أَرْحَنَّا عازِبَ الشعر ، بعدما
جرت بالعوالي والعناق الشواذب ١ .
وكلَّ كَنَجمٍ في الدَّجْنَةِ ثاقب ٢ .
ضرائبَ أمضى من رِقاق المضارب ٣ .
خليفَتُكَ المُقْفَى بأعلى المراتب ٤ :
يُغَلِّ قَوْلُهُ . أو تنأ دارُ يُصَاقب ٥ :
بذكر ؛ وعنه غائب ، غير غائب ٦ .
تمهَّل في روض المعاني العجائب ٧ .

- به ، دلته على الخطة الصحيحة للتغلب على بابك الحرمي . حتى أريته به (بذلك الرأي)
ملء عينيه (بكل وضوح ، حتى أقنعت) . مكان العواقب (نتيجة استمرار الانهزام وأنها
ستكون سيئة ، لا على الافشين وعلى جيشه فقط ، بل على العرب والاسلام أيضاً) .
يحسن أن نعلم هنا أن الافشين كان متهماً بمائة بابك الحرمي ، وأن الخليفة المعتمد
أدرك ذلك فأرسل أبا دلف العجلي في جيش كبير لنجدة الافشين في الظاهر ولمرابة الافشين
ولمنعه من المائلة مع بابك الحرمي في الحقيقة .
(١) أرشق : حصن للمسلمين في موقان (كورة في أرمينية) . اذ سألت عليهم غمامة : لما قام
بابك الحرمي بهجوم على الحامية الاسلامية فكاد يبيدها . العوالي . الرماح . العناق : الخيل
الاصيلة . الشواذب : الضامر .
(٢) سللت له سيفين رأياً ومنصلاً (أعنته برأيك وبسيفك) . الدجنة : الظلام . ثاقب :
يثقب ، يخترق . النجم الثاقب : النجم الشديد اللمعان الذي يضيء ما حوله .
(٣) تهز ز لخطب : تسأل رأيك في أمر مشكل أو عظيم . تغشي : تلبس ، تبدي فيه (رأياً) .
ضرائب جمع ضريبة : خليقة ، طبيعة ، رأي . أمضى : أشد قطعاً ، أصح رأياً .
رقاق المضارب : السيوف الماضية (القاطمة) .
(٤) بعدها : بعد هذه المعركة . خليفتك المقفى : يقوم مقامك أو مقام حضورك في مجالس
الخليفة المعتمد . المقفى : المخصوص بالتقرب والتفضيل .
(٥) فان تنس يذكر : اذا نسيت أحد ذكرك الخليفة المعتمد . يقل قوله : يبطل قوله ،
لا يقبل فيك رأيه . أو تنأ دار يصاقب : واذا اتفق أن كنت بعيداً عنه (تقوم له بمهمة
أو تحارب في معركة) فانه يصاقب (يقترب منك بذكره لك ومدحه إياك والاحسان إليك) .
(٦) فأنت دائماً حاضر عنده بذكرك وان كنت غائباً عن مجلسه بجسمك (غير منصوبة على الحال) .
وكثيراً ما تكون غائباً عن مجلسه بجسمك ولكنك حاضر في قلبه بذكره إياك .
(٧) أراح الراعي الغنم : ردها في المساء الى المبيت بعد أن رعت طول النهار . عازب الشعر :

غرائبُ لاقت في فيناثك أنسها
ولو كان ينفي الشعرُ أفناه ما قررت
ولكنه صوبُ العقول ؛ اذا انجلت
اقول لاصحابي : « هو القاسمُ الذي
واني لأرجو ، عاجلاً ، ان تردني
من المجد ، فهي الآن غيرُ غرائب ١ .
حياضكُ منه في العصور الذواهب ٢ .
سحائبُ منه أعقبتُ بسحائب ٣ .
به شرح الجودُ التباسَ المذاهب ٤ » .
مواهبهُ بحراً تُرجى مواهي ٥ .

- = الشعر البعيد عن مألوف الشعراء الآخرين . تمهل في روض المعاني العجائب : بقي مدة طويلة في حدائق الأدب تنتقى له المعاني الغريبة الجميلة (يقول الشاعر للمدوح : مدحتك بشعر قد تأنقت فيه وصرفت في انتقاء معانيه وقتاً طويلاً) .
- (١) كانت هذه المعاني غريبة لم يفهمها الناس ، فلما وصلت إليك وجدت عندك مجداً غريباً أيضاً (لم يألفه الناس من قبل) فأنتست معاني الغريبة بمجدك الغريب فهي الآن عندك غير غريبة .
- (٢) قرى : جمع . الحياض جمع حوض : حفرة في الأرض يجمع فيها الماء (شبه الشاعر مدوحه بالحوض وشبه الشعر الذي مدح به المدوح وقومه بالماء ثم قال) : لو كان الشعر ماء (شيئاً محدوداً) لفني (لنفد من جميع الأرض) لكثرة ما اجتمع منه في حياضك (لكثرة مدحت أنت وقومك من قبل بالشعر) .
- (٣) الصوب : انصباب (انهمار) المطر من السماء . انجلت : انكشفت ، ذهبت . أعقبت بسحائب : خلفتها (جاءت بعدها بلا نهاية) سحب حديدية . - الشعر نبع يجري من العقول ، فكلمها صدرت منه سحائب (سلاسل من المعاني) تبعثها سحائب جديدة ، بلا نهاية .
- (٤) القاسم اسم ابي دلف العجلي . - للناس الأجواد مذاهب (طرق) مختلفة ومتناقضة أحياناً في بذل المال . وأبو دلف يبذل ماله في جميع الوجوه وبطرق مختلفة ، حتى لكناً مذهبه في الجود يفسر جميع المذاهب الاخرى ويوفق بين طرقها المختلفة .
- (٥) اني آمل أن يعطيني أبو دلف (على شعري هذا) ، في وقت قريب جداً ، عطاء كثيراً يعطيني غنياً جداً مما يجعل الناس يأتون الي ويرجون مني أن أعطيهم عطايأ كثيرة .

فتح عمورية

خرج توفيل (ثيوفيلوس) امبراطور الروم الى زِبْطُرَة ، وهي بلدة وُلد فيها المعتصم . وقيل : بل ولدت أمه فيها ، وسبي من أهلها وارْتَكَب فِظَائِعَ هائلةً على ما يُخْبِرُنَا المؤرِّخُونَ . وروَوْا ان امرأة هاشمية صرخت ، لما وقعت في السبي : وامعتصماه ! فلما اتصل خبر ذلك كله بالمعتصم تجهَّزَ أعظمَ جِهازٍ وقصد عين عيون مدن الروم ، عمورية (منشأ الاسرة الرومية المالكة) الاسرة العمورية^١ التي ينسب اليها توفيل ، في ٦ رمضان ٢٢٣ (صيف ٧٣٨ م) ، فتركها قاعاً صفصفاً . وكان أبو تمام مع المعتصم ، فلما عاد المعتصم الى عاصمته سامراً ، سنة ٢٢٤ أنشده أبو تمام هذه القصيدة :

السيفُ اُصْدَقُ إِنْباءٍ من الكُتُبِ ؛ في حَدِّه الحدَّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ^٣ .
بيضُ الصَّفائحِ ، لا سود الصَّحائفِ في مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ والرَّيْبِ^٤ .

(I) Amorian Dynasty .

(٢) راجع الفخري ١٧١ .

(٣) في حد السيف (الحرب) فاصل بين الرصانة والهزل (الحق والباطل) : كان المنجمون في البلاط الرومي قد ذكروا للامبراطور أن العرب لن يستطيعوا فتح عمورية قبل نضج التين والعنب ، على ما تقول النجوم .

(٤) الحديد المصقول (السيوف : الحرب ، القتال) لا الصفحات السود (المكتوبة بالحبر الأسود : الرسائل) تزيل الشك من النفوس في انتصار العرب .

والعلمُ في شُهْبِ الأرماح ، لامعةٌ
 اين الروايةُ . بل اين النجومُ : وما
 تَحَرُّصاً . واحاديثاً مُلَقَّقةً :
 عجائباً ، زعموا الأيامَ مُجفلةً
 وخوفوا الناسَ من دهياءَ مظلمة
 وصيروا الأبرجَ العلنيا مرتبةً
 يَفْقُضُونَ بالأمرعنها ، وهْيَ غافلةٌ :
 لو بيّنت قطُ امرأً قبل مَوَاقِعِهِ
 فتحُ الفُتُوح . تعالى ان يُحِيطَ به
 فتحٌ تَفْتَحُ ابوابُ السماءِ له :
 يا يومَ وقعةِ عَمُورِيَّةَ انصرفت
 أبقيت جدَّ بني الاسلام في صُعد ،

بين الحَمِيسَيْنِ ، لاني السبعةِ الشُهْبِ ١ .
 صاغوه من زُخْرُفِ فيها ومن كَذِبِ ؟
 ليست بِنَبْعٍ اِذا عُدَّتْ ولا غَرَبَ ٢ !
 عنهن . في صفر الاصنار او رجب .
 اذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذَنَبِ ٣ .
 ما كان مُنْقَلِباً او غيرَ مُنْقَلِبِ .
 ما دار في فَلَكَ مِنْهَا وفي قُطْبِ .
 لم تُخَفِ ما حلَّ بالأوثانِ والصُّلْبِ !
 نظمٌ من الشعرِ او نثرٌ من الخطَبِ .
 وتبرُّزُ الأرضُ في اثوابها القُشْبِ .
 منك المُنَى حُقُلاً معسولةَ الحَلَبِ ٤ :
 والمُشركين ودار الشِرْكِ في صَبَبِ ٥ .

(١) المعرفة بانحصار أحد الجيشين على الآخر تأتي من العلم باستعمال الرماح (بالحرب) اذا التقى الحميسان (الجيشان) لا من العلم المزعوم بحركات الشهب السبعة (الكواكب السبعة السيارة) ، أي من فن التنجيم الخرافي .

(٢) التخرص : الكذب . النبع : شجر تصنع من أغصانه الرماح . والغرب : شجر آخر . ان الذي زعمه منجمو الروم لا أصل له ولا يعتمد عليه (لا هو خشب تصنع منه الرماح ولا خشب يستعمل لأمر أخرى) .

(٣) دهياه : مصيبة . الكوكب الغربي ذو الذنب . قال ابن الاثير (٦ : ١٩٤) : وفيها (في سنة ٢٢٢ هـ (٨٣٧ م)) ظهر عن يسار القبلة كوكب له شبه الذنب ، وكان طويلاً جداً فهاه الناس ذلك . هذا الكوكب المذنب المعروف باسم مذنب هالي ، وهو يظهر في سماننا مرة كل ٧٦ سنة ؛ وكانت آخر مرة ظهر فيها في الخامس من أيار (مايو) من عام ١٩١٠ .

(٤) حفل : حافلة ، مزدحمة ، مملوءة . معسولة الحلب : لبنها حلو الطعم . - رجع الجيش الاسلامي من معركة عمورية منصوراً محققاً أمانيه (شبه الأمانى بضروع الناقة المملوءة باللبن الحلو الطعم) .

(٥) دار الشرك : القسطنطينية (عاصمة الامبراطورية الرومية) . في صعد : في ارتفاع (سرور) . في صبب : في انحدار (حزن) .

أُمَّ لَهُمْ ، لَوْ رَجَعُوا أَنْ تُفْنِدُوا جَعَلُوا
وَبَرَزَهُ الْوَجْهَ قَدْ أُعِيَتْ رِيَاضَتُهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ ؛ قَدْ
بَكَرْتُ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفَّ حَادِثَةٌ ،
حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللَّهُ السَّنِينَ لَهَا
أَتَتْهُمْ الْكَرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةٌ
جَرَى لَهَا النَّالُ بَرَحًا يَوْمَ أَنْقَرَةِ
لَمَّا رَأَتْ اخْتِهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ
فِدَاءُهَا كُلَّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَب .
كِسْرَى ، وَصَدَّتْ صُدُودَ عَنْ أَبِي كَرْبٍ
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي ، وَهِيَ لَمْ تَشَب .
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوْبِ ٢ .
مَخْضَ الْبَخِيلَةِ ، كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقَبِ ٣ .
مِنْهَا ، وَكَانَ اسْمُهَا فَرَاجَةَ الْكَرْبِ ٤ .
إِذَا غَوْدَرْتُ وَحِشَةَ السَّاحَاتِ وَالرَّحَبِ ٥ .
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ .

(١) البرزة : المرأة الجليلة تبرز للناس تحادتهم . شبه عمورية بالمرأة البرزة التي لم يستطع كسرى (يقصد : ملوك الفرس) ولا أبو كرب (بن حسان ملك اليمن ؛ يقصد : ملوك اليمن) على كثرة حروب الفرس واليمن وانتصارهم ، أن يسيطروا عليها (وسيطر عليها العرب) - لم يقدر على فتح عمورية لا الفرس ولا اليمن (ولا غيرهم) وفتحها العرب بسهولة .

(٢) بكر : عذراء . افترع الجارية : دخل بها . - ان الاحداث الكبرى لم تستطع أن تؤثر في عمورية ؛ والمصائب الشديدة لم تستطع الرقي الى عمورية .

(٣) مخض اللبن : خضه حتى يتفصل الزبد منه . مخض البخيلة : أي بالغت في الخض حتى لم تدع في ماء اللبن شيئاً من الزبد . كانت زبدة الحقب : اجتمعت فيها (في عمورية) كنوز الدهور (ثم جاء المسلمون فظفروا بتلك الكنوز كلها) . والاستعارة في هذا البيت من اختراع أبي تمام .

(٤) سادرة : حائرة . و (سادرة) حال ، وصاحب الحال هنا (عمورية) (المعنى : وعمورية حائرة متعجبة كيف استطاع المعتصم أن يفتحها) . كان اسمها فراجة الكرب : كان الروم اذا خافوا خطراً من شيء احتموا بها لأنهم كانوا قد أعدوها لمثل ذلك ، فجاءهم الآن الخطر منها نفسها .

(٥) الفأل : الأمل الحسن . البرح : الثوم والنحس . الساحة والرحبة (بكسر الراء وسكون الحاء ، أو بفتح الراء والحاء) : الأرض الواسعة المسكونة . وحشة الساحات والرحب : خالية ، مهجورة . يوم أنقرة : يوم معركة أنقرة وفتحها . غودرت : غادرها أهلها ، هجروها ، فروا منها . - لما سمع أهل عمورية بتخريب المعتصم لأنقرة أيقنوا أنه سيحل ببلدتهم ما حل بأنقرة فهربوا من بلدتهم .

كم بين حيطانها من فارس بطل
بسنة السيف والخطي من دمه ،
لقد تركت . امير المؤمنين . بها
غادرت فيها بهم الليل وهو ضحي
حتى كأن جلايب الدجى رغبت
ضوء من النار ، والظلماء عاكفة ؛
وظلمة من دُخان ، في ضحي شحِب .
فالشمس طالعة من ذا ، وقد أفلت ؛
تصرّح الدهرُ تصرّح الغمام لها
عن يوم هيجاء منها طاهر جُنُب :^٨

- (١) قان : شديد الحمرة . آن : حار . سرب : سائل جار . كثر فيها الفوارس القتل من الروم ، وكثرت الدماء حتى بليت ذوائب الفرسان (وكان الفرسان يرخون ذوائبهم) .
(٢) على ان هذا القتل الذريع في الروم لم يكن بالقانون الاسلامي (لاختلاف الدين بين المتحاربين) بل بالقانون الطبيعي : قانون السيف والرمح (لأن الروم اعتدوا على بلد اسلامي) .
(٣) لقد كثرت النار التي أوقدها العرب لاحتراق البلد واشتدت تلك النار حتى احترقت الصخور فيها بعد أن احترق الخشب .
(٤) يشله : يطرده . - كان ضوء النار يبدد ظلام الليل في عمورية المحترقة حتى كأن الصبح كان يطلع فيها في ذلك الحين .
(٥) جلايب جمع جلاب : ثوب . رغب عن الشيء : تركه ، كرهه . - كأن السواد لم يبق لونا لليل .
(٦) عاكفه : نازله ، دائمة (الوقت ليل) . شحب : متغير اللون ، قليل اللون (يخالطه بياض أو صفرة) .
(٧) أفلت : غربت . واجبة : غاربة . - ان اشتعال النار في الليل يوهنا أن الشمس طالعة ، وان كثرة الدخان في النهار توهنا أن الشمس غائبة .
(٨) بوغنت عمورية بالخراب ، كما ينشق الغيم عن صفحة السماء (فجأة) . يوم هيجاء : حرب . طاهر لأن المسلمين خرجوا غازين في سبيل الله ، فالقتال في عمورية كان حلالا لأنه رد على اعتداء الروم عليهم . جنب : لأن الدم سال فيه . والشراح يفسرون « جنباً » على الحقيقة فيقولون : ان المسلمين أسروا نساء وتشوهن .

لم تطلع الشمس فيه يومَ ذلك على
 ما رُبَّ مَيَّةَ ، معموراً يُطِيفُ به
 ولا الحدودُ وقد أدمينَ ، من خجل ،
 سماجةٌ غَنِيَتْ منا العيونُ بها ،
 وحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تبدو عواقبه
 لو يعلمُ الكفرُكم من أعصرِ كَمَنْتَ
 تدبيرُ مُعْتَصِمٍ بالله ، منتقم
 ومُطْعَمُ النصرِ لم تكنهم أسنته
 لم يغز قوماً ، ولم ينهض الى بلد ،

بان بأهلٍ ، ولم تغربُ على عزَبٍ ١ .
 غَيْلَانُ ، أبهى رُبى من ربيعها الخرب ٢ .
 اشهى إلى ناظري من خدّها الترب .
 عن كلِّ حُسْنٍ بدا أو منظر عَجَب .
 جاءت بِشاشته من سوء منقلب ٣ .
 له المنيّةُ بين السُمُرِ والقُضْب ٤ .
 لله ، مرتقبٍ في الله ، مرتغب ٥ .
 يوماً ، ولا حُجبت عن رُوحٍ مُحْتَجِب ٦ .
 الا تقدمه جيشٌ من الرُعْب ٧ .

- (١) بان : متزوج . الأهل : الزوجة . العزب : من لم يتزوج بعد . - لما دخل المسلمون
 المعركة (مع طلوع الشمس) لم يكن فيهم أحد متزوجاً ، ولما انتهوا من المعركة (قبل غروب
 الشمس) لم يكن قد بقي أحد منهم بلا زوجة (كناية عن كثرة السبي من النساء خاصة) .
- (٢) غيلان بن عقبة الشاعر المعروف ببنى الرمة شغل بمية بنت طلبة وظل يهيم في ديارها أملاً
 في رؤيتها عشرين سنة . - ما كان منزل مية ، ومية فيه ، أحب الى غيلان من عمورية
 الخربة (بعد تلك الحرب) في نظر المسلمين .
- (٣) كانت نتيجة المعركة ظفراً للمسلمين وسروراً لهم ، سرور المسلمين جاء من انهزام الروم ونكبتهم .
- (٤) السر : الرماح . القضب جميع قضيب : السيف . - ان العرب كانوا قد صبروا طويلاً على
 اعتداءات الروم .
- (٥) ان الخليفة المعتصم بالله (متكل في ما يعمل على الله) ، منتقم لله (قد غزا الروم
 لأنهم نكثوا عهد الله بالسلام) ، مرتقب في الله (يعمل كل ما يعمل وهو حريص على ألا يخالف
 أوامر الله في شيء) ، مرتغب : راغب (في هذه الحرب) في ما يرضي الله وفي ما يقربه
 الى الله .
- (٦) النصل السيف . كهـم : كل فلم يقطع . - قاتل بسيفه كثيراً وقتل كثيرين ، ولم يكل سيفه
 ولا استطاع أحد أن يستتر عنه فلا يقتل .
- (٧) يدخل الرعب من المعتصم على الاعداء قبل أن يصل المعتصم اليهم . في هذا البيت نظر الى
 الحديث الشريف : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد ... ونصرت بالرعب مسيرة شهر (أو
 ما معناه) .

لولم يقُدْ جحفلًا يوم الوَغَى ؛ لغدا - من نفسه وحدَها - في جحفلٍ بحِبٍ ١ .
رمى بك الله بُرجيَّها فهدَمَها ؛ ولو رمى بك غيرُ الله لم تُصَب ٢ .
من بعدَ ما اشتَبوها ، واثقين بها ؛ والله فَتَّاحُ بابِ المَعْقِلِ الأَشِيبِ ٣ .
وقال ذو امرهم : « لا مرتعٌ صدَدٌ » امانيا سلبتَهم نُجَجَحَ هاجِسَها
ان الحِمَّامين : من بيضٍ ومن سمر
لبيت صوتًا زِبْطُريًا هَرَقَتْ له كأسُ الكرى ورِضابُ الخُرْدِ العُربُ ٥ .
عداك حرَّ الثغورِ المُستَضامةِ عن بَرْدِ الثغورِ ، وعن سلسالِها الحَصِيبِ ٨ .

(١) الجحفل : الجيش العظيم . اللجب : الصنْب الكثير الأصوات (لكثرة الرجال والخيل فيه) .
(٢) ان الله سخرَك لتهدِئِها فاستطعت تهدِئِها ، ولو أنك أردت من غزو عمورية عرضاً من أعراس الدنيا أو انتقاماً من عند نفسك لما استطعت ذلك ؛ راجع الآية الكريمة : « وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى (١٧ : ٨ سورة الانفال) .

(٣) أشب البلد : بالغ في تحصينها . واثقين بها : مطمئنين الى أنها لا تفتح . وهذا صحيح ، ولكن في هذه المرة لم يفتحها انسان مثلهم ولكن الله هو الذي أراد فتحها على يد المعتصم .
(٤) ذو أمرهم : رئيسهم . لا مرتع صدَد : لا عشب قريب (لخيلهم) . وليس الورد (استقاء الماء) من كتب (في مكان قريب) .

(٥) الهاجس : الفكر الذي يدور في النفس . الظبي جمع ظبة (بضم الظاء وفتح الباء) : حد السيف . طرف القناة : فصل الرمح . السلب جمع سلب (يفتح السين وكسر اللام) : الطويل ، أو جمع سلوب : يسلب الناس أموالهم وأرواحهم . - ان ظفر المسلمين في القتال أفسد على الروم آمالهم وأمانهم .

(٦) ان الحمامين (الموتين ، القاتلين) من بيض (سيوف) ومن سمر (رماح) هما الدلوان (الوسيلتان) للحياتين (سببا الحياة) من الماء والعشب .

(٧) لبيت صوتًا زبْطُريًا (راجع مقدمة القصيدة) . هرق : سكب (تخلى عن) . الكرى : النوم . الرضاب : الريق . الخرد : جمع خريدة : المرأة الجميلة . العرب جمع عريب (يفتح العين) : المرأة المتحبة الى زوجها . - تركت راحتك ونعيمك في سبيل نصرة المظلومين .

(٨) عداك : تعدى بك ، تجاوزت ، تركت . الثغور الاولى : البلدان التي يخشى منها عجمي المو ؛ حر الثغور : الحرب . المستضامة : المهضومة الحق ، المظلومة . الثغور الثانية =

اجبته مُعلنًا بالسيف ، مُنصلتًا ،
حتى تركت عمود الشرك منقعرًا ،
لما رأى الحرب رأي العين توفيلس .
غدا يصرفُ بالأموالِ جريتها ؛
هيهات ! زُعزت الأرضُ الوقورُ به
لم يُنفقِ الذهبَ المُربي بكثرة
ان الاسود ، اسود الغاب ، همتها
ولى وقد ألجم الخطيئُ منطيقه

ولو اجبنتَ بغيرِ السيفِ لم تُجب ١ ،
ولم تعرج على الأوتاد والطنب ٢ .
والحرب مشتقةُ المعنى من الحَرَب ٣ ،
فعزه البحرُ ذو التيارِ والحدب ٤ .
عن غزو مُحْتَسِب لا غزوٍ مكتسب ٥ .
على الحصى ، وبه فقرُ الى الذهب ٦ :
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب ٧ .
بسكتةٍ خلفها الاحشاءُ في صخب ٨ .

= جمع ثغر الذي هو فم الانسان . برد الثغور : ريق الثغور البارد (كناية عن النسيم مع انثناء) . السلال الحصب : الماء الصافي الذي يكون في المجاري الصخرية التي يكثر فيها .
الحصى (كناية أيضاً عن اللهو مع النساء) .

(١) منصلتاً : مجرداً من غمده (للقتال) . لو لم تحارب لما أخذت بحق أهل زبطرة .
(٢) عمود الشرك : قاعدة الروم في آسية الصغرى (عمورية) . - منقعر : مهدم . لم تعرج :
لم تمل الى (لم تتخل) . الاوتاد والطنب : قطع صغيرة من الخشب تشد بها أطراف الخيمة
الى الأرض (كناية عن القرى التي كانت حول عمورية) .

(٣) الحرب (بفتح الحاء والراء) : السلب .
(٤) جريتها : مجراها (بجري الحرب) بطلب الصلح . عزه : غلبه . البحر (كناية عن جيش
العرب الكبير) . ذو التيار : المتدافع المتوالي . الحدب : ذو الأمواج العالية (كان هجوم
العرب وانتصارهم سريعين جداً حتى أنهما لم يتركا مجالاً أمام ثيوفيلوس يطلب فيه الصلح) .
ذكر فنلاي (ص ١٤٧) أن ثيوفيلوس عرض على المعتصم ٢٤٠٠ ليرة من الذهب
(نحو ١١٠٠ كيلو) .

(٥) هيهات : ما أبعد ذلك ! زعزت الأرض الوقور به : ان الأرض الثقيلة الثابتة قد
ارتجعت بعنف تحت أقدام ثيوفيلوس لأن غزو المعتصم لبلاد الروم كان احتساباً في سبيل
الله لا تكسباً للمال .

(٦) لو كان محتاجاً الى المال لما أنفق في سبيل هذه الغزوة مالا أكثر عدداً من حجارة بلاد الروم .
(٧) ان أسود الحرب (الابطال الحقيقيين) يقصدون قتل الابطال من أعدائهم لا سبي المتاع .
(٨) ولى : هرب . ألجم الخطيئ منطقة : أصبحت الرماح بلحماً في فمه (منعتة الهزيمة من الحق
في الكلام) . تحبها الاحشاء في صخب : كان قلبه مضطرباً بكلام يريد أن يقوله فلا يستطيع

أَحْذَى قَرَابِنَتَهُ صَرْفَ الرَّدَى وَمَضَى
مَوْكَلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ
أَنْ يَعْتُدَّ مِنْ حَرْهَا عَدُوَّ الظَّلِيمِ فَقَدْ
تَسْعُونَ الْفَأْكَاسَادَ الشَّرَى تَضَجَّتْ
يَا رُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُنَتْ دَابِرُهُمْ
وَمُغْضِبُ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَسَجِجٍ
كَمْ نِيلٍ، تَحْتَ سَنَاهَا، مِنْ سَنَى قَمَرٍ؛
يَحْتَسُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْهَرْبِ ١،
مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَةِ الطَّرِبِ ٢،
أَوْسَعَتْ جَاحَهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ ٣،
جَلُودَهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالْعَنْبِ ٤،
طَابَتْ، وَلَوْ ضُمَّتْ بِالْمَسْكِ لَمْ تَطِيبْ ٥،
حَتَّى الرُّضَى مِنْ رَدَاهُمْ مَيَّتَ الْغَضَبِ ٦،
تَجْتُو الْكُمَاةُ بِهِ، صُعْرًا، عَلَى الرُّكْبِ ٧،
وَتَحْتَ عَارِضِهَا ، مِنْ عَارِضِ شَنِيبِ ٨.

- (١) ترك خاصته الابطال المقرين اليه للموت ثم ركب أسرع خيوله ليهرب عليه .
(٢) موكلا بيفاع الارض : كأنه وكيل على يفاع (مرتفعات) الارض يقفز من واحد الى واحد منها (في أثناء هربه) ، ثم يشرفه (يعلو على اليفاع = المرتفع من الارض) ليرى هل يتبعه أحد . ان الخوف قد جعله سريعاً في ركضه لا الفرح والمرح .
(٣) عدا يعلو علواً : ركض يركض ركضاً . الظليم : ذكر النعام (وهو معروف بسرعة الجري) ان ثيوفيلوس معنور في هربه من ميدان المعركة بهذه السرعة لأنك أكثر (ايها الخليفة المتعصم) النار فيها (أثرت عليه حرباً شديدة لا قبل له باحتمالها) .
(٤) تسعون ألفاً من الروم كأسود الشرى (الجبال) المعروفة ببأسها . نضجت جلودهم : ماتوا حرقاً في عمورية . راجع قوله تعالى « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيراً لينوقوا العذاب ... » قبل نضج التين والعنب : قبل الصيف (الوقت الذي حدده منجمو امبرطور الروم وكهنته لامكان فتح عمورية) . عظم أبو تمام شأن الروم حتى يبين مدى شجاعة العرب . وقد ذكر فتلاي (ص ١٤٧) أن القتل الروم كانوا ثلاثين ألفاً سوى الاسرى .
(٥) الحوباء : النفس . لما اجتث دابرهم : لما قتل المحاربون الروم عن بكرة أبيهم . طابت : سرت . ضمخت بالطيب : طليت بمادة زكية الرائحة . - كم من نفس قد سر صاحبها بهلاك هؤلاء الاعداء من الروم أكثر مما كانت تمر لو أن صاحبها دهن نفسه بالطيب .
(٦) غضب المتعصم لما بلغت اليه استغاثة الهاشمية وما قال المسلمين في زبطرة (راجع مقدمة القصيدة) ، فلما قتل أولئك المتعدين عاد اليه رضاه وذهب غضبه .
(٧) مازق بلج : مكان ضيق (بمساحته وبازدحام المتقاتلين فيه) . جثا : ركع (على ركبتيه) صمرا : مائلين بأجسامهم الى الامام (من شدة القتال) . الككاة جمع كمي : البطل .
(٨) سناها : سنى الحرب (نيرانها) . سنى قمر : جمال امرأة (امرأة جميلة) . عارضها : عارض =

كم كان، في قطع اسباب الرقاب بها، الى المخدرة العذراء من سبب ١.
 كم احرزت قصب الهندي، مصلته تهتز، من قصب تهتز في كُثْب ٢ :
 بيض اذا انتضيت من حُجبهارجعت احق بالبيض، ابدانا، من الحجب ٣.

• • •

خليفة الله، جازى الله سعيك عن جرثومه الدين والاسلام والحسب ٤.
 بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب.
 ان كان بين صروف الدهر من رحيم موصولة، او ذمام غير منقضب ٥.

= الحرب (اشتدادها . شبه اشتداد الحرب بالعارض من المطر المتلاحق) . عارض شنب :
 ناب أو ضرر من بارد الرقيق (كناية عن المرأة الجميلة) . - أسر العرب في تلك الحرب عدد
 كبيراً من الروميات الجميلات .

(١) أسباب الرقاب : عروق الرقبة . المخدرة العذراء : المرأة المصونة البكر . سبب : وسيلة .
 لم يكن الوصول الى تلك النساء الروميات مكنأ الا بقتل الابطال اليونانيين الذين اعتدوا على
 زبطرة التي كانت في حكم العرب .

(٢) القصب جمع قضيب : السيف الرقيق . الهندي : صنع الهند . مصلته : مجردة من اغداها .
 تهتز : يلوح بها المجاهدون العرب . قصب هنا جمع قضيب : الفصن المستقيم من الشجر
 (كناية عن المرأة ذات القوام الطويل الجميل) . تهتز : تتأيل من الجمال والدلال . الكذب
 جمع كتيب وهو الرمل الملتف (كناية عن المرأة الفخمة الجسم) . - سبت سيوف العرب
 نساء جميلات (من الروم) .

(٣) بيض الاولى جمع أبيض : سيف . حجبها الاولى جمع حجاب : غمد السيف . انتضيت
 (السيوف) : سلت (أخرجت من أغداها) . البيض الثانية يبيض جمع : المرأة الجميلة .
 الحجب الثانية جمع حجاب : ستر المرأة (بيئها) . - ان السيوف التي انتصرت في موقعة
 عمورية أصبحت أحق بالنساء الروميات من بيوت الروميات (أصبح العرب أحق بنساء
 الروم من الروم أنفسهم) .

(٤) الجرثومة الاصل . الحسب : العمل الجميل الكريم .

(٥) صروف الدهر : أحداثه الكبرى . رحم : قرابة . ذمام : عهد . منقضب : منقطع .

فبين أيامك اللاتي نُصرتَ بها وبين أيام بدرٍ اقربُ النسبِ ؛
أبقتُ بني الاصفرِ المُصفرَ كاسمِهِمْ صُفرَ الوجوهِ ، وجلتُ أوجهَ العربِ !

(١) أيامك اللاتي نصرت بها (معركة عمورية) . بدر : معركة بدر (رمضان سنة ٨٢ = ٦٢٤ م)
 أول معارك الاسلام ضد المشركين والتي فتحت باب النصر أمام المسلمين .
 (٢) بنو الاصفر : الروم . المصفر : المعتل ، المريض . كاسمهم : كاسم أبيهم ، كأبيهم .
 صفر الوجوه : معتلين (مرضى على الحقيقة) مثل أبيهم الذي اكتسب اسمه من لون وجهه .
 جلت : بيضت ، كرمت . - هذه الموقعة (موقعة عمورية) جعلت أوجه الروم تصفر
 (تسود) وأوجه العرب تبيض . هذا البيت معقد وقاصر في التعبير قليلا ، ويمكن أن
 يقرأ هكذا :

أبقت بني الاصفر المصفر ، كاسمهم صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب .
 ثم ان كلمة «أوجه» يمكن أن تكون منصوبة بالفعل «جلت» (وفاعل الفعل ضمير مستتر يرجع
 الى معركة عمورية) ، ويمكن أن تكون مرفوعة على الاستئناف : جلت أوجه العرب !

المصادر والمراجع

- أبو تمام ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ .
أبو تمام الطائي : حياته وحياة شعره ، تأليف نجيب محمد البهيّتي ، القاهرة ١٩٤٥ .
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، لندن ١٨٧٧ م .
أخبار أبي تمام للصولي ، نشره وحققه وعلّق عليه خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزّام ونظير الاسلام الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
أخبار البحري للصولي ، حققها وعلّق عليها صالح الاشتر (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٩٥٨ .
الأدب العربي في آثار الدارسين ، اشرفت على اخراجه هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ١٩٦١ .
الأدب في ظل التشيع ، تأليف عبدالله نعمة ، صيداء ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .
أسرار البلاغة لابي بكر عبدالقادر الجرجاني (تحقيق هـ . ريتّر) ، استانبول ١٩٥٤ .

الاسود = شرح ابي تمام بشرح ملحم الاسود .

أعيان الشيعة (الجزء ١٩ : أبو تمام) ؛ تأليف محسن الأمين ، دمشق

(١) طال الزمن على هذه الدراسة في التنقيح والاعداد للطبع . ويبدو انني في بعض الأحيان قد رجعت الى مصدر في طبعين مختلفتين . ولقد اشرت الى ذلك في مواضعه . ولكن يمكن ان اكون قد سهوت عن مثل هذه الاشارة عدداً من المرات .

١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

الاغاني (بولاق)

أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،
(مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ، دمشق ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
أمراء الشعر العربي ، تأليف أنيس المقدسي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٣٦ م
بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام ، شرح ملحمة الاسود ، الجزء الأول ،
بيروت ١٩٣٨ .

ت = ديوان ابي تمام بشرح التبريزي .

تاج العروس

تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان ، طبعة جديدة ، القاهرة
١٩٥٧ .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى

تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ليدن) .
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، تأليف أبي الوليد عبدالله بن محمد بن
يوسف الازدي المعروف بأبن الفرّضي ، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
تاريخ الكامل لابن الاثير ، مصر ، المطبعة الازهرية ، ١٣٠١ هـ .
التحف والهدايا لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين ، مصر
١٩٥٦ م .

تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر .

حركة التأليف عند العرب ، تأليف الدكتور أمجد الطرابلسي ، الجزء الأول ،
دمشق ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادى ، مصر ١٣٤٧ هـ .

دراسة في حماسة ابي تمام ، تأليف علي النجدي ناصف ، القاهرة ١٩٥٥ م .
دراسات فنية في الأدب العربي ، تأليف الدكتور عبدالكريم اليسانى ، دمشق
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

- ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٨ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت المطبعة الأدبية ١٨٨٩ م .
- ديوان أبي تمام ، بيروت (شرح محيي الدين الخياط) ١٣٢٣ هـ .
- ديوان أبي تمام (نشره أحمد عثمان عبدالمجيد) القاهرة ١٩٤١ .
- ديوان أبي تمام (مطبعة صبيح) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان أبي تمام (مطبعة حجازي) القاهرة ١٩٤٢ م .
- ديوان الرصافي ، الطبعة الرابعة ، مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- ديوان علي بن الجهم (عني بتحقيقه خليل مردم) ، نشره المجمع العلمي العربي بدمشق ، دمشق ١٩٤٩ .
- ديوان مسلم بن الوليد الشهير بصريع الغواني (استخرجه دهخويه ، ليدن ١٨٧٥ م .
- ديوان المعاني لابي هلال العسكري ، القاهرة ١٩٥٢
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (تحقيق محمد عبده عزّام) ، ظهر منه ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٥١ م - ١٩٥٧ م .
- الرثاء بين ابي تمام والبحتري والمتنبي ، تأليف أدبية فارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ م .
- الزهرة - النصف الأول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان الاصفهاني ، اعتنى بنشره لأول مرة لويس نيكول البوهيمي وابراهيم طوقان ، بيروت ١٩٣٢ م - ١٣٥١ هـ .
- س = ديوان ابي تمام شرح ملحم الاسود .
- سر الفصاحة ، تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن منان الخفاجي الحلبي .
- شرح العيون لابن نباتة مكتبة صبيح ، القاهرة
- شرح ديوان اشعار الحماسة التي اختارها من اشعار العرب أبو تمام ، بولاق ١٢٩٦ هـ .
- شرح ديوان الحماسة ، بون ١٨٢٢ .

شرح ديوان الحماسة (لأبي تمام ، والشرح) لأبي عليّ أحمد بن محمد
المرزوقي (نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون) القاهرة ١٩٥١ -
١٩٥٣ م .

شعراء الشام في القرن الثالث ، تأليف خليل مردم ، دمشق ١٣٤٣ هـ -
١٩٢٥ م .

شعراء النصرانية بعد الاسلام ، تأليف الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٤ -
١٩٢٧ م .

الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، تأليف أحمد عبدالستار
الجواري ، بيروت ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

الصبح المنبي عن حيشية المنبي ، تأليف يوسف البديعي ، دمشق ١٣٥٠ هـ .
الصناعتين : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، الاستانة ١٣١٩ هـ .

عبقريّة أبي تمام ، تأليف عبدالعزيز سيد الاهل ، بيروت ١٩٥٣ م .
العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيرواني ، مصر ،
مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا
(ابن الطقطقي) ، مصر ، المطبعة الرحمانية .

الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، تأليف الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ،
بيروت ١٩٥٦ م .

فنلاي = Finlay .

الفهرست لمحمد بن اسحق النديم ، ليزغ ١٨٧١ - ١٨٧٢ م . ومصر
(المطبعة الرحمانية) ١٣٤٨ هـ .

القاموس - القاموس المحيط للفيروزابادي ، مصر ، المطبعة الحسينية
المصرية ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م .

قراضة الذهب في نقد أشعار العرب ، لأبي عليّ الحسن بن رشيق الازدي

كنوز الاجداد . تأليف محمد كرد علي (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) . دمشق ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .

الكلام في شعر البحرى وأبى تمام : تأليف محمد طاهر الجبلأوى ، القاهرة ١٩٤٨ م .

ليال خمس مع أبى تمام . تأليف محمد عبده عزآم : القاهرة ١٩٤٨ م .
المثل السائر

مجلة الكلية (بيروت) المجلد الخامس ١٩١٤ م . - سلسلة مقالات للاستاذ جبر ضومط .

نختارات البارودى (من الشعر العباسى) لمحمد سامى البارودى . بيروت ١٣٢٧ - ١٣٢٩ هـ .

مروج الذهب

معجم الادباء - ارشاد الارب الى معرفة الاديب (أو طبقات الادباء) ،
لياقوت الحموى : مصر (الطبعة الأولى) ، مطبعة هندية .

معجم البلدان لياقوت الحموى ، لىبىزغ ١٨٨٦ - ١٨٧٣ م ، مصر ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م .

مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩٠٠ م .

مقدمة لدراسة النقد فى الادب العربى ، وهى محاضرات ألقاها بدعوة من
كلية المعقول والمنقول فى جامعة طهران الاستاذ أنيس المقدسى (منشورات
جامعة طهران ، رقم ٤٤٠) ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٥٨ م - ١٣٣٦
فارسي - ١٣٧٣ هـ .

الموازنة بين أبى تمام والبحررى لأبى القاسم بن بشر الآمدي ، الاستانة ١٢٨٧ .
نزهة الالباء فى طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد الانبارى ، مصر ١٢٩٤ .
الموشع فى مأخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى ، القاهرة ١٩٤٣ م .

هبة الايام فيما يتعلق بأبي تمام ليوسف البديعي ، القاهرة ١٩٤٥ م .
همزيات أبي تمام (تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون) ، القاهرة
١٩٤٢ م .

الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، الطبعة
الأولى (دار احياء الكتب العربية) ، القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
وفيات الاعيان لابن خلكان ، بولاق ١٢٩٩ م .

Ahsan at - Taqàsin ... , par Al - Mudaddisî ... Traduction partielle ,
annotée par André Miquel (Institut Français de Damas) , Damas
1963 .

La critique poétique des arabes , par Dr, Amjad Trabulsi , Damas
1956 .

Encyclopaedia of Islam (New edition) I 153 - 155 .

GAL = Geschichte der arabischen Litteratur , von Carl Brockelmann,
Bd. 1, Leid en 1943 .

GAL , Suppl . = Supplementband zu GAL I , Leiden 1937 ,

Histoire de la Litterature arabe , par C. Huart , Paris 1902 .

History of the Byzantine Empire , By George Finlay (Everyman's
Library) .

JRAS , 1905 , pp. 763 - 782 .

A Literary History of the Arabs , by R. A. Nicholson , London 1930.

فهرست أنجدي لأعلام الاشخاص مع عدد من أسماء الجماعات

ح - في الحاشية
م - مكرر في المتن أو في الحاشية أو فيهما معاً .

| | |
|--|--------------------------------|
| ابن الاثير ١٢٧، ٦٣، ١٧٤. | آ |
| ابن الاعرابي ١٠٠ . | آل حميد -- بنو حميد |
| ابن بسام = نصرين منصور بن بسام | آل أبي عبد الكريم |
| ابن جني ١٠٧ . | آل طوق ١٢٠، ١٢٢، ١٣١. |
| ابن خازم = خزيمه بن خازم | آل عبد الكريم ١٢٢ . |
| ابن خلكان ٢٣، ٢٦، ٣٦، ١٠٩ ح . | آل عبد الكريم الطائي ٣٨ . |
| ابن رشيق ٣٦، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٦٠ م، | آل مصعب ١٥١ م . |
| ٦٢-٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٨ م، ٨٠ | آل وهب ١٢٢ . |
| ١٢٩، ١٤٠ . | الآمدي ٥٤-٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠ م، ٦٧ |
| ابن رغبان = ديك الجن . | ٦٨-٨٠، ٨١ م، ٨٤، ٨٦ م |
| ابن الرومي ١٨، ٦٣ م، ٩١، ١١٢ . | ٩٧، ٩٩، ١٠٠-١٠١، ١١٠ |
| ابن الزيات = محمد بن عبد الملك الزيات | ١٣٩ . |
| ابوسعيد خالد بن هاشم = الخالديان | |
| ابن سبي ١٦ . | ١ |
| ابن شبابة، شبانة = محمد بن الهيثم بن شبابة | ابراهيم بن مالك النخعي ٨٣ ح . |

ابن الشجري ١٠٨ .

ابن عساكر ٢٣ .

ابن فارس = أحمد بن فارس

ابن الفارض ١١٢، ٥٦ .

ابن هنيعة = عياش بن هنيعة

ابن المدبر - ابراهيم ١٠٠ م .

ابن المدبر - أحمد ١٠٣ .

ابن المستوفى الاربلي ١١١ .

ابن المعتزل ١٠٢ .

ابن مهرويه ١٠٢ م .

ابن النديم ١٠١، ١٠٣، ١١٢، ١١٣ .

ابن هرمة ١٠٧ .

ابو البركات المبارك بن أحمد = ابن

المستوفى .

أبو بكر بن داوود الاصفهاني ١١٣ -

١١٤ .

أبو بكر عثمان بن هاشم = الخالديان .

أبو تمام

ابو الحجاج بن محمد = البياسي

ابو دلف العجلي ٣١-٣٢، ٦٧، ١١٦،

١١٩، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٠،

١٦٦-١٧٢ .

ابو زيد (كاتب عبد الله بن طاهر) ١٢١

ابو السعادات هبة الله = ابن الشجري

ابو سعيد الثغري ٣١، ٣٢، ٥٢، ٦٦، م،

١١٨-١١٧، ١١٦، ٧٦، ٧٥

١٥٧، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٢

١٦٥ -

ابو ضياء النصيبي = النصيبي

ابو الطيب (ابن عم ذلك الجن) ٢٦ م

ابو الطيب = المتنبي

ابو العباس نصر بن منصور = نصر بن

بن بسام

ابو العباس احمد بن عبدالله = القطريلي

ابو عبد الرحمن يحيى بن اسماعيل =

يحيى بن اسماعيل .

ابو العتاهية ٤٧، ١٠٥ .

ابو العلاء = المعري

ابو علي (ابن أبي تمام) ٣٧ م، راجع

١٢٥ .

ابو فراس ٩١، ٩٨ م .

ابو الفرج الاصفهاني ٢١-٢٢، ٤٦،

٦٣، ٦٧، ٦٩، ٨٠، ٨١، ٨٤،

٩٩، ١٠١-١٠٢ .

ابو القاسم الآمدي = الآمدي

ابو كرب بن حسان ١٧٥ م .

ابو المغيث الرافقي ٣٣ م، ١٢٠ م، ١٢٢،

١٣١ م .

ابو مكثف المزني ٧٠-٧٢ .

ابو نصر محمد بن حميد = محمد بن

حميد الطوسي

ابو نسهل بن حميد الطوسي ٣٥ .

ابو نواس ١٥، ١٩، ٢٦، ٣٨، ٩٣ م .

٤٠، ٤٣، ٤٧، ٦٢، ٦٩، ٨١ م .

٩١، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١١٢ .

١٢٠، ١٢٩، ١٤٢ .

ابو هلال العسكري ٧٨، ١٠٧، ١٠٨ .

ابو الوفاء بن سلمة ١٠٤ م .

ابو يزيد (والد خالد بن يزيد الشيباني)

١١٧ م .

أحمد بن أبي دؤاد ٣٢، ٤٥، ٤٦ م .

١٢٢، ١٢٣، ١٣٠ .

أحمد شوقي ١٦، ٤٩ .

أحمد بن عبد الكريم الطائي ١٢٢ .

أحمد بن عبيد الله = القطريلي

أحمد بن فارس ١٠٨ .

أحمد بن المعتصم ١٢٢ .

أحمد بن يحيى = البلاذري

الاختل ٩٨، ١٠٥ .

اسحق بن ربيعي ١٢٨ .

اسحق بن ابراهيم المصعبي ٧٥، ١٢٢،

١٣١ .

اسكندر ١٧٥ م .

الاسود (الدكتور ملحم) ١١٢، ١٢٧ م .

١٣٣ ح .

الاشتر النخعي : راجع ٨٣ ح .

الاشتران : راجع ٨٣ ح .

الاصفهاني = أبو الفرج الاصفهاني

الاصفهاني = علي بن حمزة الاصفهاني

الاصفهاني = أبو بكر بن داود الاصفهاني

الاعلم الشتمري ١٠٨ م .

الافشين ٣١ م، ٣٢، ٥٠، ٥١، ٥٦، ١١٨

١٢٢، ١٥٩، ١٦٠ ح ١٧٠ .

١٧١ .

أقليدس ١١ م .

الآله ٧٦ .

أم المعتصم ٥١، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٠ .

أمرؤ القيس ٥٦، ٨٨، ٩٨ .

أمين - أحمد ١٠٦ ح .

الامين - محسن ٣٣، ٤١، ٤٣، ١٠٣ -

١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٣٩ .

الانباري ٢٣، ٣٦، ٨٤ .

أوس (والد أبي تمام) ٢٥ (راجع

ثدوس) .

أوس بن حجر ٦٩ .

أيوب بن سليمان بن عبد الملك ٤٥ ح .

ب

بابك الحرمي ٣١ م، ٥٠ م، ٥١ م، ٥٦ م،

٧٥، ٧٦، ١١٦، ١١٧، ١١٨،

١٤٥م، ١٥١م، ١٥٨م، ١٥٩ح، بنو نيهان ١٥٤٠٧١م .
 ١٦٠-١٦٤، ١٧٠-١٧١ . بنو الهجيم ٧٩ ح .
 البصري ٢٢: ٣٣-٣٤، ٣٥، ٥٨٠م، الهبتي - نجيب ٢٢-٢٣، ٢٤ح، ٨٦،
 ٦٨م: ٨٤م، ٨٥م، ٨٦م الطائيان بوذا ٣١ ح .
 ١٠٠م، ١٠٣، ١٠٨م، ١٠٩ ، البياسي - ابو الحجاج بن محمد ١٠٩ .
 ١١٢ .

ت

بدر (بن يزيد بن الحكم) ١٠٥ .
 البرامكة ٩١، ١١٤ .
 بروكمن ٨٥ م .
 بشار ٢٦، ٣٩، ٤٧، ٦٢، ٩١ .
 بشر بن المعتز ١٠٣ .
 بكر بن النطاح ١٠٥ .
 البلاذري ١٠٣ .
 بلحارث = بنو الحارث
 بلعنبر = بنو العنبر

ث

بلهجيم = بنو الهجيم
 بنو الاصفر ١٨٢ م .
 بنو الحارث ٨٩ ح .
 بنو الحصن ١٦٩ م .
 بنو حميد ٧٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥-
 ١٢٧، ١٢٨م .
 بنو خشين ٦٥ م .
 بنو صالح ١١٧ .
 بنو العنبر ٧٩ ح .
 بنو القعقاع ٧١ .
 بنو لجيم = لجيم
 ثادوس = ثدوس
 ثدوس العطار ٢٢م ، ٢٤ .
 ثديوس ٢٢ ح (= ثدوس)
 ثعلب - ابو العباس ٦٤ ح .
 ثبو = ثيودوسيوس ٢٢ ح .
 ثيودوسيوس = ثدوس
 ثيوفيلوس : توفيل بن ميخائيل

ج

الجالحظ ٦٠ .
 الجبار (الله) ٧٦ .

الجرجاني ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، حيدر بن كاوس = الافشين

٦٦، ٧٨، ٨٠-٨١، ٨٢، م

٩٢، ١٤٢.

خ

الخارزنجي ١١٠.

خالد الكاتب ١٠٢.

خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ٤٥، م

١١٧، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩.

خالد بن يزيد بن المهلب ٤٥، م.

الخالديان ١١٠، ١٠٨.

الخطيب التبريزي = التبريزي

خزيمة بن خازم ١٦٢، م.

الخفاجي ٨٠.

الخنساء ١٠٥.

خوفو ١٦.

الخياط - جعفر = جعفر الخياط

الخياط - الشيخ محيي الدين ٢٤، ح

١١٣، م، ١٢٢، ١٣٢، م، ١٤٢.

خيزر = حيدر بن كاوس الافشين

د - ذ

داني ٥٦.

داوود بن داوود الطائي ١٢٢.

دعبل ٦٩-٧١، ٩٩-١٠٠، ١٠٢، ٣١.

ديك الجن ٢٥، م، ٣٦، ٣٨، ٣٩، م

٦٩، ٨٥، ٩١.

ذفاقة العسبي ٧٠-٧١.

جرير ٥٦، ٩٨.

جشم بن بكر ١٢١.

جعفر الخياط ٣٢، ١٢٢، ١٢٧-١٢٨.

جعفر بن دينار الطائي ٣١.

جمال - محمد ١١٣، ح.

جميل بن معمر ١٠٥.

ح

حاتم الطائي ١٠٦.

حاجب بن زُرارة ١١٦، ١٧٠، م.

الحارث بن همام الشيباني ٧٠.

الحبال - حسين ١١٣، ح.

حبيب، حبيب بن أوس = أبو تمام

حيثش المعافي ١٢٢.

حسان بن ثابت ١٠٥.

الحسن بن بشر = الآمدي

الحسن بن هاني = أبو نواس

الحسن بن سهل ١٢٢.

الحسن بن علي بن مرة ١٢٢.

الحسن بن وهب ٣٤، م، ٣٥، ١٢٢، ١٢٩.

حفص (بن عمر الأزدي) ٤٦، ٧٤.

حنظلة بن ثعلبة ١٧٠، م.

ذو الرمة = غيلان مية

سليمان بن وهب ١٠٣، ١٢٢.

السموأل ١٠٥ .

السميسطائي ١٠٠ .

سهم بن أوس ٣٧ .

سيد الأهل - عبدالعزيز ٨٦ .

سيف الدولة ١٠٨ .

ش

شاكر - محمد محمود ٣٨ .

الشجري = ابن الشجري

الشريف الرضي ٩١ .

الشريف المرتضى ١٠١ .

شكشير ٥٦ .

شمم الحلي ١٠٩ .

شوقي = احمد شوقي

شيوخو - لويس ٢٣-٢٦ .

ص

صاحب الاغانى = ابو الفرج الاصفهاني

صالح بن عبدالله الهاشمي ١٣١ .

صدر الدين البصري ١٠٨ .

صبري الغواني = مسلم بن الوليد

صهيب بن أبي صهباء ٤٠، راجع

الحاشية ٢ .

الصولي - أبو بكر ٢٧-٢٨، ٤٠، ٥٨

٧٢، ٧٣-٧٤، ١٠١، ١٠٦ ح

ر

ربّ الثأر ٧٦ .

رتّر ٢٢ ح .

الرسول = محمد رسول الله .

الرصافي - معروف ٩٦ ح .

رعميس الثاني = ابن سبي

رقاش بنت جذيمة ١٢٣ .

روفاثيل ١٥ .

ز

الزيات - أحمد حسن ٨٥ .

زهير بن أبي سلمى ٥٦، ٦٤، ٨٩، ٩٨ .

زياد بن حمل ١٠٥ .

زيدان - جرجي ٨٥ .

س

سدوس ٢٢ ح .

السري الرفاء ١٠٣ .

سعاد ٦١ .

السفاح العباسي ١١٦ .

السكري ٦٤ ح .

سلام - عبدالرحمن ١١٣ ح .

سلامة بن جابر النهدي ٤٠ .

سليمان بن نصر ٢٦ .

الصولي (لعله هو أو آخر) ١٠٦ ح .
١١٣ .

عبد الله الكاتب ١٠٢. ١٣٢ ح .

عتبة بن أبي عبد الكرم الطائي ٢٥ م .

عثمان بن المثنى القرطبي ١١٢ .

عدي العدين = عدي بن نصر بن ربيعة

۱۲۳.

العديل بن الفرخ ١٠٥ .

عروة بن الورد ١٠٦ .

عزّام - محمد عبده ۱۰۱ ح ، ۱۰۹ ح .

عساكر - خليل محمود ۱۰۱ ح .

العطاف بن هرون ٤٠ .

عطية - شاهین ۲۴ ح .

علي بن أبي طالب ٤١-٤٢، ٨٣ ح ،

١٢٢، ١٣٣ ح.

علي بن أبي الفرج = صدر الدين البصري

علي بن الجهم ١١٩، ٨٤، ٧١، ٣٥.

علي بن حمدان = سيف الدولة

علي بن حمزة الاصمغاني ١٠٩ ١١٣٤

علی بن محمد بن بسام ۱۱۹ .

علي بن مرة ١٢٢ .

عمارة بن عقيل ٦٥ .

عمر بن أبي ربيعة ١٩، ٩٠ م.

عمر بن طوق ۱۲۲ .

عمر بن عبد العزيز الطائي ١٢٢ .

ضی

ضومط - جبر ۶۰ .

ضیف - شوقی ۸۶ .

الطائي = أبو تمام

الطائيان = أبو تمام والبحري ٨٦ م .

طاهر بن الحسين ٣١ م.

طريقة ١٠٥ .

الطرماح بن حكيم ٥٦ .

طوقان - ابراهيم ۱۱۴ ح.

3

العباس بن الاحنف ١٠٥ ، ١١٢ .

عبد السلام بن رغبان = ديك الجحش .

عبد الصمد بن المعذل = ابن المعذل

عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ٤٥م

عبد الكريم ١٠٠ .

عبد الكريم الطائي ٢٥ م .

عبد الله الدامغاني ٣١ .

عبد الله بن طاهر ٣٠ م، ٣٢، ٤٦ م، ٩٤

108, 677, 600, 602, 601

122, 121, 119-118

. 101-140

ق

القاسم = أبو دلف العجلي

قسطنطين ٢٢ ح .

قسطة = قسطنطين

القطريلي ١٠٠ .

قلاية الجرمي ٤٠ .

القلمس ١٢٣ م .

ك

كرامة بن أبان ٤٠ .

كسرى ١٧٠ م ، ١٧٥ م .

كعب بن زهير ٦٤ م .

الحيم ١٦٩ م .

م

مازيار ٥١ م .

مالك بن الحارث النخعي ٨٣ ح .

مالك بن دهم ٤٠ .

مالك بن طوق ٣٣ ، راجع ١٢٠-١٢١

المأمون ٣٠ ح ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ م ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ،

١٢٢ م ، ١٢٧ ح ، ١٤٥ م ، ١٥٢ ،

١٦٦ .

المبارك بن أحمد = ابن المستوفى

المتني ٩١ م ، ٩٨ م ، ١٣٩ م .

عمرو بن عدى ٢٩ ، ١٢٣ م .

عمرو بن العاص ٢٧ م .

عمرو بن كلثوم ٨٨ ، ١٠٥ .

عمرو بن مسعدة ١٠٣ .

عمرو بن هاشم السروي ٤٠ .

عمير بن الوليد ٣٠ .

عنرة ٦٤ ، ٧١ ، ٨٨ ، ١٠٥ .

عياش بن لهيعة ٢٧-٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،

١٣١ ، ١٣٢ .

عيسى بن مريم ٣٦ .

غ

غالب بن عبد الحميد الصغدني ١٢٢ ،

١٢٨ .

غوته ٥٦ .

غيلان ١٧٧ م .

ف

فاطمة ٤١ ح .

الفتح (غلام أبي تمام) ٣٦ .

الفرزدق ٩٨ ، ١٠٥ .

الفضل بن صالح ١٢٢ .

فتلاي ١٧٩ ح ، ١٨٠ .

فيرجيل ٥٦ .

المحبر = زهير بن أبي سلمى

محمد رسول الله ٤١-٤٢، ٨٥، ٧٦م
محمد بن يوسف الثغري = ابو سعيد

الثغري

١١٦م، ١١٧، ١٣٣ح، ١٧٠ح

محمد (ابن ابي تمام) ٣٧.

مخلد بن بكار ٣٦، ١٠٢.

محمد بن أبي يزيد ١٠٢، ١٣١.

المرزباني ١٠٠.

محمد بن بسام الضبي ١٢٢.

المرزوقي ٨٦، ٨٩م، ١٠٦، ١١٠م.

محمد بن الحسن الشاعر ١٠٢.

مرغوليوس ٢٢ ح.

محمد بن حميد الطوسي ٧١، ١٢١،

مسلم بن الوليد ١٥م، ٢٦، ٥٦، ٦٩م،

١٢٥-١٢٧، ١٢٨، ١٣١.

٨٠، ٨٥، ٩١، ٩٨م، ١٠٥.

١٥٢-١٥٨، ١٥٦.

مطر (من أسلاف بني شيان) ١١٧.

محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني

مطيع بن اياس ٣٩.

٤٠، ١٢٢.

معاوية (بابك الحرمي ؟) ١٥٩ م.

محمد بن شقيق الطائي ١٢٢.

معبد بن وهب ١٦٣ م.

محمد بن عبد الملك الزيات ٣٢، ٣٥،

المتعصم ٣١م، ٣٢م، ٣٣، ٣٤، ٤٩، ٥٠،

٨٢، ٨٤، ١٠٣، ١١٩، ١٢١،

٥١م، ٥٢، ١١٦ (المعصوم)،

١٢٢-١٣٥، ١٣٦.

١١٨ح، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨،

محمد بن عبد الملك بن صالح ١١٧، ١٢٢،

١٥٩-١٦٠ح، ١٦٦، ١٧١ م

محمد بن الفضل الحميري ١٢٨.

١٨٣.

محمد بن القاسم بن عمر العلوي ٤٩ م.

(أم المتعصم ٥١).

محمد بن قريش ٩٧ ح.

المعري ٩١، ١٠٣، ١١٠م.

محمد بن الهيثم بن شبانة ٥٦ ح، ٩٥،

المعصوم = المتعصم ١١٦.

١٢٢.

معن (من أسلاف طيء) ٢٩.

المهدي العباسي ٤٧، ١١٦.

المقدسي - أنيس ٤٤، ١٢٢ ح.

شابة خ ٥٥، اخبار ابي تمام ١٨٨،

المنخل بن الحارث الشكري ١٠٥.

شافية ٤ من مروج الذهب ٤ شابة

المنصور العباسي ٤٧، ١١٦.

ت ٢٨٦:١.

المهدي العباسي ١١٦.

المهلهل ١٠٥ .

موسى ٤١-٤٢، راجع ١٢٠ ح .

موسى بن ابراهيم الرافقي = ابو المغيث
الرافقي

موسى بن جابر الحنفي ١٠٦ .

ميكالانجلو ١٥ .

مينا ١٥ .

مية بنت طلحة ١٧٧ م .

ن

النابغة الذبياني ٦٨، ٩٨، ١٠٥ .

النبي = محمد رسول الله .

نصر بن منصور بن بسام ١٢٢ ،

النصيبي ١٠٠ .

نظير الاسلام ١٠١ ح .

نيكل - ع . ر . ١١٤ ح .

هـ

هالي ١٧٤ ح .

هارون - عبد السلام محمد ١٠٦ ح .

هرون (بن عمران) ٤١ - ٤٢ .

هرون الرشيد ٤٧، ٩١ .

هرون بن عبد الله المهلي ٦٩ .

و

الواثق ٣٤، ٥٢، ١١٥، ١١٦-١٢٢ .

١٢٨ .

وحيد المغنية ١٨ .

الوليد (شاعر) ١٠٢ .

الوليد بن عبد الملك ٤٥ ح .

وهب (من أسلاف طيء) ٢٩ .

ي

ياقوت ٢١ م، ١٠١ م .

يحيى بن اسماعيل الاموي ٤٠ .

يحيى بن ثابت ١٢٢ .

يحيى بن عبد الله ٨٣ م .

يزيد بن الحكم ١٠٥ .

يزيد بن مزيد الشيباني ١٦٢ م .

يوسف السراج ٣٠، ٤٤، ٤٦، ١٠٢ .

يوسف (بن يعقوب) ١٤٥ م .

مصادر ومراجع

ديوان أبي تمام :

- بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٩ م .
- (فسر ألفاظه . . . محيي الدين الحياط ، بيروت (طبع بمنظرة والتزام محمد جمال ، نحو ١٣٢٣ هـ) .
- (نشره أحمد عثمان عبد المجيد) ، القاهرة ١٩٤١ م .
- القاهرة (محمد صبيح) ١٩٤٢ م .
- القاهرة (حجازي) ١٩٤٢ م .
- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (نشره عزام) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥١-١٩٥٧ م .
- همزيات أبي تمام (نشرها عبد السلام محمد هارون) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٢ م .
- بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام للمحمّد الأسود ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٢٨ م .
- جداول ديوان أبي تمام (مجلة المشرق) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٠٥ م (ص ١٠٥٨ وما بعد) .
- المختار من شعر المتنبي والبحري وأبي تمام (صنعه عبد القادر الجرجاني) ، في مجموع اسمه « الطرائف » (تأليف عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م .
- ديوان الحماسة (مع شرح مختصر) طبعات عديدة .
- شرح ديوان أشعار الحماسة (بشرح التبريزي ، القاهرة (بولاق) ١٢٩٢ هـ .
- (نشرها فرايتاخ) ، بون (ألمانية) ١٨٢٢ م .
- شرح ديوان الحماسة (بشرح المرزوقي) (نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٢ - ١٣٧٤ هـ (١٩٥١ - ١٩٥٣ م) .
- كتاب الوحشيات : الحماسة الصغرى (علّق عليه عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م .
- الموازنة بين الطائيين : أبي تمام والبحري في الشعر للأمدى .
- قسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٨٧ هـ .
- بيروت (مطبعة جريدة الاقبال) ١٣٣٢ هـ .
- القاهرة (مكتبة محمد علي صبيح) بعيد ١٩٣٠ م .
- (حقّق أصوله محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (محمود توفيق) ١٩٤٤ م .

- (تحرير أحمد صقر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٦١ م .
- أخبار أبي تمام للصولي (نشره خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزّام ونظير الدين الهندي ، القاهرة ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) .
- هبة الأيام فيما يتعلّق بأبي تمام ، تأليف يوسف البديعي ، القاهرة (مطبعة العلوم) ١٩٣٤ م .
- أبو تمام وموازنة الأمدي ، تأليف محمد محمد الحسيني ، القاهرة (المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم الاجتماعية) ١٩٦٧ م .
- أبو تمام الطائي : حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية ، تأليف كوركيس عوّاد وميخائيل عوّاد (بمناسبة انعقاد مهرجان أبي تمام في الموصل) ، من ١١ - ١٤ كانون الأوّل - ديسمبر ١٩٧١) ، بغداد (مطبعة الارشاد) ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) .
- أبو تمام الطائي : حياته وحياة شعره ، تأليف نجيب البهسيّتي ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٤٥ م .
- أعيان الشيعة (الجزء التاسع عشر : أبو تمام) ، تأليف محسن الأمين ، دمشق ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) .
- ليال خمس مع أبي تمام ، تأليف محمد عبده عزّام ، القاهرة (دار الكاتب المصري) ١٩٤٨ م .
- عبقريّة أبي تمام ، تأليف عبد العزيز سيّد الأهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .
- شرح المشكل من ديوان أبي تمام والمتنبّي للمبارك بن أحمد الاربيلي (نشره محمد عبده عزّام) ، القاهرة ١٩٣٥ م .
- الكلام في شعر البحري وأبي تمام ، تأليف محمد طاهر الجبلاوي ، القاهرة ١٩٤٨ م .
- دراسة حماسة أبي تمام ، تأليف علي النجدي ناصف ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٥ م .
- أبو تمام الطائي ، تأليف خضر الطائي (منشورات وزارة الثقافة والارشاد - مديرية الثقافة العامة) ، سلسلة الكتب الحديثة ١٠ ، بغداد (دار الجمهورية) ١٩٦٦ م .
- الربّاء بين أبي تمام والبحري والمتنبّي ، تأليف أدبية فارس ، الاسكندرية ١٩٣٢ م .
- أبو تمام ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٥٠ م .
- راجع أيضاً تاريخ الأدب العربي للمؤلف لمصادر عامّة أخرى (٢ : ٢٥١ - ٢٦٨) .

هذه
السلسلة

تعالج آثار زفر من إعلام الأدب والعلم
والفلسفة بأسلوب جدي واضح. وهي تعتمد
النصوص في المرتبة الأولى مع الإشارة إلى
مطائنها في مصادر الثقافة. ومع أن هذه
الدراسات قد قصد بها الدارسون وهم على
عتبة التخصص، فإنها مفيدة للقارئ العام،
كما أنها تضع في يد المتخصص منهاجاً واضحاً
للتوسع في الدراسة. وفي هذه الدراسات
دفقة في التفكير وصحة في التعبير مما يحتاج
إليه المتعلم المبتدئ. ويضمن إليه طالب
الاختصاص. وهذه السلسلة بتنوع موضوعاتها
تلبّي طلب الأديب وطالب العلم ودارس
الفلسفة وتخطّ للدراسات المقبلة طريقاً
صحيحاً كما أنها توجز الجهود الماضية التي قام
بها أساطين التاريخ ونقّاء الأدب ورجال
العلم. ولقد أوجز مؤلفها في الكلام ليرتك
الجال فيجاء للفكر. إن عالمنا الحاضر
متجه بسرعة إلى البثوث الفكرية وإلى
الثقافة الشاملة

٢٥٠